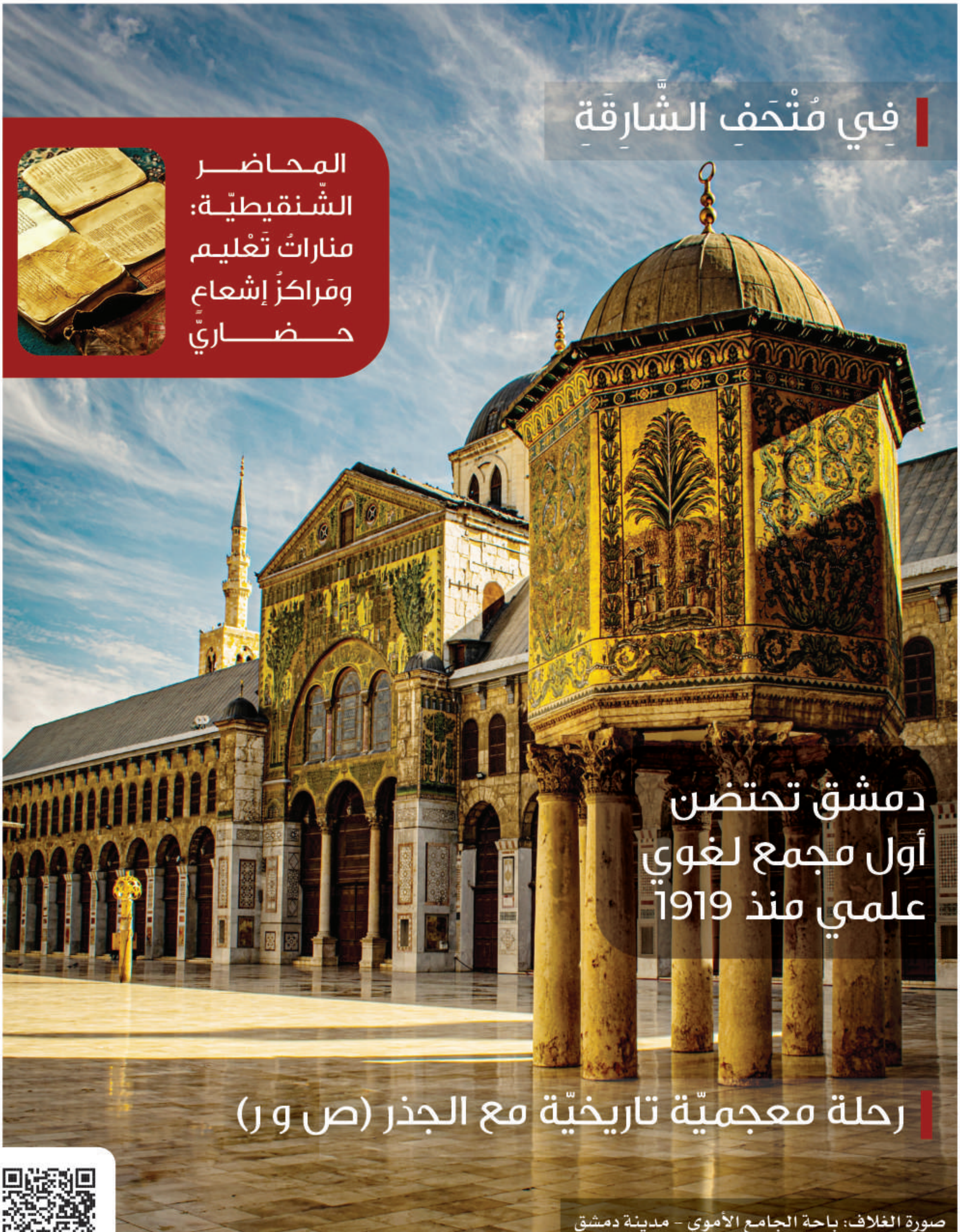
مَجلّة مَجمَع اللُّغة العَربيّة بالشّارقة

العدد السابع - أكتوبر 2023 م



فِي مُتْحَفِ الشَّارِقَةِ

المحاضر الشّنقيطيّة: مناراتُ تَعْليم ومَراكزُ إشعاع حضاريّ

دمشق تحتضن أول مجمع لغوي علمي منذ 1919

رحلة معجميّة تاريخيّة مع الجذر (ص و ر)

صورة الغلاف: باحة الجامع الأموي - مدينة دمشق

نسخة بي دي إف (PDF)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾

[فصلت ٤٤]

صدق الله العظيم

اللغة أساسُ وحدَة الأمّة، ومرآةُ حضارَتها،
وتزيدُ الأمّة العربيّة على غيرها من الأمم أنّ لغتَها
هِي وعاءٌ للقرآنِ الكريم، الذي هو مظْهرُ إعجازِها،
وحاملُ دُستورِها الخالِد

صَاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ سُلْطَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَاسِمِيُّ
عُضْوُ المَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلِاتِّحَادِ حَاكِمُ الشَّارِقَةِ



المحتويات



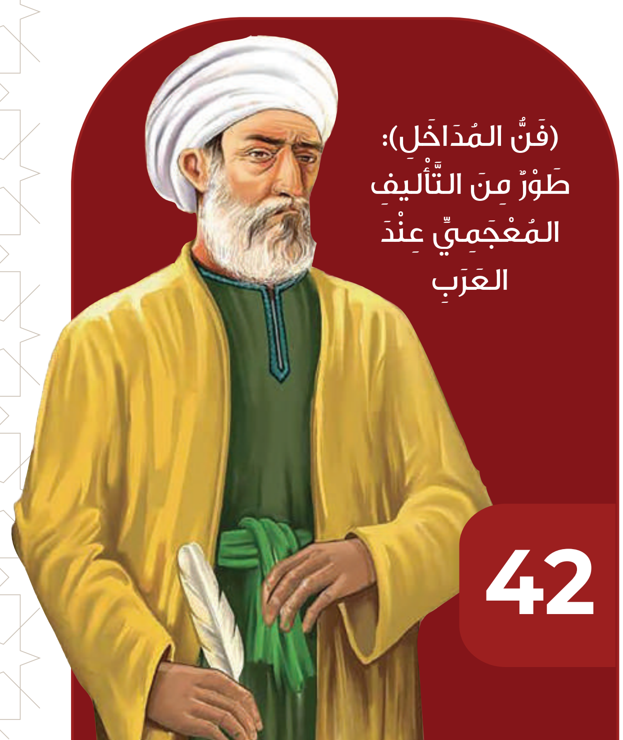












مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلّة أدبيّة لغوية تصدر عن

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السّنة الثّانية – العدد السابع – أكتوبر 2023 م

مجلّة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 401 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala   www.alashj.ae

Sharjah.ala   info@alashj.ae

مجمع اللغة العربية بالشارقة

امسح الرمز

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني

Magazine@alashj.ae

المحاضر الشّنقيطيّة: مناراتُ تَعْليم ومَراكزُ إشعاعٍ حضاريّ

المحاضرُ في بلاد شَنقيط جامعاتٌ متنقّلة. هي مَرْتَعُ بناءِ الأفكار، ورُبوعُ تعليم العُقول، ورِحابُ تهذيب النُّفوس، ومَواطِنُ إيقاظ الهمم، وخلوات حفظ القرآن الكريم، وصوامِعُ حِفْظ السُّنن، ومرابطُ أهلِ الجهاد، ونوادي رجال الثّغور أيّامَ كان الاستعمارُ الأوروبيُّ يصولُ ويجولُ بجُنده وخَيْله، وعَسْكَره ورَجْله، وجَبروته وبَطْشه في القارّة السّمراء.

المحاضرُ في بلاد شنقيط بالعِلْم مُحَمَّلة، وبِفُنون الشَّرْع مُجَمَّلة، وبأفانين عُلوم الآلة تيجانُها مُزَيَّنَةٌ مُكَلَّلة. هي استثناءٌ في القاعدة الخَلْدونيّة، ولئن ربَطَ العلاّمةُ ابنُ خَلْدون بين الحواضر والمدنيَّة وانتشار العلوم؛ فإنَّ المحاضر الشّنقيطيّةَ البدويَّة الموريتانيّة أخلَفَتْ دَعْواه، وأوجَبَتْ عليه أن يستثنيَ ولا يُعَمِّم، وأثبتت للأيّام والتّاريخ أنّها قلاعُ علوم، ومناراتُ هُدًى، وسُرُجُ تثقيف، وصُروحُ معرفة، ومناهلُ إشعاعٍ حضاريّ متنوّع متميّز، ومنابِرُ حكمة بالغة، ومعاهدُ تُسْتَقى منها شتّى الفنون والعلوم على الرّغم من وجودها في أعماق البوادي وقواحل الصّحارى.



د/ امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

تتميّز المحضرةُ بأنّها مُؤسّسةٌ تعليميّةٌ تصطبغُ بالطّابع التّقليديّ العتيق، نظامُها التّعليميُّ منفتحٌ، حيثُ إنّ طالبَ العلم فيها هو السّيّدُ المخَيَّرُ الذي يُحدّد الموادَّ التي يدرُسُها، وينتقي الشَّيخَ الذي يتتلمذُ عليه ويتحمّلُ عنه العلوم والمتون، ويختارُ الوقتَ الذي يدرسُ فيه، والعلمَ الذي ينتقل إليه، والمجالسَ التي يغشاها بعد انتهائه من دروسه.

المحضرةُ مدرسةٌ من طِرازٍ فريد، لها في النّفوس مَحَبّةٌ، وفي القلوب مكانة، فهي صُروحٌ علميَّةٌ، ومرتَعٌ خِصْبٌ للتّعلُّم، ورحابٌ واسعةٌ للتّثقُّف، ومَغانٍ للتّآلف والتّعارف. والثّقافةُ المحضريّةُ يكتسِبُها صاحبُها بالأساليب التّقليديّة القائمة على التَّكرير والحفظ والشّرح وإتمام استيعاب الكتاب ثمّ الشُّروع فيما هو أوْسَعُ وأعمقُ وأكثرُ تفصيلاً في العلم الواحد، إلى أن يمتلك الطّالبُ الملَكَةَ العلميّة وأساليبَ التّفكير النّاقد، وطُرُقَ التّدريس التي تُؤهِّلُه لِخَوْض غمرات التّدريس والتّلقين، فَتَسْمُوَ مراتبُهُ في مدارج العلوم فيَغْدُوَ المعلِّمَ الشّارحَ، والشَّيْخَ المفتي، والموجِّهَ النّاصح، ويرِثَ شيخه في شرح المتون وتقديمها للسّائلين وبذلها للطّالبين.

وخِرّيجو المحاضر في موريتانيا تُشيرُ إليهم الأصابع، وتتزَيّنُ بهم المحافل والمجامع، وهم عُمَدُ البلد وأركانُه،



ونجومُهُ وكواكبُه. قال العلّامة المختار بن بونة يتغنّى ويفتخر بخرّيجي المحاضر:

ونحنُ رَكبٌ من الأشراف مُنتظِمُ
أجلُّ ذا العصرِ قَدْرا دُونَ أدنانا
قد اتَّخذْنا من ظُهور العِيس مدرسةً
بها نُبَيِّنُ دينَ الله تِبيانا

من ناحية أخرى، فإنّ التّعليمَ المحضريَّ مَجّانيّ، والشُّروط الأساسيَّة للالتحاق بأيّة مَحضرة، مرموقةً كانت أم مغمورة، هي الرّغبةُ المشتعلةُ، والهِمّةُ المُتوَقّدةُ، والجِدُّ الجادُّ، والارتقاءُ في مدارج التّقوى؛ فلا يُقْبَلُ طالبٌ عِربيد، ولا ذو خُمولٍ وفُتور، وإنّما يتوَجّهُ إليها الأذكياءُ النُّبهاء، والعقلاءُ الألِبّاءُ، وأصحابُ الهمم العالية، والرّؤى العظيمة.

كلُّ ما في المحضرة عتيقٌ، يتضوّعُ منه الماضي الجميل، فالجلوسُ على السَّجّاد يجمعُ الطالبَ بالآباء والأجداد، وسُرُجُها تُنيرُ القلوبَ والعقولَ قبل إنارة الأجواء. فيها يختارُ طالبُ العلم الموضعَ الذي فيه يستريح. أدواتُ الدّراسة فيها محلّيّةُ الصُّنع: اللّوحُ الخشبيُّ والقلمُ والدّواة، ولهذه الأدوات مزايا تغنّى بها الشُّعراء والأدباء قديما وحديثا.

هذا، وقد اختلفت أقوالُ العلماء الموريتانيين في بيانهم لاشتقاق لفظ (مَحْضرة)، أهُوَ من الحُضور بمعنى شُهود الدّرس، أو من الحَظْر والمنع لأنَّ المحضرة في عُرْفهم هي الموطنُ الذي يُحْظَرُ فيه على الطالب كلُّ شيء إلا العلم، أو يُحْظَرُ المقيمُ فيها من الخروج إلى جهات أخرى أو زيارة أهله إلا في أوقات الإجازات التي يستأذِنُ فيها شيخه وأستاذه. وأيًّا ما كان أصلُ لفظ (محضرة)، سواء أكان من الحضور وتحوّلت الضّاد المستطيلة إلى ظاء مشالة أو كانت من الحَظْر بمعنى المنع، أيًّا كان جَذْرُ هذه الكلمة التي كتب الله تعالى لها الذُّيُوعَ والشُّيوع، فإنّ المحاضرَ الموريتانيّة كانت ولا تزال مراكزَ إشعاع علميٍّ ومعاهدَ عطاء معرفيّ، ومناراتِ هُدى، ومدارسَ تُنيرُ القلوبَ وتُهَذِّبُ النّفوس، وتُمدِّنُ الإنسانَ، ولسانُ حالها يزهو على المدارس العُليا والمؤسّسات الأكاديميّة الكبرى في العصر الحديث.

أمّا الموادُّ المُقَرَّرةُ في المحضرة فَمُتعدّدةٌ مُتنوّعة، وذُرْوةُ سنامها، وقُدْسُ أقداسها هو تعلُّمُ القرآن الكريم وحِفْظُهُ، وتجويدُ قراءته على مقرإ نافع المدنيّ رضي الله عنه كما هو الشَّأنُ في ربوع المغرب العربيّ الكبير، ثمّ ينتقلُ الطّالبُ إلى دروس العقيدة يَرْتوي من معينها الصّافي، ويَكرَعُ ويتضَلَّعُ، ثمّ ينبري لعلوم الآلة من نَحْوٍ وصَرْفٍ وبلاغةٍ وعَروض ومُعجم، مُخَصِّصا أطرافا من النّهار وزُلَفًا من الليل لحفظ المعلّقات ودواوين الشّعراء السّتّة، ثمّ يُوَجّهُ هِمَّتَه إلى علوم الشّريعة مُبتدئا بالفقه المالكيّ ومُتونه المتدرّجة من السّهل المُيَسَّر إلى المُفَصَّل المُتَبَحّر، ثم السِّيرة النّبويّة العطرة، والتّصوُّف الرّقيق المُنيب، وقد يُكلِّلُ بعضُ الطُّلاب دراساتِهم ببعض كتب الحساب والفَلَك وغيرها...

والخِصّيصةُ التي تَجْمَعُ التَّعليمَ المحَضرِيَّ على تَنَوُّع مَناهله وتَعَدُّدِ مَشاربه، هي الحِفظُ المُتقَنُ والاسْتِظهارُ المُحْكَم، فلا يُعَدُّ الطالب طالبًا ناجحًا إلا إذا تفوَّقَ وبزَّ أقرانه في حفظ القرآن الكريم والأشعار المقرّرة والمتون الأمّهات التي يُحدّدها العُرْفُ المَحضريّ.

والصّحابةُ رضوانُ الله تعالى عليهم والتّابعون وتابعوهم بإحسان، ومَنْ جاء بعدهم من علماء الصّدر الأوّل كانوا كلُّهُم أوعيةً للعلوم، صدورُهم أناجيلُهم، وفّقهم الله تعالى لحفظ تراث الإسلام العظيم ممثّلا في القرآن الكريم وسنّة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وأشعار العرب وأقوال العلماء ومستنداتها ومظانّها.

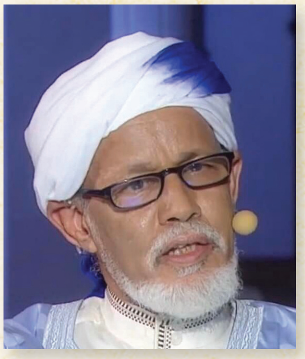
وقديما كان الشّافعيّ يتغنّى بجودة الحفظ ويردّد في شعره:



الشيخ محمد الأمين
بن محمد المختار



العلّامة محمد المختار
ولد أباه



الدكتور الخليل النحوي

عِلْمي مَعي حيثُما يَمَّمْتُ يَتْبَعُني
صَدْري وِعاءٌ لَهُ لا بَطْنُ صُندُوق
إنْ كُنتُ في البَيت كانَ العلمُ فيه مَعي
أوْ كنتُ في السُّوق، كانَ العِلْمُ في السّوق

وشيخُ المحضرة ليس أستاذا مُعَلّما أو مُديرا يُديرُ شؤونَ محضرته وحسب، وإنّما هو، قبلَ ذلك وبَعْدَه، رجلُ المجتمع الأوّل، والشّيخُ المفتي، والقاضي المُحَكَّمُ الذي يحتكمُ إليه أبناءُ القبيلة والدّيار المجاورة، والمحَنَّكُ النّاصحُ، والمربّي الرّؤوفُ، والإمامُ الواعظ، والتّاجر أو الفلّاحُ الذي يُنفِقُ من أمواله على طلّاب العلم، وكَمْ مِنَ المشايخ ضربوا الأمثالَ في الإنفاق على طلاب العلم، وسارت الرّكبانُ بمواقفهم، وتحدّثَتِ السُّمّارُ بمناقبهم، وتُنُوقِلت أحاديثُ عن البركات التي يشهدُها القريبُ والحبيبُ والغريب في ديارهم.

ولله درُّ العلّامة الخليل النّحويّ الذي وصف شيخ المحضرة بقوله: «ليسَ شيخُ المحضرة مُديرَ مُؤسّسة يُعنى بمحاسبة رجالها، وإنّما هو (مرابط) يقفُ على ثَغْر من ثغور العلم، يُنفقُ من ماله على مَنْ أتاه يسأله». [بلاد شنقيط: المنارة والرّباط].

والذي يعنينا بيانُه في هذا المقام العنايةُ الكبرى التي يُوليها علماءُ شنقيط لعلوم اللّغة العربيّة، بل إنّ بعض المحاضر لها وَلَعٌ بالنّحو لا يُبارى، وشَغَفٌ به لا يُجارى. وقدّمَتْه بعضُ المحاضر على الفقه لكونه العاصِمَ من الخطأ، والحامِيَ من الزّلل، والضّامِنَ لسلامة فهم النّصوص وحُسن صَوغ الفتاوى.

ورحِمَ الله تعالى الشّاعر القائل:

النّحوُ يبسُطُ من لسان الألْكَن
والمرءُ تَحْمَدُهُ إذا لمْ يلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العُلوم أجَلَّها
فأجلّها منها مُقيمُ الألسُن

ولله دَرُّ مُهَذِّبِ النّحو العربيّ الذي وطَّدَ أركانَه وأقام بُنيانَه جمال الدّين أبي عبد الله بن مالك الأندلسي حين قال في مقدّمة كافيته الشّافية:

وبعدُ، فالنّحوُ صَلاحُ الألْسِنَة
والنّفسُ إنْ تَعْدمْ سَناهُ في سِنَهْ
به انكشافُ حُجُبِ المعاني
وجِلْوَةُ المفهوم في الأذهانِ

وفي حُبِّ الشَّناقطة للعربيَّة تغنّى شاعرُهم أحمد بن محمد بن عبد الله بأبياته الجميلة التي أصبحت عنوانا يفخر به كلُّ شنقيطيّ محضريّ:

لنا العربيّةُ الفُصْحى وإنّا — أعَمُّ العالمين بها انتفاعا
فمُرْضَعُنا الصّغيرُ بها يُناغي — ومُرْضِعُهُ تُكوِّرُها قناعا

ولا يُعَدُّ، في عُرْف أهل شنقيط، الطّالبُ طالبًا مَحْضريّا إنْ لم يُتقن مُلْحَةَ الإعراب وألفيَّةَ ابنِ مالك، ولاميةَ الأفعال، ومُثَلَّثَ قُطْرب، والمقصورَ والممدودَ، ومقاماتِ الحريريّ،

ودواوينَ السّتّة الجاهليّين، والمعلّقات السّبع، وديوانَ غيلان ذي الرُّمّة، ولاميةَ العرب، ومقصورةَ ابنِ دُريد، وما يُضاهي هذه الأسفار الأصيلة جزالةً وثراءً.

وجُملةُ القول: إنَّ عناية الشّناقطة بعلوم اللّغة لا تُماثلها عناية، ولا يُضاهيهم في تدريسها وإتقانها قومٌ من الأقوام في القرون الثّلاثة الأخيرة حتّى أصبحوا تُضرَبُ بهم الأمثالُ في ذلك حفظًا ودرايةً وإنشاءً وتعليمًا ومعرفة بغريب اللغة ونوادرها وأوابدها.

أمّا إذا يَمَّمْتَ وَجْهكَ شَطْرَ الفقه المالكيّ، فإنّك تُلْفي من أخبارهم معه ما يسُرّكُ ويُبهِجُك، ويُطرِبُك ويُسْعِدُك، وتجدُ العَجَبَ العُجاب والبَحْرَ العُباب من الأحداث والأقاصيص التي تكادُ تكونُ ضَرْبًا من الخيال ونسْجًا من الأحلام لولا الرِّواياتُ المتواترة عن حفظهم المتقن لابن عاشر ورسالة أبي زيد القيروانيّ ومختصر خليل الذي هاموا بحُبّه أيّما هُيام، وفضّلوه على الحسناوات الهَيْفاوات، والغِيدِ الأماليد، حتّى إنّ صبيانَهم في مرحلة الطّلب يتهَكّمون ويتفكّهون في مجالسهم بأنّ الذي لا يحفظُ مَتْنَ (سيدي خليل) ناقصٌ في المروءة غيرُ ناضج في فكره.

بل بلغ بعضُ علمائهم شأوًا عظيما في التَّفَنُّن والتّعمُّق في شرح متن المختصر إلى درجة حفظ شُروحه ومباحثه ومسائله، ولا جَرَمَ أنَّ الذي يفعلُ ذلك يكون على مستوى عالٍ من النّباهة والذّكاء وقوّة الحافظة ونقاء الفطرة.

وكان شعراؤهم وفقهاؤهم يَعُدُّونَ الجَهْلَ بالفقه والنَّحو ذَنْبًا لا يُغتَفَرُ بل مَعَرَّةً فاضحةً للمرء إذا جمعته بالفُضلاء المجامعُ.

هُوَ الجَهْلُ جَهلُ الفِقهِ ليسَ بجائزٍ
وجاهلُ عِلمِ النَّحوِ ليسَ بفائزِ
وجَهْلُ عَروضِ الشِّعْرِ شرُّ غَـريـزَةٍ
إذا عَدَدْتَ يومًا شِرارَ الغرائزِ
ولا تَترُكُوا التّوحيدَ مُلغًى فإنّهُ
لِخَيْمةِ دينِ المرءِ إحدى الرَّكائزِ

وكان المبرّزون من أبناء المحاضر لا يكتفون بدراسة مختصر خليل وشُروحه، بل يَجْمعون إليه مُطالعة أمّهات كُتُبِ الفقهِ المالكيّ التي ورثوها كابرًا عن كابر، وتلَقَّوْها بالسَّنَدِ المتَّصل مثل المدوّنة والعَتْبيّة والواضِحة والمَوّازيّة وغيرها.

تجدرُ الإشارةُ إلى أنّ المحاضرَ في موريتانيا نوعان: محاضرُ موسوعيّةٌ عامّة، ومحاضرُ تخصُّصيّة، ولكلّ نوعٍ منها مناهجُ وأولويّاتٌ في ترتيب العلوم والمتون التي يدرسها طالب العلم، وتلتقي كلُّها في إتقان حفظ المتون اللغويّة والشّرعيّة المشهورة مع دراسة شروحها والحواشي التي كُتِبَتْ عنها.

ومن جملة المحاضر الذّائعة الصّيت الطّيّبة الذّكر: (١) محضرة العلّامة الشّيخ سيديا الكبير الذي تعلّم على يديه كوكبةٌ من العلماء الأعلام والجهابذة الفطاحل والفقهاء القُضاة، وقد كانت محضرتُه جامعةً فقهيّةً متخصِّصةً اجتمعت فيها المذاهبُ الأربعة على حدّ سواء.

قال فيه أحد طُلّابه:

يا شَيْخَنا يا وارثَ النُّعمانِ ... والحَرَمِيّيْن مع الشَّيْباني

والمقصودُ بالنُّعمان أبو حنيفة النُّعمان، والحرميّان هما مالكٌ والشّافعيّ، والشّيبانيُّ هو الإمام أحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى أجمعين.

ومنها (٢) محضرة العلّامة المختار بن بونا الجكنيّ الذي حازَ السَّبقَ في علوم اللّغة بجميع فروعها، وله نَظْمٌ جاوز ألف بيت جعله تَكْمِلةً لألفيّة ابن مالك المعروف بـ (الاحمرار)، وذَيَّلهُ بشرحٍ فريد مشهورٍ باسم (الطُّرَّة)، فهو شيخُ الجميع بلا منازع. ومن أشهر طلّابه الذين جوّدوا وبرّزوا في العلوم، ولمعت نجومُهم، العلّامةُ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويّ الشّنقيطي صاحب كتاب مراقي السُّعود في أصول الفقه، وهو نظمٌ بديعٌ يزيد على ألف بيت من الشّعر التّعليميّ القويّ الرّصين. ومنها (٣) محضرة العلّامة يَحْظَيَّهْ بن عبد الودود الجكنيّ التي اشتهرت بإقبال الطّلاب عليها من كل حَدْبٍ وصَوْب. ومنها (٤) محضرة العلّامة المختار بن ألمّا، (٥) ومحضرة العلّامة الحسن بن زين الغُنانيّ الشّنقيطيّ، العالم البارع في علوم الآلة، والذي قيَّظه الله تعالى للامية الأفعال فشرحها وبيّنها،

وأزال كثيرا من لأْوائها على طلّاب العلم.

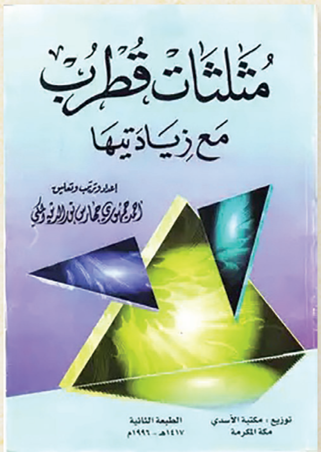
ومنها (٦) محضرة العلّامة الحاج بن فحفو المسوميّ التي كانت مَحَجًّا يَؤُمُّها عاشقو الألفيّة وهُواةُ مختصر خليل، ولا يَأبَهون بما يُعانون في سبيل مآربهم العلميّة من شَظَف العيش والانقطاع عن الأهل والأحباب، وقد عُرِفَ شيخُها بالزُّهد والصّلاح إلى درجة التّبتُّل والانقطاع عن الدّنيا، ورزقه المنعمُ الوَهّابُ سبحانه من البركة ما رزقه، وغشّى محضرتَه من القبول ما غشّاها.

ومنها (٧) محضرة عين الخشبة للعلّامة أحمد فال بن أحمدن، (٨) ومحضرة آل عدُّود الموسومة بأمّ القرى، (٩) ومحضرة العلّامة ابّاه بن عبد الله المعروفة بالنّبّاغيّة، وغير هذه كثير من جَمٍّ غفير من معاهد العلم ومنارات التّقوى، نعُدُّ منها ولا نُعدِّدُها.

هذا، ويأبى يراعي الكَهامُ أن يُفارقَ هذا القِرْطاسَ قبل أن يُعَرِّجَ على ذِكْرِ بعضِ نُجوم العلوم وشُموس المعارف التي سطَعَتْ أنوارُها في ديار شنقيط قديما وحديثا، ولا يَحْدُوني للحديث عنهم إلا الوفاءُ لمقاماتهم العليّة والإكبارُ لقاماتهم العلميّة الجليلة السّامقة وأقدارهم الباسقة في دنيا العلوم والثّقافة.

من هؤلاء العلماء الفطاحل والمبرّزين الأفاضل، سَليلُ الكرام، وفَرْعُ شَجَرة المجد، الشّيخُ العلّامة الفهّامة في التّفسير وعلوم القرآن وعلوم اللّغة، المُفسِّرُ الأحْوَذِيُّ اللَّوْذَعِيُّ الهُمام، والكاتبُ البليغُ المبين، صاحبُ أضواء البيان الشّيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشّنقيطي الذي سَطَعَتْ شمسُه في بلاده أوّلا، ثمّ تَجَلّت أنوارُهُ في بلاد الحرَمين المُعَظَّمين حيث درَّسَ وعلَّمَ، وكتَبَ وأبْدَعَ، وسالت قريحتُه بأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

ومنهم العلّامةُ الجِهبذُ اللُّغويُّ الشّاعرُ البارعُ محمد بن أحمد بن محمد التّركزيّ الشّنقيطيّ (ت ١٩٠٤م)، المشهور باسم ولد التّلاميذ الذي صال في العلوم اللّغوية وجال، وبرّز فيها وتمَيّز، حتّى إنّه ألّف كُتُبًا في مُقارعة الأعلام المعجميّين مثل كتابه «تصحيح أساس البلاغة»، وكتابه «تصحيح القاموس المحيط»، وكتابه «تصحيح المخصّص لابن سيده».



وكفى بمن يُناطحُ هذه المعجمات الأمّهات، ويستدرك على أصحابها سَعَةَ علمٍ ودقّةَ تمحيص وغيرةً على العربيّة.

ومنهم العالمُ اللّغويُّ البارعُ، الحافظُ المتقِنُ الذي اشتهر بين النّاس بلقب القاموس المُتجَوِّل لشدّة حفظه وتوقُّد قريحته وحُضور بديهته وسَعة درايته بلسان العرب نحوًا وصرفًا وبلاغة وعَروضا وشِعرًا، العلّامةُ الأديبُ الشّاعرُ المختار بن محمد بن أحمد محمود (ت ١٩٥٩)، الرّجلُ الذي عرفه أهلُ الأدب بمساجلاته الأدبيّة الرفيعة وأشعاره البديعة، ومن ذلك قوله في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

صفوةُ الرُّسْلِ نُكتةُ الكَوْنِ طَه
مَنْ بِهِ أَكْرَمَ الإلهُ الأناما
قَدْ بدا المُصطفى فأبْدى المَثاني
وأبادَ الأوْثانَ والأصناما
ليس في الخَلْقِ مثلُ طهَ جبيناً
لا، ولا مثلُ طهَ ابتساما

ومنهم البحرُ الطّامي والطَّوْدُ السّامي، عَلَمُ الأعلام، وعَيْنُ الأعيان، العلّامةُ يَحْظِيَه بن عبد الودود الذي شُغِفَ بالنّحو شَغَفًا، وفَنِيَ في هواهُ وَجْدًا وكَلَفًا، وكان يُدَرِّسُ ألفيةَ ابن مالك كأنّه يَحْتسي فِنجانَ قهوة أو يَنْهَلُ الماء البارد العذب الزّلال، حتّى شاع تلقيبُه بسيبويه.

ومنهم العالم المُسَدَّد، والكاتبُ المفكِّر، ورجُلُ الدّولة الموريتاني الشّيخ المخضَريّ العَصْريُّ، اللُّغويُّ المَجْمعِيُّ الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة في تعلُّمه وتعليمه الأستاذُ الدُّكتور محمد المختار ولد أبّاه الذي ملأ ذكرُهُ السَّهْلَ والجبل،

وطارت شُهْرَتُهُ في الأمصار، وانتسبَ إلى مجمع الكِنانة، ومجمع الخُرطوم، وأبلى بمداخلاته ومُساجلاته بلاء حسنا، وتولّى مناصبَ تربويّة وثقافيّة وسياسيّة عُليا، وأسّسَ جامعة شنقيط العصريّة وترأّسها رِدْحًا من الزّمن، وسالت قريحتُهُ بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسيّة، وكتاب في موكب السّيرة، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، والشّعر والشّعراء في موريتانيا، ومدخل إلى أصول الفقه المالكيّ، وعدد من المؤلّفات الرّصينة المحكمة الدّقيقة التي تحفِلُ بها المكتبة العربيّة والإسلاميّة المعاصرة.

ومنهم، ولا إخالُني أجانبُ الصّوابَ إذا بالغتُ في الثّناء والإطراء، نَجْمُ نجوم شنقيط، وشمسُ ضُحاها، وبدرُ دُجاها، علّامة المنقول والمعقول، الجهبذُ الفَطحلُ، والحافظُ المبجّل، واللغويّ الذّكيّ، والفقيه الألمعيّ، فريدُ دهره، ونسيجُ وحده، ووحيدُ أقرانه، وقُدوة أمثاله وإخوانه، وابنُ بَجْدَة العربيّة وجُذَيلُها المُحَكّك، وعُذَيقُها المُرَجَّب، شيخُ مشايخ بني عبد الودود، الملقّبُ محمد سالم ولد عَدّود، الذي حفظ فأوعى، وعلّم وأمْلى، وخطب فأسمع وأقنع، وشفى وأغنى، وكتبَ وصنَّفَ، وأبدعَ وألّف، وسارت الرُّكبانُ بذكره، ونطقت الألسنة بفضله، ولولا خشية الإكثار في ذكر مناقبه وتَعداد محاسنه لأرخيتُ لقلمي العنان في الحديث عنه إرخاء.

تقلّد مناصبَ عليا، ثمّ فارقها فراقَ غيرِ وامق إلى بُحور العربيّة ولُجَج الفقه والشّريعة، وقد ختم حياته العلميّة بنَظْم سبعةَ عشر ألف بيت في الفقه المالكي تلخيصًا لمختصر خليل، ثمَّ عكف على شرحه وبسطه في كتابه الموسوم: التّسهيل والتّكميل في الفقه المالكي، الذي يقع في ثماني مجلّدات سمان، مُتْرعَةٍ بالعلم، فيّاضةٍ بالفقه وقواعده، وفروعه ومسائله. رحِمَ الله عزّ وجلّ العلّامةَ محمد سالم ولد عدّود وأسكنه الفردوس الأعلى، مع الرّفيق الأعلى، ورحم الله الرّحمن الرّحيم علماءَ شنقيط وفُقهاءَها، وأعلامها وشُعراءها وأبناءَها، وسقاهم شَرابا هنيئًا مريئًا من يدي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم جزاء يُكافئ حرصهم على العربيّة والذّود عن حماها.

ومن أجلّاء علماء شنقيط، وأنْبِنائها وفقهائها، وأدبائها وشُعرائها، وكبار رجالاتها المعاصرين، صاحبُ المبادرات الكبرى، والأفكار الإبداعيّة البانية، العلّامة الدّكتور الخليل النّحوي حفظه الله تعالى ورعاه، رئيس مجلس اللّسان العربيّ في موريتانيا، الذي يصلُ ليله بنهاره في مصالح شعبه، والذّود عن حقوقه في المجلس الوطنيّ وغيره من المؤسّسات والمنابر والمجامع. ويكفيه خدمةً لأبناء شنقيط أنْ عرّفَ بأعيانهم، وأوضح معالم الحياة الثّقافيّة والفكريّة والأدبيّة فيها في كتابه الثّمين: بلادُ شنقيط: المنارةُ والرِّباطُ، وتالله لو لم يكن له إلا هذه المشاركة الكتابيّة الإبداعيّة القيّمة لكفاه بها مجدًا وفخارًا، ولزاده ذلك بين أعلام العرب والمسلمين عُلُوًّا ووقارًا.

وبعدُ، إذا كانت هذه هي محاضرَ شنقيط في عُلُوّ رسالاتها، وسُمُوّ غاياتها، فلماذا نترُكُها نهبًا لأضراس الزّمن ونواجذ الفقر؟ مَنْ لهذه المحاضر ساعدًا وعَضُدًا؟ مَنْ لهذه الزّوايا والمعاهد ناصرًا ومُؤَيِّدًا؟ أيُضامُ عرينُ العلم والأخلاق وفي بلاد العُرْب والمسلمين عينٌ تطرف؟ أين أربابُ الأموال ورجالُ الأعمال لسَدِّ الخَلّة وجَبْر الكَسْر ورَأْب الصّدع؟ أين الذين في أموالهم حقٌّ معلومٌ للسّائل الفقير وطالب العلم المحروم؟ أينَ كُماةُ العرب الأشاوس وأسودُ الشّرى ذَوو الهمم العليّة والنُّفوس الكبيرة المُحِبَّة للعلم والعلماء؟

هذه دعوةٌ لمن سالمه الدّهرُ، وساعده الجِدُّ، وحالفه السَّعْدُ، وصاحبه توفيقُ المنعم الوهّاب، وعنده من المال والطَّوْل والرّأي السّديد ما يملأ العين، ويُثلِجُ الصّدر، أن يُوليَ هذه المحاضرَ كنفَ الرّعاية، ويبسُطَ يديه بما رزقه مولاه، في سبيل بعث أهل العلم وتوقيرهم، وتذليل الصّعاب وإزالة العوائق التي تقفُ في وجوههم، ودفع اللّأواء وزَحْزَحة البلاء الذي يقُضُّ مضاجعهم ويُنغِّصُ عَيْشَهم، عسى أن تستمرَّ هذه الصّروحُ العلميّة العتيقة في الإنارة والإشعاع، فإنّ دُجى الجهالات في العصر الحديث مُسوَدَّةٌ مُغطِشة، وأعاصيرَ المادّيّات المُحدقة بأبناء الجيل المعاصر عنيفةٌ شديدةٌ هوجاءُ، والتّمكين للمَحاضر الشّنقيطيّة وأخواتها في البلاد الفقيرة هو السّبيلُ الأصوبُ الأقومُ، والمَهْيَعُ الأرشدُ الأحكمُ المُوَصِّلُ إلى الحفاظ على العربيّة لغة القرآن الكريم، وحاملة مقوّمات الأمّة.

أقيمت في 21 سبتمبر ضمن فعاليات المعرض بالعاصمة الأردنيّة

«مجمع اللّغة العربية بالشارقة» يعقد ندوة لغويّة علمية في «معرض عمّان الدّولي للكتاب 2023»

حملت عنوان «اللّغة العربيّة والعوالم الجديدة»



نظّم «مجمع اللّغة العربيّة بالشارقة» ندوةً لغويّةً علميّةً بعنوان «اللغة العربيّة والعوالم الجديدة» بالتّعاون مع «مجمع اللّغة العربيّة الأردني» خلال مشاركته في الدّورة الـ22 من «معرض عمّان الدّولي للكتاب» الذي انطلق في 21 ويستمر حتّى 30 سبتمبر الجاري في العاصمة الأردنيّة، حيث ناقشت الندوة التّحدّيات الّتي تواجه تعميم استخدام اللّغة العربيّة في مختلف مناحي الحياة، والحلول العمليّة للتّغلّب عليها.

وشهدت النّدوة الّتي أقيمت بالتّعاون مع «مجمع

اللّغة العربيّة الأردني» مشاركة كلٍّ من الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، أمين عام مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة والمدير التّنفيذي لمشروع المعجم التّاريخي للّغة العربيّة، والدّكتور محمّد السّعودي، أمين عام مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، والدّكتور إبراهيم السّعّافين، عضو مجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة وعضو مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ.

وناقشت الندوة سبل توثيق أواصر التّعاون العلميّ والمعرفيّ بين مجامع اللّغة العربيّة بشكل عام، لا سيّما بين "مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة"، و"مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ"، مسلّطةً الضوء على أهميّة استخدام اللّغة العربيّة في جميع المجالات وعلى كافّة المستويات العلميّة والطبيّة والبرمجيّة، وضرورة تعزيز دورها ومكانتها في الفضاء الرقمي والافتراضي وعلى منصّات التّواصل الاجتماعي.

وقال الدّكتور امحمد صافي المستغانمي: "اللّغة العربيّة مكوّنٌ أساسيٌ من مكوّنات الهويّة والثقافة العربيّة، والشاهدة على تاريخنا العريق وحضارتنا المجيدة التي استفادت من الإرث العلميّ والأدبيّ والثقافيّ العالميّ، ونجحت بتطويره وتسخيره لابتكار علوم وفنون واستكشاف عوالم جديدة، بالإضافة إلى ترك بصمتنا في تاريخ الحضارة البشريّة".

وأضاف: «مع التحدّيات الّتي تعرقل تعميم استخدام لغة الضّاد، كان لا بدّ من تنظيم هذه النّدوة الّتي تؤكّد أنّ هذه اللّغة الأصيلة قادرة على مواكبة أحدث ما توصّلت إليه العلوم والمعارف الإنسانية والإضافة عليها وتطويرها، وفي هذا المقام، نشيد بالجهود المباركة لصاحب السّموّ الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، في دعم اللّغة العربيّة وحمايتها وتعزيز حضورها بين الأجيال الناشئة».

امحمد صافي المستغانمي: لغة الضّاد قادرة على مواكبة أحدث ما توصّلت إليه العلوم والمعارف الإنسانية والإضافة عليها وتطويرها

بدوره، قال الدّكتور محمد السّعودي، أمين عام مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ: «نرحب بمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة في (معرض عمّان الدّولي للكتاب) ويسعدنا التّنسيق المشترك لتنظيم هذه النّدوة العلميّة التي أثرت رؤى تعزيز استخدام اللّغة العربيّة وأكّدت على مكانتها ودورها الثقافيّ والمعرفيّ الرائد على المستوى العالمي».

وعلى هامش مشاركته في الحدث الثّقافيّ الرائد، استعرض «مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة» مشروع الإمارة الثقافيّ وجهودها في حماية اللّغة العربيّة، مسلّطاً الضوء على أحد أبرز المنجزات اللغويّة والعلميّة في تاريخ الحضارة العربيّة؛ «المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة» الذي يشرف المجمع على إدارة لجنته التنفيذيّة، التي تضمّ 11 مجمعاً من مختلف أنحاء الوطن العربي، حرّرت حتّى الآن 9 حروف في 36 مجلداً.

يشار إلى أن «مجمع اللّغة العربيّة» بالشّارقة حقق إنجازات كبيرة من خلال التّنسيق بين المجامع اللغويّة وتأسيس مظلّة مشتركة لدعم أعمالها وأنشطتها، بهدف تعزيز اللّغة العربيّة وحمايتها وترسيخ مكانتها بين اللّغات العالميّة، بالإضافة إلى تأسيس «مركز اللّسان العربيّ» لتعليم اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها، وإطلاق «المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة»؛ المشروع المعرفيّ الذي يؤرّخ لألفاظ لغة الضّاد ويبيّن أساليبها وتطوّر دلالاتها عبر أكثر من 17 قرناً.

خلال فعاليات المجلس الّلغوي السّادس بالمجمع

أمين عام مجمع الّلغة العربيّة بالشّارقة

يستعرض دقّة المفردة وجماليّات المعاني في القرآن الكريم



دعا سعادة الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، أمين عام مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، معلمي اللّغة العربيّة إلى أن يغرسوا في وعي طلابهم ما تختزنه لغة القرآن الكريم من دقّة في معانيها وبيانها، والتنبّه إلى أنّ كلّ لفظٍ في العربيّة له كيانه وخصائصه، ولا وجود لأيّ تشابه في معاني الألفاظ أو تكرار، بدليل ما يحويه كتاب الله الكريم من مفردات يستخدمها النصّ القرآنيّ بمعانٍ غير متشابهة حسب سياقها.

جاء ذلك في جلسة حواريّة بعنوان «وقفةٌ معجميّةٌ في البيان القرآنيّ»، نظّمها "مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة"، في مكتبته، وهي السّادسة ضمن فعاليات المجلس اللّغوي التي تُنظّم كل شهرين، وتركّزت حول المفردات القرآنيّة وتحليل معانيها، وأدار الجلسة الباحث الدّكتور بهاء الدّين عادل دنديس.

دقّة معاني مفردات القرآن

وقال أمين عام المجمع: «إنّ النصّ القرآنيّ يحمل جمالياته ودقّة مفرداته التي تحدّثت عن نفسها قبل أن يأتي المفسّرون وعلماء البيان بشروحاتها وتحليلاتها، وإنّنا عندما نقرأ الكثير من الآيات القرآنيّة نلاحظ تصويرها للمعاني باستعمال مفردات لا ترادف فيها أو تشابه في المعنى».

وأشار إلى أنّ المعنى في الذّكر الحكيم مقدّم على الفواصل وأنّ الكلمات تتّسق مع بعضها ولها درجات من المعاني، وأعطى مثالاً على كلمة الصّراط التي وردت 46 مرّة في القرآن الكريم، وفي كلّ مرّة تأتي لتأكيد معنى في



سياق يجعلها مناسبة للموضع الّذي وردت فيه.

اجتهاد المعاجم

وبيّن أنّ تاريخ المعاجم الّتي استنطقت التّراث العربيّ حافلٌ بالاجتهاد، وفيها ما يتتبّع جذور الكلمات وعلاقاتها بالسّور القرآنيّة، وتقدّم دروسًا في ثراء اللّغة العربيّة، وأشار إلى أنّ المعجم الّذي جمع أصول الكلمات العربيّة أكثر من غيره هو معجم "مقاييس اللّغة" لأحمد بن فارس.

وقال: «يمكن تحليل عدد من مفردات النصّ القرآنيّ في سياق تدّبر الآيات والتّعرف على دلالاتها من خلال معاني اللّفظ القرآني، مثل الصّراط والمزّمّل والمدّثّر وقسمة ضيزى، وغيرها من المفردات الّتي تكشف أن كلّ سورة قرآنيّة يمثّل عنوانها سلسلة من المعاني والدّلالات تعكس مفرداتها ودقّتها التّعبيريّة، ومهما تناولنا مفردات من آيات القرآن الكريم فإنّها تؤّكد لنا الدقّة المتناهية والعوامل المشتركة والتّجاذب اللّفظي والهندسة البنائيّة في الذّكر الحكيم».

تجاذب لفظي

وأشار إلى أنّ التّجاذب اللّفظي فيما بين الكلمات يظهر في استخدام كلمات مختلفة لوصف نفس المفهوم بدرجات متباينة، مثل القول اللّين والقول الثّقيل والقول المعروف والقول السّديد والقول الكريم، وأن كلّ قول يشير إلى درجة مختلفة من المعنى، مثل قوله الله تعالى في سورة الإسراء «وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً».

وأضاف أن هدف المفسّرين للنّصّ القرآنيّ في السّابق لم يكن الاهتمام بدراسة النّصّ القرآنيّ دراسةً شموليّة تكامليّة، وأن أغراض التّفسير لم تصل إلى حدود تبيين دلالات المفردات وجذورها ودقّتها وجمال الاتّسّاق فيها، وأنّ الاهتمام لديهم كان ينصبُّ على تبيين معنى المفردة في سياقها فقط، أمّا الدّراسات الحديثة، فإنّها تنظر نظرة شاملة وتقارن وتبيّن اتّساق نصوص القرآن الكريم، وانسجام الألفاظ في كل سورة.

وختم الدّكتور امحمد صافي المستغانمي حديثه بالإشارة إلى أنّ معرفة الشّعر العربيّ قديمه وحديثه، تُكسب القارئ فصاحة، لكنّها لا تتفوّق على ما تحويه لغة القرآن الكريم من فصاحة وبيان، «لأنّ من يقرأ القرآن وهو واعٍ يُدرك الفرق بين الكلمات والمعاني ويُدقّق في حقائقها».



دمشق تحتضن أول مجمع لغوي علمي منذ 1919



أ. د محمود أحمد السّيّد
رئيس مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق

أولًا- نشأة المجمع

يُعَدُّ مَجْمَعُ اللُّغة العربيَّة في دمشق أبا المَجامِعِ العِلميَّة اللُّغويَّة على الصَّعيد العربيّ؛ إذ إنَّ تأسيسه كان في 8 حزيران عام 1919 بعد التَّحرّر من الاحتلال التُّركيّ لبلاد الشّام، وكان اسمه آنذاك «المجمع العلميّ العربيّ»، وكان الأستاذ محمد كرد عليّ أوّل رئيس له. وكانت اللّغة التركيّة في بلاد الشّام سائدة آنذاك في مجالات الحياة كافّة، حتى إنَّ قواعد اللُّغة العربيَّة كانت تدرس باللّغة التّركيّة في مكتب عنبر، وهو المدرسة الثّانويّة الوحيدة في ذلك الوقت.

وقد تجلَّت أهداف المجمع فيما يلي:

1 - النَّظر في اللُّغة العربيَّة وأوضاعها العصـريَّة، ونَشْـر آدابِها، وإحياءِ مخطوطاتِها، وتعريبِ ما ينقُصُها من كُتبِ العلوم والصِّناعاتِ والفُنونِ عن اللُّغاتِ الأوربيَّة، وتأليف ما تحتاجُ إليهِ من الكُتبِ المُختلفةِ المواضيع على نَمَط جديد.

2 - جَمْع الكُتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كُتب عامَّة.

3 - جَمْع الآثارِ القَديمةِ عربيَّة وغير عربيَّة وتأسيس متحف لها.

4 - إصدار مجلَّة خاصَّة بالمَجْمَع يَنشُرُ فيها أفكارَه وأعمالَه، وتكونُ رابطةً بينَه وبينَ المؤسَّسات المُماثِلة. (1)

وغَنِيٌّ عن البيان أنَّ دار الكُتب العامَّة الّتي ارتبطَت

بالمَجْمَع هي «دار الكتب الظّاهريّة»، وأنّ موضوع الآثار وتأسيس متحف لها كان مرتبطًا بالمَجْمَع قبل إحداث وزارة الثَّقافة إبان الوحدة بين سورية ومصر عام 1958.

وأضحى اسم المجمع: «مَجْمَع اللُّغة العربيَّة» في عهد الوحدة بين سورية ومصــر مكان التَّسميَة بالمَجْمَع العلميّ العربيّ، وذلك على غِرار تسمية مَجْمَع اللّغة العربيَّة في القاهرة. ويهدف مَجْمَع اللُّغة العربيَّة بدمشق بموجب المرسوم التَّشــريعيّ ذي الرَّقم 50 والتّاريخ 2008 إلى:

1 – المحافظة على سلامة اللّغة العربّية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطوّرة.

2 – وضع المُصْطَلحات العلميّة والفنيّة والأدبيّة والحضاريّة، ودراستها وفق منهجيّة محدَّدة، والسَّعي في توحيدِها ونشرِها في سورية والوطن العربيّ.

3 – العناية بالدّراسات العربيّة الّتي تتناول تاريخ الأُمَّة العربيَّة وحضارتها وصِلَتها بالحضارات الأخرى.

4 –العناية بإحياء تُراث العرب في العُلوم والفُنون والآداب تحقيقًا ونشرًا.

5 – النَّظر في أُصول اللُّغة العربيَّة وضبط أَقْيِسَتِها، وابتكار أساليب مُيَسَّرة لتعليم نحوِها وصَرْفِها، وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسَّعي في كُلّ ما من شأنه خدمة اللُّغة العربيَّة وتطويرها وانتشارها.

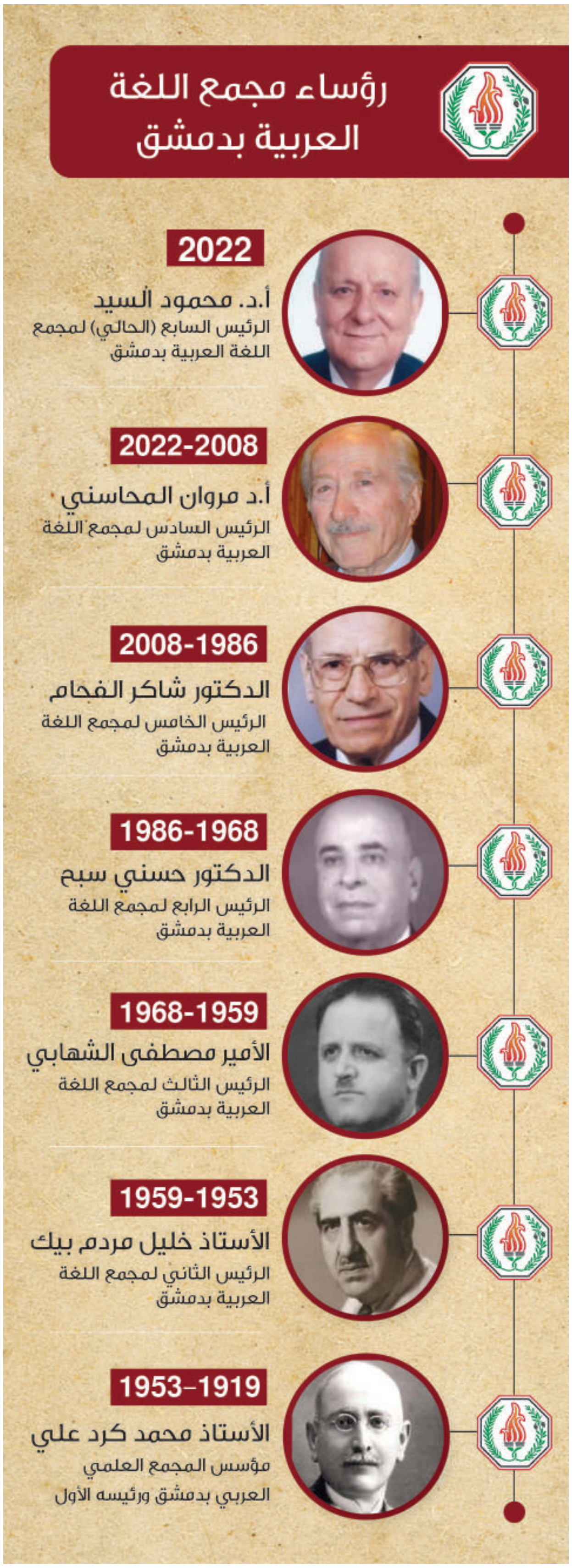
6 – الحَدّ من استفحال العاميَّة في مُختَلَف المجالات.

7 – النَّظَر في كل ما يَرِدُ إلى المَجْمَع من موضوعات تتَّصِلُ بأهدافه.

ثانيًا- وسائل تحقيق أغراض المجمع

نَصَّت المادَّة الرّابعة من قانون مَجْمَع اللُّغة العربيَّة بدمشق الصّادر عام 2008، والمعمول به حاليًّا على وسائل تَحقيق أَغْراض المَجْمَع على النَّحو الآتي:

1 –وضــع مُعْجَمات لغويّة عصريّة، ومُعْجَمات للمُصْطَلحات العلميَّة والفنيَّة والتَّقانيَّة ذات تعريفات مُحدَّدة وتَحديثِها ونَشرِها.



2 – دراسة قَضايا الأَدَب ونَقْده وتَشجيع الإنتاج الأَدبيّ، بالتّنويه به، أو بِعَقْد نَدَوات أو مُسابَقات فيه ذَوَاتِ جَوَائِزَ أو بأيّ وَسيلة أُخرى.

3 – إصدار الكُتُب والنَّشرات ونَشْر ما يَراه مُناسِبًا لأهدافِهِ في مجلَّة المَجْمَع، وما يُلائمُ أعمالَه المَجمعيَّة والثَّقافيَّة من نُصوص ودِراسات وتَحقيقات ومُصْطَلَحات.

4 – عَقْد مؤتمر سَنَويّ للنَّظَر في أَعمال المَجْمَع السَّنَويَّة، والقيام بالأنشطة العلميَّة والثَّقافيَّة الّتي تَتَّصل بأهداف المَجْمَع من نَدَوات ومُؤتَمَرات ومُحاضَرات، والاشتراك في ما يُدْعى إليه المَجْمَع من نَدَوات ومُؤتَمرات مُماثِلة.

5 – توثيق الصِّلَة باتّحاد المَجامِع اللُّغويَّة العلميَّة العربيَّة، والتَّعاون مع المَجامِع والهَيئات اللُّغويَّة والعِلميَّة الأُخرى لِخِدمةِ أهدافِه.

6 – الاستعانة بِكُلِّ ما تُنْتِجُه التِّقانات الحديثة من وسائل لِخِدمةِ اللُّغةِ العربيَّة.

7 – متابعة تنفيذ ما يَنْتَهي إليه المَجْمَع من قَراراتٍ لِضَمانِ سلامَةِ اللُّغةِ وحمايَتِها وتمكينِها في المُجتَمع، وتَيسيرِ تَعليمِها، وتوحيدِ المُصْطَلَحات الّتي يُقِرُّها لدى الجِهات المَعنيَّة كافَّة.

8 – اتخاذ ما يَراه من تَدابير أُخرى لِخدمَةِ أَهدافِه.

ثالثًا- بنية المَجمَع التّنظيميَّة

نَصَّت المادَّة 2 من المَرسوم التَّشريعيِّ ذي الرَّقم 50 والتّاريخ 11/9/2008 على أنَّ مَجمَع اللُّغة العربيَّة هيئة عامَّة علميَّة مُستقلَّة ذات طابع إداريّ تَتَمتَّع بالشَّخصيَّة الاعتباريَّة والاستقلال الماليّ. ويُعَدُّ المرجع الأعلى في شؤون اللُّغة العربيَّة، ومَقرّه مدينة دمشق.

مَجلس المَجْمَع

يتألَّف مجلس المَجْمَع من 25 عضوًا، يُنْتَخَبون بالاقتراع السِّرّيّ، وتَصْدُر مَراسيم جُمهوريَّة باعتمادِ انتِخابِهم.

من مهام مَجلس المَجْمَع

* انْتخابُ رئيسِ المَجْمَع ونائبِه وأَمينِه وعُضوَيْ مَكتَبِ المَجْمَع.
* انْتِخابُ الأعضاءِ العامِلينَ والمُراسلين الجُدد.
* تَأليفُ لِجانِ المَجْمَعِ من أعضائه ومن الخُبَراءِ المُختَصّين.
* النَّظَرُ في ما تَنْتَهي إليهِ لِجانُ المَجْمَعِ من أَعمال أو تَوصيات وَاعْتِمَادُ ما يُقِرُّه منها.
* إبداءُ الرَّأي واعتمادُ ما يُقِرُّه ممّا تَعرِضه الهَيئاتُ العلميَّةُ والجِهاتُ الرَّسميَّةُ والخاصَّةُ في الجمهوريَّة العربيَّة السّوريّة أو خارجها على المَجْمَع ممّا يَتَّصلُ بأهدافه.
* دِراسةُ التَّقريرِ السَّنويِّ للمَجْمَع وَإِقْرَارُهُ.
* إقرارُ كُلِّ ما له عَلاقة بمؤتمرات المَجْمَع ونَدَواتِه ومُحاضراته.
* النَّظَرُ في كُلِّ ما يَتَّصِلُ بِتَحقيقِ أهدافِ المَجْمَع ووسائلِ تَحقيقِها.

مَكتبُ المَجْمَع

يَتألَّفُ مكتبُ المَجْمَع من خمسة أَعضاء: رئيس المَجْمَع، ونائب الرَّئيس، وأمين المَجْمَع، وعُضوَين من أعضاء المَجْمَع يُنتخبان لمدَّة أربعِ سنوات.

من مهام مكتب المَجْمَع

* إدارةُ أَعمالِ المَجْمَع الماليَّة والإداريَّة وَاتِّخَاذُ القَرَارَاتِ اللّازمةِ بشأنها.
* دراسةُ مَشروعِ مُوازنَةِ المَجْمَع، والحساب الخِتاميّ.
* إنفاذُ قراراتِ مَجلسِ المَجْمَع.

رابعًا- أعضاء مَجمَع اللُّغة العربيَّة بدمشق

1 - الأعضاء العاملون

الأعضاء العاملون هم الّذين يَنتَخِبُهم المَجْمَع لِعُضويَّته بالاقتراع السِّرّيّ، وتَجري عمَليَّة الانتِخاب بأن يَعقِدَ (مجلس المَجْمَع) جلسةً خاصَّةً يَنتَخِب فيها مُرشَّحًا (أو أكثر) من بينِ المُرَشَّحين الّذين تتوفَّر فيهم شروط العُضويَّة. ويَكونُ التَّرشيحُ بِتَزكيَةٍ عُضوَين من أعضاءِ المَجْمَع، ويَفوزُ المُرشَّحُ إذا حَصَلَ على الأَغلبيَّة المُطْلَقَة



من أَصواتِ مَجلِسِ المَجْمَع. ثُمَّ يَصدُرُ مَرسومٌ جُمهوريٌّ يَقضي بِتَعيينِ هذا المُرشَّحِ المُنتَخَبِ عُضْوًا عامِلًا في المَجْمَع، ويُقيمُ المَجْمَع حَفلَةَ اسْتِقبالٍ للعُضْوِ الجَديدِ في جَلسَةٍ عَلَنيَّةٍ.

أمّا شُروطُ التَّرشيح للعُضويَّة، فهي أن يَتحلّى المُرشَّحُ بِصِفةٍ أو أكثر من الصِّفاتِ الآتية:

❋ الاطلاعُ الواسعُ والعميقُ على عُلوم اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها والأصالة في البُحوثِ اللُّغويَّة والأدبيَّة.

❋ الإنتاجُ اللُّغويُّ أو الأدبيُّ أو العلميُّ الرَّفيع في مَجالِ اللُّغة العربيَّة.

❋ التَّخصُّصُ في أَحَدِ ميادينِ المَعرفةِ مع إتقانِ لُغَةٍ أو أكثر من اللُّغاتِ الأجنبيَّة، والتَّمكُّن من قواعدِ اللُّغةِ العربيَّة.

❋ الاهتمامُ البالغُ بالتُّراثِ والمَخطوطاتِ العربيَّةِ مع درايَةٍ تامَّةٍ بِعُلومِ اللُّغةِ العربيَّةِ.

❋ التَّخصُّصُ في تاريخِ الأُمَّةِ العربيَّةِ أو آثارِها أو تراثِها اللُّغويّ أو العلميّ أو الأدبيّ مع التَّمكُّن من قواعد اللُّغة العربيَّة.

وفي جَميعِ الأَحوالِ يَنْبَغي أن يكونَ المُرشَّحُ للعُضويَّةِ ذا سيرة علميَّةٍ وأخلاقيَّةٍ حَميدة، وأن يَكونَ قادِرًا على مُمارسةِ مَهامِّهِ. وأن يكونَ من العَرَبِ السّوريّين. ويَجبُ ألّا يَتَجاوَزَ عددُ الأعضاءِ العامِلينَ 25 عضوًا.

2 - الأعضاء المراسلون

الأعضاءُ المُراسِلونَ هُم أعضاء يَنتَخِبُهم المَجْمَعُ من عُلَماءِ الشَّرقِ والغَربِ من العَربِ وغَيرِهم الّذين لهم مُشارَكات حَقيقيّة في اللُّغة العربيَّة ضِمنَ اختِصاصاتِهم. يُسهِمُ هَؤُلاءِ الأَعْضَاءُ في إِلقاءِ المُحاضَراتِ في المَجْمَع، ويَكتُبون في مجلَّتِه، ويُشارِكونَ في مُؤتمراتِه ونَدَواتِه.

3 - **أعضاء الشَّرَف**

نَصَّت المادَّة 14 من المَرسومِ التَّشريعيِّ رقم (50) على أنَّه:

* يَجوزُ مَنْحُ لَقَبِ (عضو شرف) في المَجْمَعِ لِمَن يكون قد أدّى خدماتٍ جليلةً للّغة العربيَّة أو للثَّقافة أو للمَجْمَع، ويكون ذلك بِقَرارٍ من المَجْلِس، ويَصدُر مرسومٌ باعتمادِ مَنْحِ اللَّقَب.

4 - **الأعضاء الفخريّون**

العضو الفخريّ: هو العُضوُ العامِلُ في المَجْمَعِ الّذي يَرى نفسَه أو يقدّر له المَجلسُ أنَّه لم يَعُدْ قادرًا على القيام بِمَهامه، ويَصدُر مرسومٌ بالتَّسمية.

خامسًا- لجان المجمع

في المجمع لجان عدّة تسعى إلى تحقيق أهداف المَجْمَع؛ من هذه اللّجان: لجنة اللُّغة العربيَّة وعلومها، لجنة النَّشاط الثّقافيّ، لجنة المعاجم، لجنة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، لجنة المخطوطات، لجنة المجلّة، لجنة مصطلحات علوم البيئة، لجنة مصطلحات علوم الأحياء، لجنة مصطلحات الزّراعة، لجنة أَلفاظ الحَضارة، لجنة مصطلحات الميكانيك، لجنة مصطلحات الكيمياء، لجنة مصطلحات الفيزياء، لجنة مصطلحات الرياضيّات، لجنة مصطلحات العلوم التَّربويَّة والنَّفسيَّة، لجنة مصطلحات المعلوماتيَّة، لجنة مصطلحات التَّشريح والجنين ووظائف الأعضاء، لجنة مصطلحات الإعلام، لجنة مصطلحات الجودة، لجنة مصطلحات علم القياس، لجنة مصطلحات علوم الخليَّة والأَنسِجة والأَمراض، لجنة تَنسيقِ المصطلحات، لجنة المكتبة، لجنة موقع المَجْمَع.

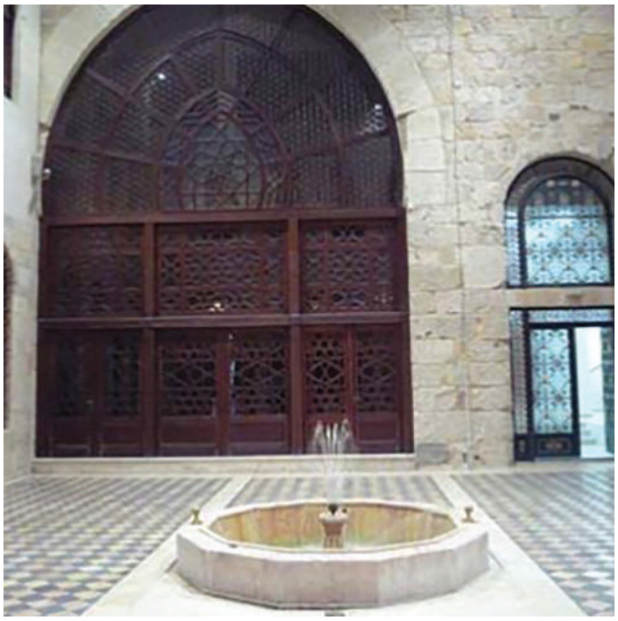
سادسًا- من إنجازات المَجْمَع

1 - **المَعاجم الّتي أنجزتها لِجان المَجْمَع**

صدرت مَعاجِمُ عدَّة أيّام المَجْمَع العلميّ العربيّ، واستَمرَّ مَجْمَع اللُّغة العربيَّة بإنجاز معاجمَ أخرى؛ ومن هذه المعاجم: معجم الألفاظ والمصطلحات الفنيَّة الواردة في أمراض الجُمْلة العصبيَّة - معجم المصطلحات الدّبلوماسيّة - معجم المصطلحات القانونيّة- المصطلحات العلميّة في اللُّغة العربيَّة -



بهو مجمع اللغة العربية بدمشق



الباحة الداخلية للمكتبة الظاهرية



دار الكتب الوطنيّة الظاهريّة

معجم المصطلحات الطبيَّة الكثير اللُّغات للدّكتور كلير فيل ترجمه مرشد خاطر، وأحمد حمدي الخيّاط، ومحمّد صلاح الدّين الكواكبيّ طبعته الجامعة السّوريّة عام 1956م - معجم المصطلحات الجراحيّة - المعجم الفلسفيّ بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة واللّاتينيّة - معجم المصطلحات الأثريّة - معجم المصطلحات الحديثيّة - معجم أسماء الأفعال - معجم الكلمات المُصْطلحيَّة في لسان العرب (الطبّ - العلوم) - معجم الكلمات المُصطلحيَّة في لسان العرب (الحيوان - النَّبات) - معجم الكلمات المُصطلحيَّة في لسان العرب (إدارة - اقتصاد) - معجم فصاح العاميّة - معجم مصطلحات الرياضيّات - معجم مصطلحات الكيمياء - معجم مصطلحات الفيزياء - معجم الإبدال اللُّغويّ.

وثمة معاجم أنجزتها لجان المَجْمَع ما تزال تنتظر دفعها للطّباعة، ومن هذه المعاجم:

- معجم مصطلحات الهندسة الكهربائيَّة والإلكترونيَّة والاتّصالات.
- معجم مصطلحات العلوم التَّربويَّة والنَّفسيَّة الثّلاثيّ اللّغات.
- معجم مصطلحات الميكانيك.
- معجم مصطلحات الجودة.
- معجم مصطلحات علم القياس.

2 - من مطبوعات المَجْمَع

بلغ عدد مطبوعات المَجْمَع /457/ أربعمئة وسبعة وخمسين كتابًا، منها /296/ كتابًا محقَّقًا، و/161/ كتابًا مؤلَّفًا. وتناولت موضوعات هذه الكتب: اللُّغة والنَّحو والأدب والدّين والتَّراجم والتّاريخ والفلسفة وحفلات التَّأبين والفهارس والمُحاضرات والمعاجم والنَّدوات.

وفي طَليعةِ المَخطوطاتِ المُحقَّقَة (تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر). وقد بَلَغَ عدد مُجلَّدات هذا العمل الموسوعيّ ثمانين مُجلَّدًا، صدرَ منه حتّى الآن خمسة وخمسون مُجلَّدًا. ومن أهمّ المخطوطات المُحقَّقَة: (صحيفة هَمَّام بن مُنَبِّه)، وهي أقدم تدوين في الحديث النَّبويِّ الشَّريف.

ومن أمهات الكتب المحقَّقَة: (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصفهانيّ، و(كتاب الإبدال) و(كتاب الإتباع) لأبي الطَّيّب اللُّغويّ، و(الأشباه والنَّظائر في النَّحو) للسّيوطيّ، و(الأشربة) لابن قتيبة، و(تاريخ حكماء الإسلام) لظهير الدّين البَيهقيّ، و(زجر النّابح) لأبي العلاء، و(كتاب الأضداد) لأبي الطّيّب اللُّغويّ، و(كتاب اللّامات) لابن فارس، و(معرفة الرّجال) ليحيى بن معين، و(المُنْتَقى من أخبار الأصمعيّ) للمقدسيّ، و(النّوادر) لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابيّ، و(إعراب الحديث النّبويّ) للعكبريّ، و(أسرار العربيّة) للأنباريّ، و(الدّرّ النّثير والعذب النّمير) للمالقيّ.

وأصْدَرَ المَجْمَع كذلك مجموعة من الكُتُب ترجَم فيها عددًا من أعضاء المَجْمَع الرّاحلين؛ منهم: عبد القادر المُبارك، وعزّ الدّين التّنوخيّ، ومعروف الأرناؤوط، وأمين سويد، وصلاح الدّين المنجد، وحكمة هاشم، وحسني سبح، ومحمّد البزم، وأمجد الطّرابلسيّ، وإلياس قدسي، ومحمّد سليم الجنديّ، وعدنان الخطيب، وعبد الله واثق شهيد، وعبد الرّزّاق قدّورة، وعاصم بيطار، وعزيز شكري، وعبد الوهاب حومد.

وفي عام 2019م أصدر المَجْمَع كتابَ (أعلام مَجْمَع

اللُّغة العربيَّة بدمشق في مئة عام) بمناسبة الذّكرى المئويّة لتأسيس المَجْمَع. اشتمل الكتاب على ترجمة أعضاءِ المَجْمَع الّذين تعاقَبوا عليه خلال مئة عام مُنذ تأسيسِه (1919م) وحتّى تاريخ (2019م).

3 - مجلة المَجْمَع

أصدر المَجْمَع عددَها الأوَّل في 1921/1/1م؛ أي بعد تأسيس المَجْمَع بسنة ونصف السَّنة. وكانت في أوَّل عَهْدِها مجلَّة شهريَّة، ثمّ صارت مجلَّة فصليَّة (كلّ أربعة أجزاء تؤلّف مُجلَّدًا). وهي مجلَّة محكَّمة. صَدَرَ منها حتّى الآن 96 مُجَلَّدًا.

تُعَدّ هذه المجلّة من كنوز المَجْمَع الثّمينة؛ فقد تعاقب على الكتابة فيها الجَمُّ الغفير (قرابة الألف) من أعلام الكُتَّاب والمُفكّرين والباحثين العرب وغيرهم، فَسَطَّروا فيها دراساتهم وبحوثهم وتعليقاتهم واستدراكاتهم وردودهـم، تناولوا فيها مواضيعَ شتّى في مجالات معرفيّة متنوّعَة: في اللُّغة والأدب والعلوم والتّاريخ والجغرافيّة والفلسفة والتَّراجم والآثار وغيرها. وكانت المجلّة إضافة إلى ذلك كلّه مرآة صادقة لأعمال المَجْمَع وأخبارِه ونشاطاتِه، فنُشِرَت فيها أهمّ المُحاضرات الّتي أُلقِيَت في رِحابه، ووقائع مؤتمراته وندواته، وعرَّفَت بمخطوطاته، وأوردت تعريفات وخلاصات نقديَّة لأشهر الكُتُبِ المؤلَّفة والمُحقَّقَة الّتي ظَهرَت باللُّغة العربيَّة.

4 - ندوات المَجْمَع ومؤتمراته

عَقَدَ المَجْمَع ندوات عِدَّة شاركَت فيها مَجامِعُ اللُّغة العربيَّة في الوطنِ العربيِّ في تسعينيّات القَرن الماضي، ومن هذه الندوات: مُعجَم النّفط، ومُعجَم البيولوجيا في علوم الأحياء، واللُّغة العربيّة: مَعالِم الحاضِر وآفاق المُستَقبل، اللُّغة العربيَّة والإعلام، واللُّغة العربيَّة والتَّعليم، إقرار منهجيَّة مُوحَّدة لوضعِ المُصطلحِ العربيِّ، ندوات عن مناسبات أيّام اللُّغة العربيَّة، المحلّات الصّرفيَّة الحاسوبيّة، التّراث في زمن المخاطر، مرصد اللُّغة العربيَّة وآفاق التَّعريب، ودَور المؤسَّسات الوطنيَّة في خدمة اللُّغة العربيَّة.

ومن المؤتمرات الّتي عقدها المَجْمَع:

المؤتمر الأوَّل للمَجامِع اللُّغويَّة العلميَّة العربيَّة (1956م)، ومؤتمر تَيسير تعليم النَّحو، ومؤتمر اللُّغة العربيَّة في مُواجهة المَخاطِر، ومؤتمر قضايا المُصطَلَح العلميّ، ومؤتمر اللُّغة العربيَّة والمُجتمع، ومؤتمر اللُّغة العربيَّة في عصـر المَعلوماتيَّة، ومؤتمر لُغَة الطِّفل والواقع المُعاصر، ومؤتمر التَّجديد اللُّغويّ، ومؤتمر نحو رُؤيَة معاصرَة للتُّراث، ومؤتمر الكتابة العِلميَّة باللُّغة العربيَّة، ومؤتمر واقع اللُّغة العربيَّة في عصرِنا الحاضر، ومؤتمر اللُّغة العربيَّة في التَّعليم العامّ والجامعيّ.

عَقَدَ المَجْمَع ندوات عِدَّة شاركَت فيها مَجامِعُ اللُّغة العربيَّة في الوطنِ العربيِّ

5 -من المحاضرات الّتي أُلقِيَت في المَجْمَع

قام رجالات التَّعريب الأوائل بإلقاء المُحاضَرات العامَّة بَدْءًا من تاريخ إنشاء المَجْمَع؛ فَفي عام 1920 أُلقِيَت مُحاضرتان إحداهُما عن تاريخِ دمشقَ وحضارتِها، والثّانية عن مُلتقى الأدَبَين للويس ماسينيون، وفي عام 1921 أُلقِيَت أربعَ عشرةَ محاضرة، تناولَت الأدب واللُّغة والحقوق والقضاء في الإسلام... الخ.

وفي عام 1922 أُلقِيَت خمسَ عشرةَ محاضرة تناولت الأدب والتّاريخ والطّبّ والمرأة في أدوارها التّاريخيَّة والآثار والصِّناعات ... إلخ. وفي عام 1923 أُلقِيَت إحدى وخمسون محاضرة تَناولت الآثار والتّاريخ والمَخطوطات والطّبّ والعلم والتَّربية الاجتماعيّة وفُصَحاء الأعراب، والألعاب الأولمبيّة، والجامعة السّوريَّة، والعاميَّة والفَصيحة...إلخ، وفي عام 1924 أُلقِيَت إحدى وستون محاضرة تناولت الآثار والتّاريخ والتّربية والاقتصاد والقِيَم والعادات الاجتماعيَّة والآداب، وثمَّة محاضرات موجَّهة للسَّيّدات مثل: الحياة السَّعيدة، ودرس في التَّعليم والتَّأديب، والبنت في البيت والمدرسة والعالَم،

في الأخلاق والآداب، التَّعاون والتّحابّ، الحياة الاجتماعيّة، الزَّوجة في البيت والعالَم، الصّحّة والتَّداوي، التَّرتيب، كلمة اجتماعيَّة، وحقوق المرأة في الإسلام، الغيبَة والنَّميمَة، والأخلاق عند العرب، وتبدّل الحياة البَيتيَّة في الشَّرق الأقصى. وكانت المرأة تُسهِم في إلقاء بعض المُحاضرات، إذ إنّ السَّيِّدة روز شحفة ألَقَت مُحاضرة عُنوانها «واجبات المرأة في الهيئة الاجتماعيّة»، ومحاضرة عنوانها «درس اقتصاديّ للسَّيِّدات». وألقت السَّيِّدة سارة الخطيب محاضرة عنوانها «المرأة وواجباتها الوطنيَّة والزَّوجيَّة»، ومحاضرة عنوانها «موضوع اقتصاديّ»، وألقَت السَّيِّدة خَيريَّة ريس محاضرة عنوانها «موضوع أخلاقيّ أدبيّ».

وفي النِّصف الثَّاني من عشرينيّات القرن الماضي أُلقِيَت إحدى وثمانون محاضرة، ألقى معظمها الأستاذ محمّد كرد علي، وعبد القادر المغربيّ.

ولقد ألقى الأستاذ أحمد حسن الزيّات محاضرة في عام 1932 عن ألف ليلة وليلة، ومحاضرة ثانية لعضو المَجْمَع عزّ الدّين التّنوخيّ عن لُغَة شوقي.

وفي عام 1936 أُلقِيَت تسع مُحاضَرات، أَلْقى أحمد أمين محاضرتَين منها عن المتنبّي وسيف الدّولة، وفلسفة القوّة في شعر المُتنبيّ، كما أَلقى أمين الرَّيحانيّ محاضرة عنوانها المتنبيّ رسول العروبة، وألقى إسعاف النَّشاشيبي محاضرة عنوانها «سيفيات المتنبّي».

وفي النِّصف الأوَّل من أربعينيّات القرن الماضي أُلقِيَت مئة وتسع محاضرات، وكانت ثمَّة عشرون محاضرة منها قد أَلقَتْها سيّدات. وظلَّت مسيرة المحاضرات مستمرَّة في النِّصف الثَّاني من القرن الماضي، ولكن حدث أن حالت ظروف طارئة دون انطلاقها في بعض السَّنوات.

وفي تسعينيّات القرن الماضي، والعقود الأولى من الألفيَّة الثّالثة تجدَّد إلقاء المحاضرات في مجالات مختلفة.



السيدة روز شحفة

6 –الطَّلب إلى رئاسة مجلس الوزراء التَّعميم على الجهات المعنيَّة في الدَّولة إرسال قوائم بالمصطلحات الأجنبيَّة في مجالات عملها إلى مَجْمَع اللُّغة العربيَّة بُغيَة وضع المصطلحات العربيَّة المقابلة لها، وقد وردت هذه القوائم من الجامعات، ووزارة الإعلام، ووزارة الاتّصالات، ووزارة التّربية وغيرها.

7 – الإجابة عن أسئلة موجَّهة من المؤسَّسات والأفراد للاستفسار عن صِحَّة استعمال بعض الكلمات والتَّعابير، إضافة إلى بعض المسائل المتعلِّقة باللُّغة والنَّحو والصَّرف.

8 – وضع أدلّة لتَيسير اللُّغة من مثل: دليل القواعد الإملائيَّة، وقرارات المَجْمَع في الألفاظ والأساليب.

9 – تخصيص جوائز باسم رؤساء المَجْمَع الرّاحلين: فمُنِحَت جائزة باسم محمّد كرد عليّ في العلوم الإنسانيّة، وجائزة باسم خليل مردم بيك في الآداب، وجائزة باسم الأمير مصطفى الشّهابي في علوم الحياة، ويُعِدُّ المجمع حاليًّا جائزة باسم الدّكتور حسني سبح في العلوم الطِّبّيّة.

10 – الإسهام في الفعاليات الثَّقافيَّة خارج المَجْمَع: لم يكن المَجْمَع في منأى عمّا يجري في المجتمع من مناشط وفعاليّات، فقد أسهم أعضاؤه في إلقاء المحاضرات العامَّة في المراكز الثَّقافيَّة والنَّوادي والجامعات، والمشاركة في الفعاليّات الّتي تُقيمُها بعض الجِهات في المُجتَمع.

11 – الإسهام في أعمال مشروع المُعْجَم التّاريخيّ للُّغة العربيَّة: وهو المَشروع الرّائد الّذي يقوم اتّحاد المَجامِع العلميَّة اللُّغويَّة في الوطن العربيِّ بإنجازه بالتَّنسيقِ مع مَجْمَع اللُّغة العربيَّة بالشّارقة، وبِتَوجيه من حاكم الشّارقة الشَّيْخِ سُلْطَانَ القَاسِمِيِّ حَفِظَه الله ورعاه، دعمًا وتمويلًا ومُتابعةً وتنفيذًا.

وقفة مع الأعمال الفائزة في جائزة الشّارقة للدّراسات اللغويّة والمعجميّة

فرع المعجميات:

كتاب نحو بناء معجم للمتلازمات اللفظية في المعاجم العربية المعاصرة

للدكتورة بدرية بنت براك العنزي



شيماء عبد الله
باحثة لغوية في مجمع اللغة العربية بالشارقة

إنّ الكلمات سجلٌ ذهنيٌّ واجتماعيٌّ وتاريخيٌّ للغة وأهلها، وهي الوسيلة التي يمكن من خلالها الولوج إلى اللغة لا بوصفها وسيلة تواصل وحسب بل بوصفها سجلًا حضاريًا للأمّة؛ لذا فإنّ دراسة المعجم العربيّ تتعدّى كونها تفسيرًا للدّلالات ورصدًا للمعاني، بل تتشعّب أهدافها وتتنوّع غايتها، وتتّفق كلّها على خدمة اللغة العربيّة بين أهلها وإيصالها إلى متعلّميها بكلّ ما تحمله من زخم معرفيٍّ وثقل حضاريّ، ومن هذا المنطلق أتت جائزة الشّارقة للدّراسات اللغويّة والمعجميّة لتتوّج الجهود النّوعيّة التي تناولت اللغة العربيّة وقضاياها، وأفردت محورًا للدّراسات المعجميّة لتفتح المجال أمام الباحثين والعلماء ليضعوا أيديهم في عمليّة تطوير الصّناعة المعجميّة العربيّة.

وفي إطار الجهود البحثيّة المعجميّة النّوعيّة جاءت دراسة الدّكتورة بدريّة بنت براك العنزي (نحو بناء معجم للمتلازمات اللفظيّة في المعاجم العربيّة المعاصرة) لتحصد المركز الثّاني في محور الدّراسات المعجميّة في جائزة الشّارقة للدّراسات اللغويّة والمعجميّة في دورتها الثّالثة، والواقع أنّ هذه الدّراسة اكتسبت أهمّيتها من نواحٍ عديدة، إذ تتمحور قضيّة الدّراسة في الفجوة الواضحة في الصّناعة المعجميّة للمتلازمات التي لم تحظ بعد بجسور تربط بين واقع التّقييس المعجميّ والواقع اللغويّ، بما في ذلك المتلازمات اللفظيّة ومعالجتها آليًّا ومدى تمثيلها للاستعمال اللغويّ الحيّ، واستثمرت هذه الدّراسة ما أنتجته اللسانيّات الحاسوبيّة في الوصول إلى نتائجها.

وقد جاءت هذه الدّراسة في أربعة فصول، تسبقها هذه المقدّمة وتعقبها خاتمة، وهي على النّحو الآتي:

الفصل الأوّل: الدّراسة النّظريّة، وقد جاءت مباحث هذا الفصل على النّحو الآتي:

المبحث الأوّل: المتلازمات اللفظيّة، وقد تعرّضت فيه الباحثة لمفهوم المتلازمات اللفظيّة عند القدماء والمحدثين والمتلازمات اللفظيّة من منظور لسانيّات المدوّنات، وعند المعجميّين والبلاغيّين والنّحويّين والصّرفيّين، كما تناولت البنية اللفظيّة والدّلالية للمتلازمات والفرق بينها وبين الوحدات المعجميّة الأخرى. المبحث الثاني: لسانيّات المدونات، وتعرَّضَت فيه لمفهوم لسانيّات المدوّنات، وتطوّر دراستها، ومجالات الاستفادة منها، ومعايير تصميم المدوّنات، وأنواعها، ووسائل جمع البيانات فيها.

المبحث الثّالث: المعالجة الآليّة للمتلازمات اللفظيّة وتناولت فيه اللغة والحوسبة والمعالجة الآليّة للغة وللمتلازمات اللفظيّة.

الفصل الثّاني: من الدّراسة خصّصته الكاتبة للمتلازمات اللفظيّة في مواد الدّراسة، واشتمل على مبحثين: **المبحث الأوّل:** الدّراسة المسحيّة للمتلازمات اللفظيّة في المعاجم (موادّ الدّراسة)، وتعرّضَت فيه إلى منهج المعاجم العربيّة – مواد الدّراسة- في وضع المتلازمات، وقارنت في التّعريف المعجمي بين المعجمات الثلاثة، وقد تم استقصاء المتلازمات في المعجمات الثّلاثة وفق معايير محددة. المبحث الثّاني: الدّراسة المسحيّة للمتلازمات اللفظية في المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (المدونة العربية)، وقد تطرقت فيه إلى معايير تصميم المدونة العربية، ومصادرها، والصّعوبات التي واجهت المدوّنة أثناء تصميمها، والأدوات التي زُوّدت بها، ثمّ الدّراسة التّحليليّة التّطبيقيّة للمتلازمات وفق المقياس الإحصائيّ.

الفصل الثّالث: الدّراسة التّركيبيّة والدّلاليّة للمتلازمات اللفظيّة، ويشتمل على مبحثين المبحث الأوّل: الأنماط التّركيبيّة للمتلازمات اللفظيّة وتعرّضت فيه الباحثة إلى التّراكيب التي جاءت عليها المتلازمات اللفظيّة. المبحث الثّاني: الدّراسة الدّلالية للمتلازمات اللفظيّة.

الفصل الرابع: معجم المتلازمات اللفظيّة (نموذج معجمي)، وتضمّن مبحثين: الأوّل: منهج بناء معجم للمتلازمات اللفظيّة في اللغة العربيّة المعاصرة، وفيه تطرّقت الباحثة إلى الأسس التي يقوم عليها التّأليف المعجميّ، والخطوات الإجرائيّة لمعجم المتلازمات اللفظيّة في اللغة العربيّة المعاصرة.

المبحث الثّاني: معجم المتلازمات اللفظية (نموذج معجمي)، وقد تضمن خمسة نماذج معجميّة لمداخل المتلازمات اللفظيّة في المعجم المنشود.

وجملة القول، لقد أسهمت هذه الدّراسة في بناء نموذج معجميّ خاص للمتلازمات اللفظيّة لغير النّاطقين بالعربيّة، قائم على منهج لسانيّ حديث، كما عملت على فكرة بناء معجم المتلازمات عن طريق استخلاص الكلمات الأكثر تكرارًا وشيوعًا



د.بدرية بنت براك العنزي

في العربيّة اعتمادًا على مدوّنة لغويّة بعد معالجتها حاسوبيًّا وإحصائيًّا، ثمّ صياغة هذه الكلمات في مداخل معجميّة، وقد توصّلت هذه الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج العلميّة التي من شأنها أن تخدم واقع اللغة العربيّة اليوم، إذ أشارت إلى ضرورة أن تتضمّن مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وللأطفال في المرحلة الابتدائية جملًا تضمّ متلازمات تُستعمل في الحياة اليوميّة، كما أوصت الباحثة بإنشاء بنوك أو ذخيرة للمتلازمات اللفظية في اللغة العربية المعاصرة تغطي المجالات الإنسانية كافة، وبناء الأدوات الحاسوبية المساندة لبناء المعاجم المحوسبة وتطويرها.

وفي إطار السعي إلى مواكبة اللغة العربية للتطورات التقنية والثورات التكنولوجية اللغوية اليوم، أوصت الباحثة بإدخال المتلازمات في المعاجم الأجنبية المترجمة إلى العربية ومواقع الترجمة الآلية مثل محرك البحث جوجل وغيره، كما وجهت بضرورة الاهتمام بمعاجم المتلازمات اللفظيّة على المستويين النّظريّ والتّطبيقيّ؛ وهو ما يمهد لصناعة معاجم ثنائيّة اللغة خاصّة بالمتلازمات اللفظيّة.



إنّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات التي خلصت إليها من شأنها تطوير الصّناعة العربيّة المعجميّة مما ينعكس إيجابًا على جوانب عديدة مثل الترجمة من العربية وإليها، ومجال تعليم اللغة العربيّة وتعلّمها.

رحلة معجميّة تاريخيّة مع الجذر (ص و ر)

إنّ المعجم التّاريخيَّ ليس مجرّدَ مَرجعٍ يلجأُ إليه مَنْ يريد معرفة معاني الكلمات، فهذه البغيةُ يمكن تَحصيلُها من مُعجمات الألفاظِ العامّة، وإنّما المعجم التّاريخيُّ يزيد على تلك المُعجمات بأمور؛ مِن أهمِّها أنّه يتتبَّعُ تاريخَ كُلّ لَفظَةٍ في اللّغة؛ لمحاولة تحديدِ زمنِ ارتباطِها بالمعاني التي تدلُّ عليها، وبيان مدى استمرار هذا الارتباط في واقع مُستَعمِلي اللُّغة. فاللُّغة تتألَّفُ من ألفاظٍ تُعبِّر عن المعاني والدّلالات، وهذه الألفاظ في حقيقتها رموزٌ تُثير في نفس المُخاطب تلك المعانيَ والدّلالات التي تَرتبِطُ بها، ولا تكون هذه الإثارة صحيحة إلّا إذا كان المُخاطَبُ قد انطَبَع في ذهنِه ذلك الارتباط بين اللّفظ والمعنى الذي يدلُّ عليه.



الدّكتور معتز المحتسب
خبير في المعجم التاريخي

واللُّغة العربيَّة من أَغنى اللُّغات بالأَلفاظ والمفردات، وهي أكثر اللُّغاتِ الحيَّةِ ثباتًا، وقد عرض لها ما عرض لغيرها من تطوُّر، فاندثَرت منها ألفاظ، وظهَرت فيها ألفاظ أخرى، وطرأَ على أَلفاظٍ منها تغيُّرٌ في المعنى، بأن اتَّسعت حدود تعبيرِها عن معنًى كانت تدلُّ عليه، أو ضاقت حدودُ تعبيرِها عنه، أو صارت تدلُّ على معانٍ استجدَّت لم تكُن تدلُّ عليها من قَبلُ، إلى غير ذلك من أنواع التَّطوُّر الدّلالي، ومن أهميَّة المعجم التّاريخيّ أنَّه يكشف عن ذلك كلّه، وهذا يُساعدُ في فهمِ كلامِ المتكلِّم فهمًا صحيحًا، بأن يُحمَلُ كلامُه على المعاني المعروفة للألفاظِ في زمنِ التَّخاطُبِ لا على معانٍ استجدَّت بعد ذلك.

ولِتَوضيح هذه الفكرة أَضرب مثالًا من القرآن الكريم، في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف:19]، فالسّيَّارةُ في الآية الكريمة لا يُمكِن تفسيرُها بالمركبَةِ المعروفةِ في وقتِنا اليوم، فهذا المعنى لم يكنْ معروفًا لِلَفظةِ (سيّارة) حين نزَلَ القرآن الكريم، وإنَّما ظهَر بعد اختراعِ هذه المركَبةِ في العصر الحديث؛ لذا يقول المفسِّرون: إنَّ ألفاظَ القرآنِ الكريمِ تُحمَل على مَعهودِ كلامِ العربِ في زمنِ نُزولِ القرآن.

وفي هذا المقال سَنُتابعُ رحلةَ بعضِ الألفاظِ مِن واقعِ المعجمِ التّاريخيّ، ونذكرُ ما عرض لها من تطوُّر لِيَقف القارئ على أهميَّة هذا النَّوع من المعجمات، وحاجة اللُّغة العربيَّة إليه.

وهذه الألفاظ من الجذر (ص و ر)، فهو غزيرٌ، وألفاظه كثيرة الاستعمال إلى يومنا هذا، حتّى إنَّ ابن فارس حين أراد ذِكْرَ المعاني الكليَّة لألفاظ هذا الجَذْر قال: «الصّاد والواو والرّاء كلمات كثيرة مُتَباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا

اشتقاق ... وممّا ينقاس منه قولهم صَوِرَ يَصْوَرُ؛ إذا مال. وصُرْتُ الشَّيْءَ أصورُه، وأَصَرْتُهُ، إذا أملتَه إليك ... من ذلك الصّورة؛ صورة كلّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئة خلقته»[1].

ولفظ الصُّورة من أشهر ألفاظ هذا الجَذر، وهو لفظ قديم حديث، حمل معانيَ قديمةً، واستجدَّت له معانٍ جديدة، يتَّصل أكثرها بالهيئة والشكل، وكذا بعض أفعال هذا الجذر.

فأمّا الفعل الثُّلاثيُّ منه، فهو صار يصُور، يقال: صارَ فُلانٌ يصُورُ صَوْرًا؛ أي: رَسَم صورة. ومن شواهده قول الأعشى الكبير في قَصيدة يَمدَحُ فيها قَيْسَ بْنَ مَعْدي كرب (ت: 20ق.هـ=602م)[2]:

وما أَيْبُلِيٌّ على هَيْكَلٍ
بَناهُ وَصلَّبَ فيهِ وصارا
يُراوِحُ مِنْ صَلَواتِ المَليـ
ـكِ طَوْرًا سُجودًا وطَوْرًا جُؤارا
بِأَعْظَمَ مِنْهُ تُقًى في الحِساب
إذا النَّسَماتُ نَفَضْنَ الغُبارا

وهذا الفعل استعماله قليل، ولا يكاد يُستعمَل في العصور المتأخرة، ولذا عدَّه الخليل لُغةً؛ إشارة إلى قلّة استعمالِه، فقال: «وصارَ؛ بِمَعْنى: صَوَّرَ، وهِيَ لُغَةٌ»[3]. فالأكثر استعمال الفعل صوَّر على وزن فَعَّلَ، يقال: صَوَّرَ الشَّيْءَ تَصْويرًا: رَسَمَهُ أو نَقَشَهُ على شَيْءٍ، فالفاعل مُصَوِّرٌ، والشَّيءُ مُصَوَّرٌ. وهذا المعنى كان معروفًا قبل الإسلام، ومن شواهده قول امرئ القيس (ت: 80ق.هـ=544م) يصف نخيلًا[4]:

أطافَتْ بِهِ جَيْلانُ عِنْدَ قِطاعِه
تَرَدَّدُ فيهِ العَيْنُ حَتى تَحَيَّرا
كَأَنَّ دُمى سَقْفٍ عَلى ظَهْرِ مَرْمَرٍ
كَسا مِزْبَدَ السّاجومِ وَشْيًا مُصَوَّرا



تصوير حروب قديمة على نقوش جدارية في معبد أنغكوروات - كمبوديا

وعلى هذا المعنى جاء قول النَّبِيّ ﷺ وقَدْ رَأى سِتارًا فيهِ صُوَرٌ لحَيَواناتٍ: «مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذابًا يَوْمَ القِيامَةِ الَّذين يُصَوِّرونَ هذِهِ الصُّوَرَ»[5].

ومن معاني هذا الفعل إنشاءُ مُجسَّم للشَّيء، يقال: صَوَّرَ الشَّيْءَ: جَعَلَ لَهُ صورَةً مُجَسَّمَةً بنَحْتٍ ونَحْوِهِ. وعلى هذا المعنى جاء قول النَّبِيّ ﷺ : «مَنْ صَوَّرَ صورَةً في الدُّنْيا كُلِّفَ يَوْمَ القِيامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ ولَيْسَ بِنافِخٍ»[6].

وللفعل صوَّر معنى قديمٌ ثالثٌ، هو إنشاءُ اللهِ تعالى صورة المخلوق، يقال: صوَّر اللهُ المَخْلوقَ: أَنْشَأَ لَهُ صورَةً وخِلْقَةً، ومنه قول عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ (ت: 35ق.هـ=588م) في خَلْقِ اللهِ تعالى لآدَمَ عليه السلام[7]:

قَضى لِستَّةِ أيّامٍ خَليقَتَهُ
وكانَ آخِرَها أنْ صَوَّرَ الرَّجُلا
دَعاهُ آدَمَ صَوْتًا فاسْتَجابَ لَهُ
بِنَفْخَةِ الرُّوحِ في الجِسْمِ الَّذي جَبَلا

وعلى هذا المعنى جاء قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الأعراف:11)

وقول النَّبِيِّ ﷺ (ت: 11هـ=632م): «لَمّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ في الجَنَّةِ، تَرَكَهُ ما شاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطيفُ بِهِ ويَنْظُرُ ما هُوَ».

فهذه المعاني الثّلاثة (الرّسم، وإنشاء المجسَّم، وإنشاء الله صور المخلوق) وهي المعاني التي كانت معروفة لهذا الفعل (صوّر) في العصر الإسلاميّ وقبله، واستمرت إلى عصرنا هذا، ولكنَّ استعمالَه بمعنى الرّسم وإنشاء المجسَّم في العصر الحديث نادر؛ وحلَّ مكانه بالمعنى الأوَّل الفعلُ رَسَمَ، وبالمعنى الثّاني: نَحَتَ، أو صَنَعَ تمثالًا.

وقد ظهر لهذا الفعل معانٍ استجدّت بعد عصر الإسلام، نظرًا لما استجدَّ من علوم أو مخترعات، فمن ذلك: أنَّه استُعمِل في أوّل العصر العباسيّ بمعنى إيجاد صورة في الذّهن، يقال: صوَّر فُلانٌ الأمرَ أو الشَّيْءَ: أوْجَدَ لَهُ صورَةً في الذِّهْنِ أوِ القَلْبِ أو النَّفْسِ، ومن شواهده قول ابن المقفَّع (ت: 142هـ=759م): «ومِنَ العَجَبِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذي لا بَأْسَ بِلُبِّهِ ورَأْيِهِ يَرى المَرْأَةَ مِنْ بَعيدٍ مُتَلَفِّفَةً في ثِيابِها، فيُصَوِّرُ لَها في قَلْبِهِ الحُسْنَ والجَمالَ، حَتَّى تَعْلَقَ بِها نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، ولا خَبَرِ مُخْبِرٍ»(8). وهذا المعنى لا يزال مستعملًا إلى يومنا.



جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي

واستُعمل في العصر العباسيّ أيضًا بمعنى الوصْفِ، يقال: صَوَّرَ فُلانٌ الأَمْرَ: وَصَفَهُ وَصْفًا يَكْشِفُ عَنْ ماهِيَّتِهِ وحَقيقَتِهِ، ومن شواهده قول الجاحظ (ت: 255هـ=869م): «كَيْفَ يَجوزُ أَنْ يُضْرَبَ المَثَلُ بِشَيْءٍ لَمْ نَرَهُ فَنَتَوَهَّمَهُ (...) والنّاسُ لا يَفْزَعونَ إلّا مِنْ شَيْءٍ هائِلٍ شَنيعٍ، قَدْ عايَنوهُ، أَوْ صَوَّرَهُ لَهُمْ واصِفٌ صَدوقُ اللِّسانِ، بَليغٌ في الوَصْفِ»(9). وهذا المعنى لا يزال مُستَعملًا إلى يومنا.

واستُعمل في العصر العباسيّ أيضًا بمعنى بيان واقع المسألة، وهو مُستَعملٌ كثيرًا في كلام الفقهاء، يقال: صوَّر الفقيهُ المَسْأَلَةَ: بَيَّنَ واقِعَها وما يَدْخُلُ فيها أو تَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ حالاتٍ، ومن شواهده قول الجويني (ت: 438هـ=1047م): «اعْلَمْ أَنَّ المَسْأَلَةَ الَّتي حَكَيْناها عَنِ الشّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- في الفَرْقِ بَيْنَهُما وبَيْنَ القِبْلَةِ مُصَوَّرَةٌ في الرَّجُلِ اسْتَعْمَلَ بالاجْتِهادِ بَعْضَ الإناءِ واسْتَبْقى بَعْضَهُ»(10). وهذا المعنى لا يَزال مُستَعملًا إلى يومنا.

وفي العصر الحديث استجدَّ معنى جديد لهذا الفعل، وهو التقاط صورة بآلة التّصوير، يقال: صَوَّرَ فُلانٌ فُلانًا أو الشَّيْءَ: الْتَقَطَ لَهُ صورَةً بِآلَةِ تَصْويرٍ، ظهر هذا المعنى بعد اختراع آلة التّصوير الشّمسيّة، ثم استُعمِلَ في كلِّ آلة يمكن التَّصوير بها، بل ظهرت أنواع كثيرة من التّصوير، كالتّصوير الإشعاعيّ، والتّصوير الطّبقيّ، والتّصوير المقطعيّ، والتّصوير المتحرّك، وكلها تَشتَرك في إحداث صورة للشّيء، مع اختلاف بينها في نوع الصّورة وطبيعَتِها، وأشهرها ما يسمّى بالتَّصوير الفوتوغرافيّ، وشواهد هذا المعنى أكثر من أن تحصى، بل إنَّ هذا المعنى هو المتبادَر إلى الذّهن في مُخاطَبات النّاس اليوم.

ومن الأفعال في الجذر (ص و ر) الفعل: تَصَوَّر، وقد عرض له من التَّطوّر ما عرض للفعل (صوَّر)، فمن معانيه القديمة الظهورُ بهيئة أو شكل، يقال: تَصَوَّرَ فُلانٌ وغَيْرُهُ: ظَهَرَ بِصورَةٍ

وشَكْلٍ. ويُقالُ: تَصَوَّرَ بفُلانٍ وغَيْرِهِ: ظَهَرَ بِصورَتِهِ أو على هَيْئَتِهِ أو صِفَتِهِ. ومن شواهده قول النَّبِيِّ ﷺ: «ومَنْ رَآني في المَنامِ، فَقَدْ رَآني، إنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَصَوَّرُ بي»[11]. وهذا المعنى لا يزال مُستعملًا إلى يوم النّاس هذا.

واستُعمِلَ هذا الفِعلُ في العصرِ العبّاسيّ بمعنى التَّخيُّل في الذّهن، يُقال: تَصَوَّرَ الشَّيْءَ أو الأمْرَ: تَخَيَّلَهُ واسْتَحْضَرَ صورَتَهُ في الذِّهْنِ. ومن شواهدِهِ قول الجاحظ (ت: 255هـ=869م): «قالَ بَعْضُ جَهابِذَةِ الأَلْفاظِ ونُقّادِ المَعاني: المعاني القائِمَةُ في صُدورِ النّاسِ المُتَصَوَّرَةُ في أذْهانِهِمْ، والمُتَخَلِّجَةُ في نُفوسِهِمْ، والمُتَّصِلَةُ بخَواطِرِهِمْ، والحادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ، مَسْتورَةٌ خَفِيَّةٌ، وبَعيدَةٌ وحْشِيَّةٌ، ومَحْجوبَةٌ مَكْنونَةٌ»[12]. وهذا المعنى لا يَزال مُستَعملًا إلى يومنا. ومن العبارات السّياقيَّة المّتصلة بهذا المعنى قولهم: هذا أمْرٌ لا يَتَصَوَّرُهُ عَقْلٌ؛ أي: لا يُمْكِنُ إدْراكُهُ؛ لكَوْنِهِ فَوْقَ قُدْرَةِ العَقْلِ، أو لكَوْنِهِ غَيْرَ صَحيحٍ.

ويتّصل بهذا المعنى أيضًا مصطلح التَّصوُّر في علم المنطق، ويعني عندهم: إدْراكَ الماهِيَّةِ في الذِّهْنِ مِنْ غَيْرِ أنْ يُحْكَمَ عَلَيْها بِنَفْيٍ أوْ إثْباتٍ، ظهَر هذا الاصطلاح في العصر العبّاسيّ، ومن شواهده قول الماتُريديّ (ت: 333هـ=944م): «ثُمَّ إنْ لَمْ يَكُنْ في خَلْقِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إلّا خُروجُهُ مِنْ وُسْعِ الخَلْقِ وارْتِفاعُهُ عَنِ التَّصَوُّرِ فلا أَحَدَ امْتَنَعَ عَنِ القَوْلِ بتَحْقيقِ مِثْلِهِ»[13].

وفي العصر الحديث استجدَّ معنى جديد لهذا الفعل، وهو التقاطُ الشَّخص لِنَفسه صورة بآلة التَّصوير، يُقال: تَصَوَّرَ فُلانٌ: الْتَقَطَ لنَفْسِهِ صورَةً بالآلَةِ، أو الْتُقِطَتْ لَهُ. وشواهد هذا المعنى أكثر من أن تُحصى، وهو شائع في مُخاطبات النّاس اليوم.

ومن الأسماء في هذا الجذر: كلمة تَصاوير، ومن معانيها: التَّماثيلُ المُجَسَّمَةُ، واحِدُها: تَصْويرُ، واسْتِعْمالُ الواحِدِ قليلٌ. ومن شواهده بهذا المعنى قول النَّبيِّ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النّاسَ يَوْمَ القِيامَةِ في صَعيدٍ واحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العالَمينَ، فَيَقولُ: أَلا يَتْبَعُ كُلُّ إنْسانٍ ما كانوا يَعْبُدونَ، فَيُمَثَّلُ لِصاحِبِ الصَّليبِ صَليبُهُ، ولِصاحِبِ التَّصاويرِ تَصاويرُهُ، ولِصاحِبِ النّارِ نارُهُ»[14]. وبقيَ استِعمالُ هذا اللَّفظ بها المعنى إلى عهدٍ قريب.

ومن معاني هذا اللَّفظ أيضًا: الصُّوَرُ المَنْقوشَةُ أو المَرْسومَةُ على جِدارٍ أو سِتارٍ ونَحْوِ ذلِكَ. ومن شواهده بهذا المعنى قول النَّبيّ ﷺ لأمِّ المؤمِنينَ عائشَةَ -رضي الله عنها- وكانَتْ قَدْ سَتَرَتْ جانِبَ بَيْتِها بقِرام -أي: سِتارٍ- عَلَيْهِ صُوَرٌ: «أَميطي عَنّا قِرامَكِ هَذا؛ فإنَّهُ لا تَزالُ تَصاويرُهُ تَعْرِضُ في صَلاتي»[15]. وبقي استِعمالُ هذا اللَّفظ بهذا المعنى إلى عَهدٍ قريب أيضًا.

وهذا اللَّفظ في العصر الحديث مُستعمَل بمعنى الصُّور الملتَقَطة بالآلة، وكذا بمعنى الصُّوَر المرسومة رسمًا.

ومن ألفاظِ هذا الجذر: لفظ التَّصوير، وهو لفظٌ كَثُـرَ فيه الاصطلاح، وكثير من هذه الاصطلاحات استجدّ في العصر العبّاسيّ فما بعده، فمن ذلك:

أنه استُعمل في الأدَبِ والبَلاغَةِ بمعنى التَّعبيرِ عَنِ المَعْنى مِنْ خِلالِ أُسْلوبِ التَّشبيهِ أَوِ المَجازِ أو الكِنايَةِ، أَوْ مِنْ خِلالِ تَشْخيصِ الأُمورِ المَعْنَوِيَّةِ أَوِ الذِّهْنِيَّةِ وإبْرازِها في صورَةٍ حِسِّيَّةٍ. ويُسَمَّى أَيْضًا بالتَّصْويرِ البَيانِيِّ، والتَّصْويرِ الفَنِّيِّ، والتَّصْويرِ الأَدَبِيِّ أو الشِّعْرِيِّ.

واستُعمل في الفِقْهِ: تَوْضيحُ المَسْأَلَةِ الفِقْهِيَّةِ، بِبَيانِ واقِعِها وأَفْرادِها، وتَحْديدِ جَوانِبِها وما يَدْخُلُ فيها. ويُعْرَفُ ذلِكَ بتَصْويرِ المَسْأَلَةِ الفِقْهِيَّةِ. وشواهد هذين المعنيَين مبثوثة في كُلِّ كتُب البلاغة والفقه.

وفي العصر الحديث استجدَّت لهذا اللَّفظ معانٍ جديدة باختراع آلات التَّصوير المختلفة، فمن ذلك:

التَّصْويرُ الشَّمْسِيُّ، وهو تَصْويرٌ يَعْتَمِدُ على الأَشِعَّةِ الشَّمْسِيَّةِ أو الضَّوْئِيَّةِ المُنْعَكِسَةِ مِنَ الشَّيْءِ المُرادِ تَصْويرُهُ، إذْ تُكَوِّنُ خَيالًا في مادَّةٍ حَسّاسَةٍ للضَّوْءِ داخِلَ آلَةِ التَّصْويرِ، ثُمَّ تُعالَجُ هذهِ المادَّةُ، فيَنْتُجُ عَنْها صورَةٌ تُمَثِّلُ ذلِكَ الشَّيْءَ. وتطوّر هذا النَّوع إلى التَّصْويرِ الضَّوْئِيِّ (الفوتوغرافيّ)، الَّذي يَعْتَمِدُ على الأَشِعَّةِ الضَّوْئِيَّةِ المُنْعَكِسَةِ مِنَ الشَّيْءِ المُرادِ تَصْويرُهُ، بعدَ تَسْليطِ وَميضِ التَّصْويرِ (الفلاش) عَلَيْهِ.

والتَّصْويرُ الحَراريُّ: تَصْويرٌ يَعْتَمِدُ على الأَشِعَّةِ تَحْتَ الحَمْراءِ، بِتَكْوينِ صورَةٍ للأَجْسامِ مِنْ خِلالِ تَحْليلِ دَرَجاتِ حَرارَتِها.

والتَّصْويرُ المُجسّمُ (ثُلاثيُّ الأبْعادِ)، وهو تَصْويرٌ يَعْتَمِدُ على تَسْجيلِ سَعَةِ مَوْجَةِ الجِسْمِ المُرادِ تَصْويرُهُ وطَوْرِها، فيُظْهِرُ خيالًا ثُلاثيَّ الأبْعادِ للجِسْمِ على سَطْحٍ مُسْتَوٍ. ويُعْرَفُ بالتَّصْويرِ الهولوغرافيِّ. والتَّصْويرُ فَوْقَ الصَّوْتيِّ، وهو تَصْويرٌ تَشْخيصيٌّ يَعْتَمِدُ على مَوْجاتٍ صَوْتيَّةٍ عاليَةِ التَّرَدُّدِ، في إنْشاءِ صورَةٍ للشَّيْءِ المُرادِ فَحْصُهُ أو اسْتِكْشافُهُ، وذلِكَ بقياسِ الـمَوْجاتِ الـمُرْسَلَةِ والـمُنْعَكِسَةِ. يُسْتَعْمَلُ في المِلاحَةِ والفُحوصاتِ الطِّبِّيَّةِ وفَحْصِ الحَمْلِ وغَيْرِ ذلِكَ. ويُعْرَفُ بالتَّصْويرِ بالـمَوْجاتِ فَوْقِ الصَّوْتِيَّةِ (سونار). والتَّصْويرُ الرَّقْميُّ، وهُوَ يَعْتَمِدُ على التكنولوجيا الرَّقْمِيَّةِ لـمُعالَجَةِ الصُّوَرِ دونَ الـمُعالَجَةِ الكيميائيَّةِ. كالتَّصوير بما يُعرَفُ بكاميراتِ الدّيجيتال، والتَّصْويرِ بأجْهِزَةِ الهاتِفِ الـمَحْمولِ، ونَحْوِ ذلكَ.

وشواهد هذه الأنواع في العصر الحديث كثيرة.

أختم هذا المقال بكلمة (الصّورة)، وهي من أشهَرِ ألفاظِ هذا الجذر، وقد حصل لهذه الكلمة من التَّطوّر ما حصل لفعْلِها.

فمن المعاني القديمة لهذه الكلمة: الشَّكْلُ والهَيْئَةُ، وجمعها: صُوَرٌ، وصِوَرٌ، وصُورٌ. ومن شواهِدِ هذا المعنى قول عَبْدِ اللهِ بْنِ العَجْلانِ النَّهْديّ (ت: 56ق.هـ=567م) يَذْكُرُ شَوْقَهُ (16):

قَد طالَ شَوقي وعادَني طَرَبي
مِن ذِكرِ خَوْدٍ كَريمَةِ الحَسَبِ
غَرّاءَ مِثلِ الهِلالِ صُورَتُها
أو مِثْلِ تِمْثالِ صُورَةِ الذَّهَبِ

ومن شواهده أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ (الإنفطار:٨)، وقول النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأمْوالِكُم، ولكِنْ إنَّما يَنْظُرُ إلى قُلوبِكُمْ وأعْمالِكُمْ» (17). وهذا المعنى لا يزال مُستَعملًا إلى يومنا.

ومن معاني الصّورة أيضًا: التِّمْثالُ الـمُجَسَّمُ، ومن شواهده قول أبي طالِبٍ يَتَعَوَّذُ باللهِ وبِحَرَمِ مَكَّةَ مِنْ كُلِّ مَنِ اعْتَدى عَلَيْهِمْ لَمّا جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ بالدَّعْوَةِ ولَقِيَ مِنَ المُشْرِكينَ أذًى، وذلك في نحو سنة (8ق.هـ=614م) (18):

أَعوذُ بِرَبِّ النّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
عَلَيْنا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِباطِلِ
.....***.....
وبالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَهُ
إذا اكْتَنَفُوهُ بالضُّحى والأَصائِلِ
ومَوْطِئِ إبْراهيمَ في الصَّخْرِ رَطْبَةً
على قَدَمَيْهِ حافِيًا غَيْرَ ناعِلِ



تقنية التصوير المجسّم (الهولوغرافي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة. تح: هارون (3/319).
(2) ديوان الأعشى. تح: محمد حسين، ص: 53. والأَبْيُليُّ: الرّاهِبُ الذي يَدُقُّ النّاقوسَ. الهَيْكَلُ: مَوْضِعٌ في الكَنيسَةِ.
(3) الخليل، العين. تح: المخزومي، ج: 7، ص: 150.
(4) ديوان امرئ القيس. تح: عليان وآخرين، ص: 743.
(5) البخاريّ، الصحيح. تح: العطّار، ص: 1546.
(6) البخاريّ، الصحيح. تح: العطّار، ص: 1514.
(7) الجاحظ، الحيوان. تح: عيون السود، ج: 4، ص: 356.
(8) ابن المقفع، الأدب الكبير. تح: المرصفي، ص: 66.
(9) الجاحظ، الحيوان. تح: هارون، ج: 6، ص: 212.
(10) الجويني، الجمع والفرق. تح: المزيني، ج: 1، ص: 250.
(11) أحمد بن حنبل، المسند. تح: الأرناؤوط وآخرين، ج: 15، ص: 182.

وأَشْواط بَيْنَ المَرْوَتَيْن إلى الصّفا
وما فيهما مِنْ صورةٍ وتَماثُل

ومن شواهده أيضًا قول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ صَوَّرَ صورةً عُذِّبَ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَنْفُخَ فيها، ولَيْسَ بنافِخٍ»[19]. وبقي استعمال هذا اللَّفظ بهذا المعنى إلى عهد قريب، وشاع لهذا المعنى في العصر الحديث لفظ (التِّمثال). ومن معاني الصّورة أيضًا: ما رُسِمَ بقَلَمٍ أو نَقْشٍ وغَيْرِهِما على جِدارٍ أو لَوْحَةٍ أو ستارٍ ونَحْوِ ذلِكَ. ومن شواهده قول النَّبيِّ ﷺ: لأمِّ المُؤْمِنينَ عائشةَ وكانَتْ قَدِ اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فيها تَصاوِيرُ حَيَواناتٍ: «إنَّ أَصْحابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبونَ يَوْمَ القِيامَةِ»[20]. وهذا المعنى لا يَزال مُستَعملًا إلى يومنا. واستجدّ لهذا اللَّفظ في العصر العبّاسيّ فما بعده عدَّة ألفاظ، وأكثرها اصطلاحيّ، فمن ذلك: استِعمال الصّورة بمعنى الحالة أو النَّوع، وقد ظَهَرَ هذا المعنى في العصر العبّاسيّ وبقي إلى يومنا، ومن شواهده قول الفارابيّ (ت: 350هـ=961م) في كلامِهِ على مَصادِرِ فَعُلَ: «وبناءُ مَصادِرِ هذا البابِ مَقْصورٌ على ثَلاثِ صُوَرٍ: فَعَالَة، وفُعولَة، وفِعَلٍ، نحو: خَطُبَ خَطابَةً، وجَعُدَ جُعُودَةً، وعَظُمَ عِظَمًا»[21].

ومن الاصطِلاحات التي ظهرت في العَصرِ العبّاسيّ أيضًا مُصطَلح: الصُّورَة الذِّهْنِيَّة، وهي الانْطِباعُ الّذي يَتَكَوَّنُ في الذِّهْنِ عَنِ الشَّيْءِ أو الأمْرِ. ومن شواهده قول الفَخْرِ الرّازيّ (ت: 606هـ=1210م): «لا شَكَّ أَنَّ الكِتَابَةَ دالَّةٌ على الأَلْفاظِ، ولا شَكَّ أَنَّ الألفاظَ دالَّةٌ على الصُّوَرِ الذِّهْنِيَّةِ»[22].

ومن الاصطلاحات أيضًا:

الصّورةُ البَلاغيَّة، وهي شَكْلٌ مِنَ أَشْكالِ التَّعْبيرِ عَنِ الـمَعْنى، يُراعي فيهِ الـمُتَكَلِّمُ مُقْتَضى الحالِ باخْتِيارِ صِياغَةِ الكَلِماتِ والتَّرْتيبِ الـمُناسِبِ لأجْزاءِ الجُمْلَةِ، أو بتَرْكِ التَّعْبيرِ الـمُباشِرِ والعُدولِ إلى التَّشْبيهِ أو الـمَجازِ أو الكِنايَةِ، ويَلْحَقُ بذلِكَ تَحرِّي الـمُحَسِّناتِ البَديعِيَّةِ. ويُقالُ أيضًا: الصُّورة البيانيّة إذا كان التَّعبير بالمجاز أو التَّشبيهِ أو الكِناية.

وصورَةُ الحُكْم (في القانون)، وهي صورَةٌ رَسْمِيَّةٌ مِنَ النُّسْخَةِ الأَصْلِيَّةِ لِحُكْمِ الـمَحْكَمَةِ، يَكونُ التَّنْفيذُ بموجبِها، تُخْتَمُ بخاتَمِ الـمَحْكَمَةِ، ويُوَقِّعُها الكاتِبُ بَعْدَ أَنْ يُذَيِّلَها بالصِّيغَةِ التَّنْفيذِيَّةِ. وتُسَمَّى: صورَةَ الحُكْمِ التَّنْفيذِيَّةَ.

وصورَةُ العَقْد (في الفِقْه والقانون): أي: صيغَتُهُ وماهِيَّتُهُ. وفي العصر الحديث استجدَّ للصّورة معنى بعد اختراع آلة التَّصوير، وهو: الصُّورَةُ الّتي تُلْتَقَطُ بآلَةِ التَّصْويرِ، وتُعْرَفُ بالصُّورَةِ الشَّمْسِيَّةِ، أو الصُّورَةِ الفوتوغْرافِيَّةِ. وشاعَ بَعْدَ انتشارِ آلاتِ التَّصْويرِ إطْلاقُ الصُّورَةِ -بلا قَيْدٍ- على الصُّورَةِ الـمُلْتَقَطَةِ بأيِّ آلَةٍ.

ومن المعاني الّتي ظَهَرت في العصر الحديث أيضًا:

الصّورَةُ الذّاتيَّةُ، وتعني مَفْهومَ المَرْءِ عَنْ ذاتِهِ وتَصَوُّرَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وتَشْمَلُ تَحْديدَ الصِّفاتِ الشَّخْصِيَّةِ والقيمَةِ الحَقيقيَّةِ لِلنَّفْسِ.

والصّورَةُ المائيَّةُ، وهي عَلامَةٌ خَفِيَّةٌ تكونُ مُدْمَجَةً في الأوْراقِ الـمُرادِ حِمايَتُها مِنَ التَّزْويرِ ونَحْوِهِ، تَظْهَرُ عِنْدَ التَّدْقيقِ فيها أو تَعْريضِها للضَّوْءِ.

والصورَةُ الوَرْدِيَّةُ: وهي تَخَيُّلٌ لِلأَمْرِ أَوْ للشَّيْءِ أَوْ لواقِعِ الحَياةِ خاليًا مِنَ الصُّعوباتِ والـمُنَغِّصاتِ، ممّا يُخالِفُ الواقِعَ غالِبًا. والكَلِماتُ الّتي طرأَ عليها تطوُّرٌ في هذا الجَذْرِ أكثَرُ مِنْ أَنْ يُحيطَ بها هذا المقال، وحَسْبُكَ من القِلادَةِ ما أَحاطَ بالعُنُقِ.

---

(12) الجاحظ، البيان والتبيين. تح: هارون، ج: 1، ص: 75.
(13) الماتريدي، التوحيد. تح: خليف، ص: 174.
(14) الترمذي، السنن. تح: بشار عواد، ج: 4، ص: 316.
(15) البخاريّ، الصحيح. تح: العطّار، ص: 106.
(16) الأصبهاني، الأغاني. تح: عباس وآخرين، ج: 22، ص: 165.
(17) أحمد بن حنبل، المسند. تح: الأرناؤوط وآخرين، ج: 16، ص: 564.
(18) ابن هشام، السيرة النبوية. تح: تدمري، ج: 1، ص: 306..
(19) أحمد بن حنبل، المسند. تح: الأرنؤوط وآخرين، ج: 3، ص: 359.
(20) البخاريّ، الصحيح. تح: العطّار، ص: 1330.
(21) الفارابي، ديوان الأدب. تح: أحمد مختار، ج: 2، ص: 278.
(22) الرازي، مفاتيح الغيب. ج: 1، ص: 142.

فِي مُتْحَفِ الشَّارِقَةِ



شعر: علي الإمارة
مسؤول الشّؤون الثّقافيّة لاتّحاد أدباء البصرة

دَخَلْتُ .. أَبْحَثُ عَنْ أَيَّامِنَا الأُولَى ... وَأَسْتَبِينُ فَخَارَ الوَقْتِ مَذْهُولَا
أَوَّلْتُ كُلَّ الرُّؤَى فِي لَمْحِ قَافِيَةٍ ... وَاليَوْمَ يُتْعِبُنِي التَّارِيخُ تَأْوِيلَا
أُشَاطِرُ الحَجَرَ المَرْكُونَ صَحْوَتَهُ ... لِكَيْ أُرَتِّلَ بَوْحَ الأَرْضِ تَرْتِيلَا
أَرَى عُصُورًا عَلَى الجُدْرَانِ شَاخِصَةً ... وَأَقْتَفِي أَثَرًا فِي الرُّوحِ مَطْلُولَا
خَلْفَ الزُّجَاجِ حِكَايَاتٌ مُلَوَّنَةٌ ... تُخَلِّفُ القَلْبَ بِالأَحْدَاثِ مَشْغُولَا
تَعْرَى خُطَايَ مَتَاهَاتٍ وَأَسْئِلَةً ... لِعَالَمٍ كَانَ فِي الأَعْمَاقِ مَجْهُولَا
مَلَامِحٌ لِحَضَارَاتٍ وَأَزْمِنَةٍ ... أَضْحَى بِهَا الأَثَرُ المَقْطُوعُ مَوْصُولَا
عَلَى ضِفَافِ المُنَى إِطْلَالَةٌ شَخَصَتْ ... تُزَاحِمُ البَحْرَ تَأْسِيسًا وَتَأْصِيلَا
أَنَا هُنَا .. أَقْرَأُ الأَحْجَارَ أَمْنَحُهَا ... صَوْتًا .. فَتَرْسُمُ فِي عَيْنِي التَّفَاصِيلَا
أَسِيرُ فِي المُتْحَفِ الضَّوْئِيِّ مُنْبَهِرًا ... بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ الآثَارُ مَعْزُولَا
تَسَرَّبَتْ لَحَظَاتُ الشَّوْقِ مِنْ زَمَنٍ ... جِيلًا يُسَلِّمُ مِيرَاثَ الرُّؤَى جِيلَا
أُصْغِي إِلَى لُغَةِ الأَقْوَاسِ تُخْبِرُنِي ... مَا لَمْ يُقَلْ فِي كِتَابِ البَوْحِ ، أَوْ قِيلَا
زَخَارِفٌ نُقِشَتْ فِي أُفْقِ ذَاكِرَةٍ ... كَأَنَّمَا كَانَ كَفُّ الأَرْضِ إِزْمِيلَا
بَجَّلْتُ لِلْوَحْيِ آيَاتٍ مُنَوَّرَةً ... فَكُلَّمَا قُرِئَتْ تَزْدَادُ تَبْجِيلَا
رَأَيْتُ سَيْفًا صَقِيلًا بَانَ رَوْنَقُهُ ... لَكِنْ إِذَا حَلَّ خَطْبٌ بَانَ مَسْلُولَا
مَدِينَةُ الشِّعْرِ تُسْتَجْلَى مَتَاحِفُهَا ... وَالعُمْرُ صَارَ لَهَا تَاجًا وَإِكْلِيلَا



فِي كُلِّ أُفْقٍ أَرَاهَا وَمْضَ بَارِقَةٍ ... وَأَسْتَجِدُّ بِهَا زَهْوًا وَتَأْمِيلَا

مَسَاجِدٌ جُسِّمَتْ حُبًّا وَتَكْرِمَةً ... تُرَتِّلُ الأَلَقَ القُدْسِيَّ تَرْتِيلَا

كَمَا تَأَمَّلْتُ فِي الأَعْمَاقِ مَدْرَسَةَ الـ ... ـمُسْتَنْصِرِيَّةِ دَرْسًا لَيْسَ مَنْحُولَا

وَكَانَ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ مَشْهَدُهُ ... يُحَلِّلُ الضَّوْءَ تَرْكِيزًا وَتَعْلِيلَا

وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّ الأَرْضِ قَدْ وَقَفَتْ ... جِسْمًا أَمَامِي عَلَى الأَلْوَاحِ مَحْمُولَا

رَأَيْتُ مَلْوِيَّةً (٢) تَزْهُو مَدَارِجُهَا ... تَحْكِي أَذَانًا إِلَى الرَّحْمَنِ مَوْصُولَا

أَيَّامَ كَانَتْ لِسَامَرَّاءَ مَلْحَمَةٌ ... وَكَانَ خَصْبُ التُّقَى فِي الأَرْضِ مَأْمُولَا

يَا قُبَّةَ الوَقْتِ هَلْ لِي أَنْ أَرَى زَمَنِي ... وَهَلْ أُحَاوِلُ لِلسَّاعَاتِ تَبْدِيلَا

وَقَفْتُ تَحْتَكِ مَأْخُوذًا بِأَزْمِنَةٍ ... تَنَاهَبَتْنِي تَعْظِيمًا وَتَهْوِيلَا

قَدْ كُنْتُ أَسْأَلُ وَالأَحْجَارُ أَجْوِبَةٌ ... حَتَّى خَرَجْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ مَسْؤُولَا

---

(2) يُرَادُ بِهَا المِئْذَنَةُ المَلْوِيَّةُ الَّتِي تُعَدُّ إِحْدَى مَعَالِمِ العِرَاقِ الخَالِدَةِ ، وَعَلَى حَضَارَتِهِ العَرِيقَةِ شَاهِدَةٌ ، وَهِيَ فِي الأَصْلِ مَنَارَةُ مِئْذَنَةٍ لِلْمَسْجِدِ الجَامِعِ الَّذِي شَيَّدَهُ المُتَوَكِّلُ بِاللهِ العَبَّاسِيُّ عَامَ 237هـ بِمَدِينَةِ سَامَرَّاءَ .

الْأَبْعَادُ التَّعْلِيمِيَّةُ والتّرْبويّةُ للمُعْجَمِ التَّارِيـخِيِّ

نَحْوَ تَقْرِيبٍ بيداغُوجيٍّ لتاريخِ العربيّةِ

ظلَّ المُعجمُ التّاريخيُّ للّغة العربيّةِ -على مرِّ عُقود منَ الزّمن- حُلمًا منشودًا لدى كثيرٍ منَ النُّخبِ المُثقّفةِ في الوطن العربيّ، خاصةً علماء اللّسانيّات منهم، إلى أن أصبحَ حقيقةً علميّةً على أرض الواقع بعد الإعلان الرَّسميّ عنْ إطلاق سبعةَ عشرَ مجلّدًا من هذا المشروع العلميّ في تشرين الثّاني من عام 2021 برعاية صاحبِ السّموِّ الشّيخِ الدّكتور سُلْطَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ القاسميّ، وقد تُوِّجَت المرحلة الثّانية بإنجاز تسعة عشر مجلّدًا ليصل إجماليُّ ما أُنجزَ منه ستّةً وثلاثين مجلّدًا.

وقد شكّلَ هذا الحدثُ علامةً فارقةً في تاريخِ اللّغةِ العربيّةِ؛ إذ أصبح لها مُعجمُها التّاريخيُّ مثلَ نظيراتِها منّ اللّغات الأوروبيّة، هذا المُعجمُ الذي يَروي تاريخَ الحضارة العربيّةِ من خلال سيرةِ ألفاظها منذ نشأتِها إلى اليوم اعتمادًا على مصادرَ متنوّعةٍ ومُوثّقةٍ، مثلِ القرآن الكريم، والنّقوشِ، والبَرْدِياتِ، والقصائدِ القديمةِ، ونصوصِ الرّحلات....



حميد الكتاني [1]

باحث دكتوراه-جامعة ابن طفيل/ المغرب

واستحضارًا للمعاني الحضاريّةِ التي يحملُها هذا المشروعُ العلميُّ المتميّزُ، واستثمارًا لهذا المُنجزِ اللّسانيِّ الرّصين، ولتقريبه منَ النّاشئة المُتعَلّمَة، تأتي هذه المقالةُ لتسلّطَ الضّوءَ على الأبعادِ التّعليميّةِ والتّربويّةِ لهذا المُعجم، والتي نعُدُّها مدخلًا لجعْلِ محتوى المُعجم التّاريخيِّ مُكوِّنًا من مُكوّنات تعْليميّةِ اللّغة العربيّةِ في المدارس العربيّةِ. ولتحقيقِ هذا الهدف، نقترحُ مدخلَيْن، الأوّل: تعليميٌّ وظيفيٌّ. والثّاني: تربويٌّ هوياتيٌّ.

أولا: المدخلُ التّعليميُّ الوظيفيُّ:

تؤكّدُ الدّراساتُ اللّسانيّةُ التّعليميّةُ أنّ تعليمَ اللّغة العربيّةِ يقومُ على أربعِ كفاياتٍ: الكِفَايةُ النّحويةُ وهي تعلُّمُ قواعدِ اللغة، والكفايةُ القِرائيّةُ وهي القدرةُ على القراءة بِطلاقةٍ، والكفايةُ المُعْجميّةُ، وهي القدرةُ على التّمييزِ بين دلالاتِ الألفاظ وخصائصِها الوظيفيّةِ «فعل، اسم، حرف» وسياقِ توظيفها، ثمّ الكِفَايةُ التّعبيريّةُ، وهي القدرةُ على التّعبير كِتابيًّا وشفهيًّا



[(2)]؛ إذ تُعدُّ الكِفَايَاتُ الثَّلاثُ الأُولى مدخلًا تعليميًّا لتحقيق الكفايةِ التّعبيريّةِ باللّغة التي يتعلّمُها الطّفلُ في المدرسة؛ لأنّ «الهدفَ من تعليم أيةِ لُغة هو تمكينُه من مبادئ التّعبير الفصيحِ والسّليم» [(3)]. فإذا كان تحقيقُ الكفايةِ التعبيريّةِ لا يتمُّ إلاّ عبرَ بناءِ كفايةٍ مُعجميّةٍ تتمثّلُ في الرّصيدِ اللُّغويِّ الأساسيِّ الذي ينطلقُ منه الطفلُ/المتعلّمُ للتّعبيرِ عن احتياجاتِه، فإنّ السّؤالَ الذي يُطرحُ في هذا السّياق: ما نوعيّةُ الرّصيد المُعجميِّ الذي يُوَجَّه للمُتعلّم من خلال النّصوص القِرائيّة؟ إنّ الإجابة عن هذا السّؤال تحتاجُ إلى دراسةٍ أكاديميّةٍ مُوسّعةٍ، لكنّنا سنحاولُ تقريبَ الإجابة عنها، من خلال المُقترح الآتِي.

إنّ الرّصيدَ الذي يَسْتقيه المتعلّمُ منّ النّصوص القِرائيّةِ الوظيفيّةِ في الصّفِّ الدّراسيِّ ليس كافيًا لتحقيق الكفايةِ المُعجميّةِ متكاملةً كَمًّا وكَيْفًا [(4)]؛ لأنّ مفرداتِ اللّغة التي يكتسبُها المتعلّمُ من نصوصِ القراءةِ الصّفّيّةِ تُقدّمُ له من خلال شرحِها وبيانِ معناها، وفي أفضل الأحوالِ يُشار إلى سماتِها الوظيفيّةِ وخصائصِها الصّرفيّةِ «اسم، فعل، حرف، مفرد، جمع» وهذا المحتوى المُعجميُّ ليس كافيًا بالنّسبة للمتعلّمين المُتعطّشين إلى التّعرّفِ على أصل المُفردة، ومعانِيها التي ارتبطت بها عبْرَ مسارِها التّاريخيِّ الذي سَلَكَتْهُ، والقيمِ الثّقافيّةِ والتّربويّةِ التي تحملُها، وسدًّا لهذه الثّغرة التّعلّميّةِ

في الرّصيد المُعجميّ المُوجَّه للمُتعلّمين، نقترحُ محتوى المُعجم التّاريخيّ باعتباره مُكمّلًا للمُعجم المدرسيّ، وذلكَ إغناءً للرّصيد المُعجميّ الذي يكتسبُه المتعلّمون في نهاية الفصل الدّراسيّ، وتَقْريبًا بيداغوجيًّا وتربويًّا لهذا المشروع العلميّ المتميّز، ويمكنُ أن يتحقّق ذلك من خلال المدخلِ التّعليميِّ الوظيفيِّ للمُعجم عبْرَ الخطوات الآتية:

الخطوةُ الأولى: تقديمُ المُفردة مُجرّدةً من سياقِها النّصّي

الخطوةُ الثّانيةُ: تحديدُ سماتِها الوظيفيّةِ، اسمٌ أم فعلٌ أم حرفٌ.

الخطوةُ الثّالثةُ: شرحُ معناها اللّغويّ

الخطوةُ الرّابعةُ: تقديمُ لمحةٍ مختصرةٍ عن تاريخ الكلمة وسياقِ استعمالِها.

تشكّل هذه الخطواتُ لَبِنَةً أولى لإدخال المُنجزِ المُعجميِّ التّاريخيِّ في صُلبِ العمليّةِ التّعليميّة التّعلُّميَّة، والتي ستمكّنُ الطلاّبَ منَ الإحاطة المُعجمية بالمفردات التي يتعلّمونَها من جميع النّواحي الصّوتيّةِ والصّرفيّةِ والدّلاليّةِ والتّاريخيّةِ، وتمثيلًا لهذه الخطوات، نستحضرُ ما أَوْرَدَهُ المُعجمُ التّاريخيُّ بخصوص مُفردةِ «برْنامج» التي لا يعرفُ عنها التّلاميذُ إلاّ معنًى واحدًا هو المعنى المعاصرُ، أي: «حلقةٌ من البثِّ التّلفزيُوني أو الإذاعي» بينما أحصَى لها المُعجمُ التّاريخيُّ عدّةَ معانٍ، بعد أن حدّدَ سِمَتَها الوظيفيّةَ بأنّها «اسمٌ» وحدّدَ أصلَها اللُّغويَّ بأنّها كلمةٌ «مُعرّبَةٌ عنِ اللّغة الفارسية» ثم سرد معانيَها الكثيرةَ، ومنها «أنَّ البرنامجَ: الدّفترُ المُبيّنُ صفةَ ما في الوعاءِ منَ الثياب المَبيعَةِ ونحوِها، ومنها: أنّه الخطّةُ المرسومةُ لتحقيق أهدافٍ مُعيّنةٍ، ومنها: أنهُ المُقرّرُ الدّراسيُّ...»[(5)] ويقدّمُ هذه المعانيَ مُفصّلةً حسب تسلْسُلِها التّاريخيِّ منذ القِدَم إلى عصرنا الحالي. وهذا بخلافِ ما هو كائنٌ اليومَ؛ حيث تقتصرُ المعرفةُ المُعجميّةُ المدرسيّةُ على الجوانب الدّلاليةِ فقط، أمّا الجوانبُ الأخرى فغيرُ موجودةٍ، خصوصًا الجانبَ التاريخيَّ منها.



إنّ الخطواتِ التّعليميّةَ التي قدّمناها سابقًا – على قيمتِها- لا تكفي وحدَها لِنَقْلِ مُحتوى المُعجم التّاريخيِّ إلى مناهجِ اللّغة العربيّةِ في الصّفوف المدرسيّةِ، ومن ثَمَّ فإنّ تحقيقَ ذلك المَسعى التّربويِّ بشكلٍ كاملٍ، رهينٌ بإثارة الاجتهادِ في ميدان الصّناعةِ المُعْجَميّةِ المَدْرسيّةِ التي «تنطوي على العديدِ منَ الاختلالات ذاتِ الصّلةِ بالشّروح المساعِدةِ المُتضمّنةِ في الكُتب المدرسيّةِ التي تُركّزُ فقط على الشّرح في غيابٍ تامٍّ لكلّ تجديدٍ في مداخل المُعجم»[(6)].

> **ليستِ اللّغةُ مجرّدَ متنٍ جامدٍ منَ المفردات، وإنّما هي عالَمٌ حيٌّ يَحكي تجربةَ قومٍ بثّوا فيها خُلاصةَ تجاربِهم**

ولتجاوُزِ تلك الاختلالات يمكنُ الانطلاقُ منَ الثّروة اللّغويةِ التي يحتوي عليها المُعجمُ التّاريخيُّ وتقديمُها إلى المتعلّمين على شكْلَيْنِ، الأوّل: مُعجمٌ مدرسيٌّ تاريخيٌّ مُوسَّع ومُستقلّ. والثاني: ثَبَتٌ مُعْجَميٌّ يُوضعُ في مُلحقٍ آخرَ الكتاب المدرسيّ، ويكونُ مقتصرًا فقط على المفردات التي وردت في ذلك الكتاب.

يُمكِّنُنا الشَّكْلُ الأوّلُ، منَ الانتقال من قاموسٍ



مدرسيٍّ يكتفي بالشّرح فقط، إلى مُعجم مدرسيٍّ غنيٍّ يُنمِّي الكفايةَ المُعجميّةَ للمتعلّمين من حيث الكمُّ والكَيْفُ؛ لأنّه يعتمدُ مداخلَ متعدّدةً على رأسها المدخلُ التّاريخيُّ، وبهذا تصبحُ اللّغةُ التي يَبحثُ عنها المتعلّمُ في هذا المُعجم، معروفةَ المصدرِ والبيئةِ التي نشأت فيها، والسياقاتِ التي استُعملت فيها، والمعاني التي ارتبطتْ بها. أمّا الشّكل الثّاني، فيمكنُ تحقيقُه من خلال مُعجم تاريخيٍّ مُصغَّرٍ عبارةٍ عن ثَبَتٍ مُعجميٍّ يُوضعُ مُلحقاً في آخر الكتاب المدرسيّ، يشتملُ على قائمةٍ منَ العبارات والمُفردات التي وردت في نصوص المنهاج، ويشرحُها شرحًا تاريخيًّا. ولهذا الثّبَت المُعجميّ فائدتان تعليميّتان، الفائدةُ الأولى تكمنُ في بناءِ رصيدٍ مُعجميٍّ متكاملٍ في نهاية كلِّ موسم دراسيٍّ. أمّا الفائدةُ الثّانية، فتتجلّى في سُهولة التّحكُّمِ في الثّبَت المُعجميِّ المُلحَقِ؛ حيث يمكنُ أن نضيفَ إليه ما جَدَّ من مُفردات أو مصطلحاتٍ في اللّغة العربيّةِ المعاصرة، ويمكنُ تحويلُه إلى تطبيقاتٍ رقميّةٍ تعليميةٍ يستعملُها المتعلّمون في الوقت الذي يريدون، وهذا يجعلُ المتعلّمين يكتسبون لغةً حيّةً ومتزامنةً مع واقعِهم اللّغويِّ، ومُستمَدّةً من تاريخِهم، وهذه السّمةُ توجدُ حصْرًا في المُعجم التّاريخيِّ.

ثانيا: المدخلُ التّربويُّ الهُوِياتيّ:

ليستِ اللّغةُ مجرّدَ متنٍ جامدٍ منَ المفردات، وإنّما هي عالَمٌ حيٌّ يَحكي تجربةَ قومٍ بثّوا فيها خُلاصةَ تجاربِهم، وعُصَارةَ عواطفِهم، ودَوّنوا فيها رُؤاهم الفكريّةَ المتنوّعةَ، وتأمّلاتِهم في الكون والمخلوقات، ولعلَّ اللّغةَ العربيّةَ خيرُ ما يُمثّلُ ذلك الحضورَ الثّقافيَّ والهُوِيَاتِيَّ في نَسَقِها «صرفًا ونَحْوًا ومُعْجَمًا ودلالةً»؛ إذ تميّزت بمُرونتِها اللّغويّةِ، وبانفتاحِها على مختلف الثّقافاتِ التي تجاورت معها جُغرافيًّا واقتصاديًّا، وبقُدرتِها على الانفتاح نقلتْ

إلى الإنسانية وعبْرَ أجيالٍ مُتعاقبةٍ عُلومَ الفُرْس واليونان والهند، فترجمَتْ عنها كُتُبَ الحكمةِ والفلسفةِ والطِّبِّ والفلكِ والمِلاحَة البحرية.

تأسيسًا على سِمةِ الانفتاح في اللّغة العربيّةِ ينبغي النّظرُ إليها في سياق تعليمِها مُعجميًّا إلى جانبين اثنين «تعلّمُ اللّغة العربيّةِ لغاياتٍ لُغويةٍ مَحضةٍ، وتعلّمُها لغايةٍ ثقافيّةٍ»[7] ولا سبيلَ إلى إغناء الرّصيد الثّقافيّ في اللّغة العربيّةِ لدى المُتعلّمين، إلا بوجودِ المدخلِ الثّقافيِّ في المُعجم المدرسيِّ، وهذا المدخلُ لا يتحقّقُ في المعاجم المدرسيّةِ المعاصرة؛ لأنّها عاجزةٌ عنِ الإحاطة بسياقاتِ استعمالِ المفردةِ الواحدةِ، فتعمدُ إلى انتقاءِ معنى واحدٍ على حساب معانٍ كثيرةٍ، وبالتّالي فهي ذاتُ مخزونٍ ثقافيٍّ محدودٍ، وبتعبيرِ عبد الغني أبو العزم، إنّها «معاجمُ إيديولوجيّةٌ انتقائيّةٌ لا تخضعُ للتّنوّع الثّقافيّ وتعدّديته»[8]، ولتجاوزِ هذا الإشكال يمكنُ الاستنادُ إلى المحتوى الثّقافيّ للمُعجم التّاريخيّ، لأنّه يقبضُ على دلالاتِ الألفاظ كلِّها مع الإشارة إلى السِّياقاتِ الثّقافيّةِ التي تستعملُ فيها تلك الألفاظُ، ويُؤصّلُ للكلمة بحسْبِ اللّغة التي نشأت فيها. وتلك السّياقاتُ ليس مجرّدَ مصادفاتٍ اعتباطيّةٍ لاستعمال الألفاظ، بل هي البيئةُ الحضاريّةُ والثّقافيّةُ التي تنسجمُ مع اللّغة التي تنشأُ فيها، ومن خلال السّياقِ الثّقافيِّ ينفذُ المتعلّمون إلى الهويّةِ الحضاريّةِ التي تَكْتَنِزُها لغتُهم، ويَتَرَبَّوْنَ وَفْقَ القِيَم النّبيلةِ التي تحملُها.



يقدّمُ لنا المعجمُ التّاريخيُّ بالشّارقة مثالاً لكلمةٍ تحملُ في نسَقِها الصّوتيِّ والدّلاليِّ حمولةً ثقافيّةً متّصلةً بالهويّة العريقةِ المتجذّرةِ فيها، وهي كلمةُ «دِين» ويُؤصّلُ لها في اللّغات السّاميّةِ التي احتفظت بها عنِ العربيّةِ مثل «اللّغاتِ الأكديّةِ والعبريّةِ والأوجاريتيّةِ والآراميّةِ والجِعْزيّةِ والسّوريانيّةِ»[9]، أمّا المعاني التي تحملُ هويّةَ هذه الكلمةِ فتزيدُ عن عشرين مَعْنىً، وهي «الدّيانةُ، والحالُ، والإكـراهُ والذّلُّ، والعادةُ والسّيرَةُ والدّأبُ، والحُكْمُ، والسُّلطانُ، والطّاعَةُ، والتّوحيدُ، والقَضَاءُ، والإسلامُ، والجَزَاءُ والمُكافأةُ، والحِسابُ والعَدُّ، والقِصاصُ والدّاءُ، والتّدْبيرُ، والتّشريعُ، والوَرَعُ، وفي الفلسفة يعبّرُ عنِ المُطلق في إطلاقه، وعنِ المحدودِ في محدوديّتِه»[10]

وبالنّظر إلى هذه المعاني الغزيرةِ التي تحملُ في ثناياها قيمًا تربويّةً تعكسُ عُمقَ الهويّةِ الحضاريّةِ للكلمة، وهي معانٍ لا يمكنُ للمتعلّمين في المدارس أن يصلوا إليها لولا وجودُ المُعجم التّاريخيِّ. أمّا إذا أُدْرِجَ المحتوى التّربويِّ الثّقافيِّ للمُعجم التّاريخيِّ، فسيصبحُ في إمكان المتعلّمين الاستفادةُ منَ القيمِ التّربويّةِ التي

(1) باحث في سلك الدكتوراه، تخصص اللسانيات التطبيقية والمقارنة، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

(2) عباس الصّوري، في التّلقي اللغويّ والمعجميّ، سؤال المنهج، دار النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 2004، ص 201.

(3) رشيدة الزاوي، منهاج اللغة العربية، من خطاب الغايات إلى الأجرأة الديداكتيكية، دار أبي رقراق للنشر، المغرب، الرباط، ط1، 2014، ج1/ ص 64.

(4) المنظمة العربية للتربية والثقافة، الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، تونس، 1989، ص 23.

(5) انظر الموقع الرسمي للمعجم التاريخي بالشارقة على الرابط الآتي:
20%https://www.almojam.org/root/588/%D8%A8
20%D8%AC/word/16017%85%20%D9%%D8%B1
86%%92%D9%8E%D8%B1%D9%/%D8%A8%D9



تكْتَنِزُها الكلمةُ على المستوى الثّقافيِّ والتّربويِّ؛ حيث تحملُ تلك الكلمةُ وغيرُها، ما يُسمّيه مؤرّخُو الذِّهنيّات والمقارنةِ بين الثّقافات بـ«رؤيةِ الأمّة إلى العالَم» أي ما راكمتْه الأمّةُ عبْرَ مسارها التّاريخيِّ من أحوالٍ وتجاربَ وخبراتٍ وأفكارٍ ومعاملاتٍ، وبهذا فإنّ القيمَ التّربويّةَ مثلَ «الطاعة والتّوحيد والقضاء..» والقيمَ الاجتماعيّةَ مثلَ «التّدبير والتّشريع والجزاء..» ستكونُ في متناول الجيلِ النّاشئِ.

في خاتمةِ هذه المقالةِ، نستطيعُ أن نقولَ إنّ مقترحَ التّقريب البيداغوجيّ للمُعجم التّاريخيِّ في السّياق التّعليميّ، ضرورةٌ حضاريّةٌ وتعليميّةٌ يستدعيها الاعترافُ بهذا المُنجز العلْميّ الكبيرِ، والعملُ على الاستفادة منه في تعليم اللّغةِ العربيّةِ للنّاشئةِ، حتّى تتمكّنَ الأجيالُ المعاصرةُ واللّاحقةُ منَ الاتصال الثّقافيِّ بجذورها اللّغويّةِ وما تحتوي عليها من قيمٍ نبيلةٍ جديرةٍ بالتعلّم.

8E%D8%AC%85%D9%D8%A7%D9

(6) محمد اشطيبة، المعجميّة العربية والاتجاه التعليمي، مجلة دراسات بيداغوجية، العددان 2/3، المغرب، 2017، ص 185.

(7) عباس الصوري، في التلقي اللغوي والمعجمي، سؤال المنهج، ص 90.

(8) عبد الغني أبو العزم، المعجم والإيديولوجيات المعاصرة، مجلة النهضة، العددان 23-24، المغرب، 2021، ص 65.

(9) انظر رابط الموقع الرسمي:
https://www.almojam.org/86%8A%20%D9%root/3464/%D8%AF%20%D9

(10) انظر الرابط:
https://www.almojam.org/86%8A%20%D9%root/3464/%D8%AF%20%D9/86%8A%D9%90%D9%word/34202/%D8%AF%D9

في كلامِ الشِّعْرِ وفِعْلِ الكِيمْيَاءِ

قد يَرومُ الشّاعرُ تضمينَ شعره ثمارَ العلْم واكتشافاتِه، والمضيَّ بأبياتِه حتى مواكبةِ النّموِّ المعرفيِّ. ومنذُ القِدَم، احتوى الشّعرُ العربيُّ مبادئَ العلوم المختلفةِ بصدرٍ رحْبٍ؛ ومن ذلك ما أوردناه في مقال: «في الشّعرِ وأفلاكِه»(1) ؛ الذي أظهر كيفيّةَ استضاءةِ القصائدِ بالظّواهرِ الفلكيّةِ ومُسمّيات علْمِ الفَلكِ، ولمَعَ كثيرٌ منَ الكِيمِيَائِيِّينَ العربِ في نظْمِ الشّعرِ، مثلُ: جابرِ بنِ حيان، والطّغرائيّ، وكمال الدّين ابنِ النّبيه المصريّ الذي قال يوماً واصفاً حالةَ عشْقِه:

تعلّمتُ علمَ الكيمياءِ بِحبّه
غزالٌ بجسمي ما بعينَيه من سُقمِ
فصعّدتُ أنفاسي وقطّرتُ أدمعي
فَصَحَّ مع التّدبير تصفيرةُ الجسمِ (2)



د. عادل داود
عضو اتّحاد الكتاب العرب

فأَنتجَ تفاعلُ الشّعر العربيِّ مع الكيمياءِ وصفًا وغزلاً وهجاءً ومديحًا، وفي السّطور الآتية، سنعرِض بعضَ الأمثلة التي تُصوِّرُ التّفاعلَ الشّاعريَّ مع سماتِ الكيمياء وموادِّها وتجاربِها؛ مُستدلّين لهذا المذهب بأبياتٍ ركّبها الشّاعران ابنُ الرومي وابنُ أرفعِ رأسٍ؛ وذلك على سبيل المثالِ لا الحصرِ.

ابنُ الرّوميِّ وَكِيمِيَاءُ النَّسَب

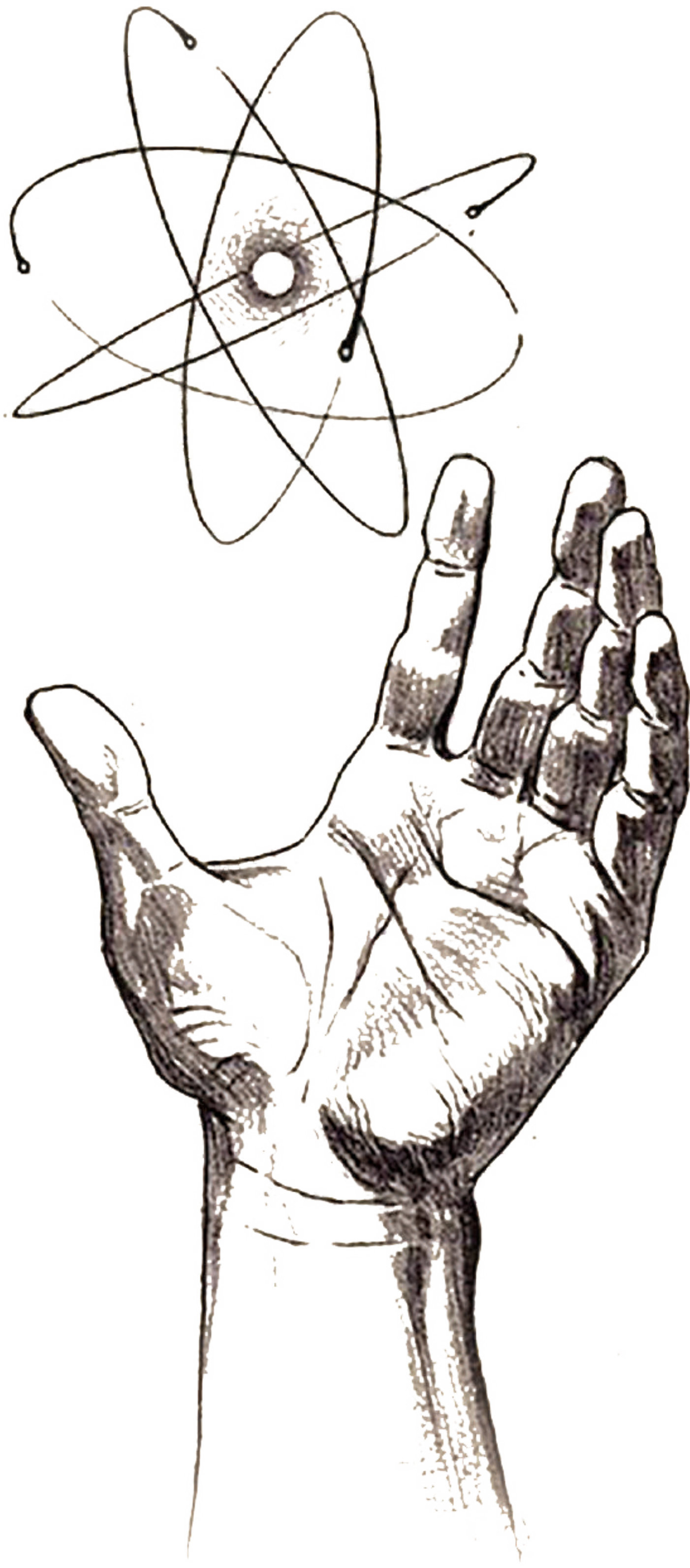
إتقانُ الشّاعرِ مهنةَ الكيمياءِ ليس شرطاً لازمًا لإتاحةِ الاستعانةِ بمركّباتِها، فكثيرٌ منَ الشّعراء أخذُوا علمًا بسِمات الكيمياءِ العامّةِ، وكتبوا شِعرًا بديعًا؛ ومن هؤلاء أبو الحسن عليُّ بنُ العباسِ بنِ جريج المعروف بابن الرّومي (221 هـ– 283 هـ)، والذي سمع أنَّ في الكيمياء سحرًا يحوِّلُ البخسَ إلى ثمينٍ، فيُحكى أنّه مدحَ نسب وزير المعتمد إسماعيلَ بنِ بلبل الشّيباني الملقّب بأبي صقر، لكنّ الأخير لم يُجزلْ له العطاءَ حين شبّه ابنُ الرّوميّ الوزيرَ بمركّب فردٍ يتولّد منه نسلُ بني شيبان، قال:

أضحى أبو الصّقر فرداً لا نظير لهُ
بعدَ النّبي ومن والتْ خراسانُ
قالوا أبو الصّقر من شيبانَ قلتُ لهم
كَلَّا لَعَمْري ولكن منهُ شيبانُ

لكنّ أبا صقر لم يستسغْ هذا المديحَ؛ لأنّه لم يكن في الأصل من شيبانَ، فأخذه الظنُّ بأنَّ الشّاعرَ يتّخذُه ونسبَه هُزوًا، فامتعض، وامتنعَ عن إثابة ابنِ الرّوميّ الذي اعتصر موهبتَه لا

حُبًّا للوزير صاحبِ الرّاتب الكبير، بل طمعًا في ماله، فانتظر ابنُ الرومي ساعةَ عزل الوزير ليهجوَه هِجاء مرًّا، قال:

مثلَ أبي الصقرِ إن فيه وفي
دعواهُ شيبانَ آيةً عجبا
بيناهُ عِلْجاً [3] على جِبلَّتهِ
إذ مسَّه الكيمياء فانقلبا
عرَّبَهُ جَدُّهُ السعيدُ كما
حَوَّل زِرْنيخَ جدِّه ذهبا
وهكذا هذه الجدودُ لها
إكسيرُ صدقٍ يُعرِّبُ النّسبا



تظهرُ التّعابيرُ المتّصلةُ بمهنة الكيمياءِ جليّةً:

* عجبًا: العجبُ الحقيقيُّ في عمل الكيمياء، فهو يحدِثُ انقلاباً في المادّة الرّخيصةِ ويحوِّلُها إلى ذهب.
* جِبلّة: الجوهرُ الحقيقيُّ.
* زِرنيخ: حجرٌ صلبٌ، مكوّناتُه سامّةٌ، يُستعملُ في صنع العقاقير وسُمِّ الحشرات.
* إكسير: مشروبٌ قِيل في الماضي تحقيقُه طولَ البقاء، وهو أيضًا مادّةٌ كيميائيّةٌ ارتبط ذكرُها بالقُدرة على تحويلِ المعدنِ العادي إلى ذهب[4].

والحاصلُ أنَّ الشّاعرَ تهكَّمَ منَ الوزيرِ السّابقِ ذي الأصولِ الأعجميّةِ، المُدّعي نسباً عربياً أصيلاً، فلم يجد تفسيراً لتغيّرِ نسبِه إلّا استعمالَ جدّه وصفةً كيميائيّةً قَوامُها إكسيرٌ أو حجرُ زرنيخ، وهكذا جرَّب ابن الرومي مزج سخريته بآيات الكيمياء العجيبة، فأتقن صنعته في التّصوير الشّعريّ البليغ، وفي ترويض مصطلحاتِ العلمِ لخدمة الهجاءِ اللّاذعِ في الشّعر.

ابنُ أرفع رأسٍ وكيمياءُ الوصْفِ

كَتبَ أبو الحسن بنُ موسى بنِ أبي القاسم الأنصاريُّ الجيّانيُّ المعروفُ بابنِ أرفعِ رأسٍ (515 هـ- 593 هـ) ديوانَ: شذور الذّهب في صناعة الكيمياء. وقِيل في هذا

الدّيوان: «إنّه إنْ فاتكَ ذَهَبُه لم يفُتْكَ أدبُه»، فتجلّت في أشعاره رقّةٌ وبيانٌ تنْفذُ إليهما الخواصُّ الكيميائيّةُ، يقولُ:

كأنّ من الفرفير جوهرَ خدِّها
إذا أسفرتْ عنه وقد كان أبلجا

فنرى في الأبيات معاني تدورُ في فلَك صَنعةِ الكيمياء، وتَنتجُ عنِ الألفاظ الآتية: الفرفير وهو الأحمرُ الشّديدُ القانِي، وَالجَوْهَرُ مَا بَطَنَ منَ الشيء؛ وقد وردَ في لسان العرب: «كَمى الشيءَ وتَكَمَّاه: سَتَرَه... وانْكَمَى أَي اسْتَخْفى»، ومنه اشتقاقُ لفظِ الكيمياء، وظهرت نتيجةُ التّجربةِ (أسفرت) بعد (الإبلاج) أي البُروزِ والسّطوعِ.

ويقول واصفاً البحرَ:

كأنَّ بخارَ البَحرِ عند ارتفاعِه
دخانٌ علا من مندَل فتأرَّجا

المندَل: منَ الطِّيب، يتأرَّج أي يفوحُ عطرُه، فشبَّه الشّاعرُ به تبخّرَ ماءِ البحر، ليُبدعَ التّصويرَ، ويجيدَ الرّبطَ بين عناصرَ متباعدةٍ.



الخاتمةُ

لا جَرمَ أنَّه يوجدُ تشابهٌ كبيرٌ بين مهنةِ الكيميائيِّ وصَنعةِ الشّاعر؛ لأنَّ منطلقَ عملِهما الخيالُ، ومآله التّجريبُ، لذا لا يُستغرَبُ شيوعُ مصطلحِ «كيمياءِ الشّعر» في النّقد الحديث، إذ إنَّ الشّعرَ يستثمرُ صُوراً إبداعيّةً مبتكَرةً حين يجمعُ بين عناصرَ لا تلتقي في العادةِ؛ لأنّها ليست منَ المعدن ذاتِه، ليجعلَها تلتقي وتتفاعلُ في دُنيا الخيال، منتجةً مجازًا سُمِّي «كيمياء الخيال». يقول الطّغرائي:

أعيا الفلاسفةَ الماضين في الحِقَبِ
أن يصنعوا ذهبًا إلا منَ الذّهبِ
أو يصنعوا فضّةً بيضاءَ خالصةً
إلا منَ الفضّةِ المعروفةِ النّسبِ
فقل لطالبها من غيرِ معدنِها
أضعتَ نفسَك بالتّنكيد والتّعبِ

ولكنْ لَوْ بَدَّلَ الشَّاعرُ بِالفَلاسِفَةِ الشُّعَرَاءَ لتغيّرتِ الحالُ، فيُترَكُ لإلهام الشّاعرِ واحترافِه مهمةُ صُنعِ التآلف والمزج بين المألوفِ والمجرَّب، لتركيب خلْطةٍ قوامُها كلامٌ شعريٌّ ومضمونُها الفاعلُ كيمياء ساحرةٌ، ويمكنُ قياسًا على ذلك إخصابُ الشِّعر بالمفاهيمِ العلميّةِ المُشتقَّةِ من مختلف العلومِ، كالفيزياءِ والرّياضيّاتِ والطّبِّ وغيرِها، ليكون إثمارُه رحبَ الجَنَابِ كثيرَ الخَيرِ.

المراجع

* الصولي أبو بكر محمد بن يحيى، الأوراق، ط1، الصاوي، القاهرة، 1934.

* القيسي الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن بن موسى، شرح مقامات الحريري، الجزء الثالث، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

* روخوموفسكي، برنارد، «بين العلم والأدب: ناقلون ومعابر»، ت عادل داود، مجلة الأدب العلمي، جامعة دمشق، العدد 57، أيار 2018، ص29-46.

* القزويني الخطيب، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1932.

* الصفدي، خليل بن أيبك، الغيث المسجَّم في شرح لامية العجم، الطبعة الأولى، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، 1305هـ.

* ريتشاردز، العلم والشعر، ت مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1926.

* داود، عادل، «علم الترجمة في ضوء العلوم العصبية والمعرفية»، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، العدد 53، كانون الأول 2017، ص173-191.

* الجلدكي، علي بن محمد، غاية السرور في شرح ديوان الشذور، 1091 هـ.

* الدميري، محمد بن موسى، المقصد الأتم في شرح



لامية العجم، تحقيق حيدر فخري ميران وعباس هاني الجراح، دار الرضوان، عمّان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، 2012.

* بن خليفة، مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، دار الحامد، عمان، 2011.

* الحصيني، نجم بن مسفر، بين أدب الفيزياء وفيزياء الأدب تأملات غير معتادة، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، 2013.

(1) العدد الثالث من (مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة)، ديسمبر 2022، ص 63-67.

(2) المقصد الأتم في شرح لامية العجم، ص48.

(3) عِلج: الرجل الغليظ الشديد، أو حمار الوحشي المليء.

(4) داعب خيال الأقدمين وجودُ مادة تحقِّق هاجسَي الإنسان في الخلود وتحصيل الغنى الوافر. وتردّد ذكرها في كثير من الأبيات الشعرية، يقول ابن رشيق القيرواني:

ألقيتُ إكسيرَ اللِّحاظ بخده فقلبتُ فضةَ وَجْنتيه عَـسْجَدا

ويقول العُشاري:

أجريتَ جفني مُذ أذَبت حشاشتي فَتَقَطَّرَتْ مِـن ذلـك الأنبـيـق

فَانـظر بإكسـيـر الجَمال لِينثَـني صُفْرِي بِهِ شَمساً عَلى التَحقيق.

(فَنُّ المُدَاخَلِ): طَوْرٌ مِنَ التَّأْليفِ المُعْجَمِيِّ عِنْدَ العَرَبِ

يدورُ هذا المقالُ حولَ تذكُّرِ فنٍّ من أنواعِ الفنون الّتي صنّفتِ العربُ فيها كُتبًا، وهو (فنّ المُدَاخل)، وهو فنٌّ ظهرَ في القرن الرّابعِ الهجريِّ، حينَما ازدهرتِ الحياةُ العلميّةُ في العالَم الإسلاميِّ عامّةً وبغدادَ خاصّةً، فظهرَ على يدِ مجموعةٍ من علماءِ اللّغة، كأبي عُمر المُطَرِّز، وبعدَه صنّف فيه أبو الطّيّب اللّغويُّ، وبعدهما أبو الطّاهر التّميميُّ، حاولت في هذا المقال تسليطَ الضّوءِ على هذا النّوعِ منَ التّصنيف، وذِكرَ المصنّفاتِ الّتي كُتِبَت في هذا الفنّ، وبيانَ منهجِ مَن صنّف فيه.

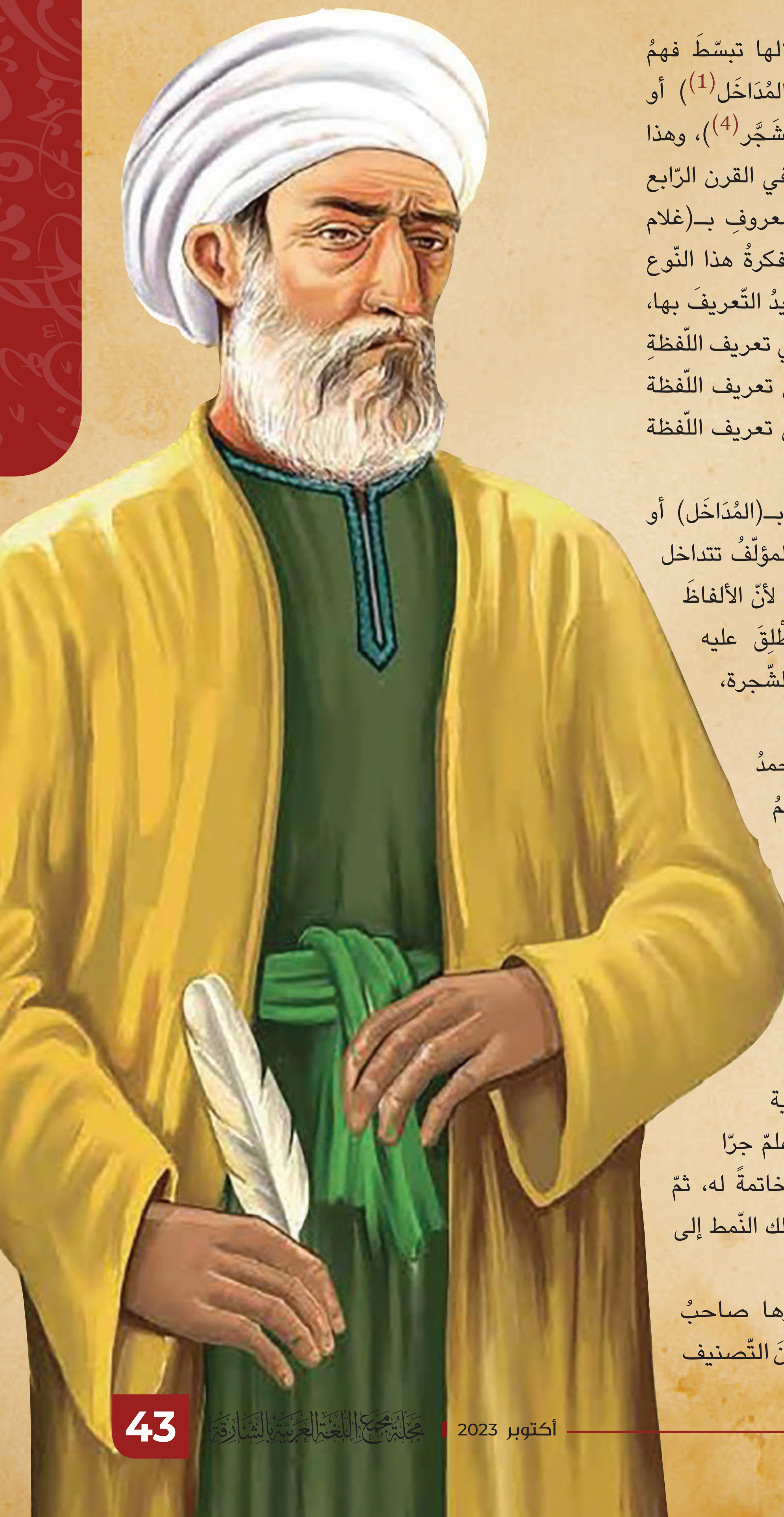


د. عليّ حكمت فاضل محمّد
كلّيّة الآداب - جامعة بغداد

اختلفتْ أساليبُ العلماء في تناوُلِ دراسةِ الألفاظ، وجمعِ دلالاتِها، فظهرت في التّراث العربيِّ مجموعةٌ منَ الطّرائقِ والأساليبِ الّتي من خلالِها جُمِعَتِ الألفاظُ في مُعجماتٍ معيّنةٍ كان منها ما جَمعتْ ألفاظَ الشّيءِ الواحدِ، وهو ما اصطُلح عليه بـ(مُعجماتُ المعاني)، وهي المُعجماتُ الّتي جمعت ألفاظَ الأشياء، كما في كتابِ الإبل، أو كتابِ الخيلِ، أو اللّبن، أو الدّاراتِ، وهكذا، فكانت تتناولُ الألفاظَ الّتي تخصُّ الإبلَ، أو الخيلَ، أو اللّبنَ، أو الدّاراتِ.

ثمّ ظهرت لدينا طريقةٌ أخرى في جمع الألفاظ، وهي جمعُ كلِّ الألفاظِ في العربيّةِ وَفقَ منهجٍ معيّنٍ، وهو ما اصطُلح عليه بــ(معجماتُ الألفاظ)، ويُقصد بها جمعُ ألفاظِ العربيّةِ على طريقةٍ معيّنةٍ كأن تكونَ الطّريقةَ الصّوتيّةَ، أو الطّريقةَ الدّورانيّةَ، أو طَريقةَ القَافِيَةِ، فنتج عن كلِّ طريقةٍ مدرسةٌ لجمع الألفاظِ اتّبعَ مَنِ انتمى إلى هذه المدرسةِ طريقةَ المُبتدعِ الأوّلِ في الكتابة على هذه الطّريقة، فظهر لنا كتابُ العين، للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ، المتوفّى سنة: 180 للهجرة، ومقاييسُ اللّغة، لأحمدَ بنِ فارس، المتوفّى سنة: 392 للهجرة، وتاجُ اللّغة وصحاح العربيّة، للجوهريِّ، المتوفّى بحدود سنة: 398 للهجرة.

وبعدها جاءتْنا مجموعةٌ منَ المصنّفات في فنونٍ أكثرَ تخصّصًا، كجمْعِ الألفاظ الّتي فيما بينها أضدادٌ، فظهر كتابُ الأضداد، لأبي بكر الأنباريِّ، المتوفّى سنة: 328 للهجرة، أو تلك الّتي بينها اشتراكٌ في الدّلالة، فظهرَ كتابُ ما اتّفق لفظُه واختلفَ معناه، للأصمعيِّ، المتوفّى سنة: 216 للهجرة، أو الّتي فيما بينها ترادفٌ، فظهرت كتبُ أسماءِ الأسد مثلًا، ككتابِ نظامِ اللّسد في أَسَامِي الأَسَد للسّيوطيِّ، المتوفّى سنة: 911 للهجرة، وهكذا.



وبدأت تظهرُ الأساليبُ الّتي من خلالها تبسّطَ فهمُ اللّغة وحفظُها، فظهر ما يُسمّى بـ(المُدَاخَل[1]) أو (التَّدَاخُل[2]) أو (المُسَلْسَل[3]) أو (المُشَجَّر[4])، وهذا الفنّ منَ التّأليف غريبٌ من نوعه ظهرَ في القرن الرّابع الهجريِّ، على يد أبي عمر المطرّز، المعروفِ بـ(غلام ثعلب)، المتوفّى سنة: 345 للهجرة، وفكرةُ هذا النّوع منَ التّأليف: أنّ المصنِّفَ يذكرُ لفظةً يريدُ التّعريفَ بها، فيعرّفُها، ومن ثَمَّ يُعرّفُ بلفظةٍ وردت في تعريف اللّفظةِ الأولى، ومن ثَمَّ يعرّف بلفظة وردت في تعريف اللّفظة الثّانية، ومن ثَمَّ يعرّف بلفظةٍ وردت في تعريف اللّفظة الثّالثةِ، وهكذا.

لذلك سُمِّي هذا الفنُّ في أوّل الأمر بـ(المُدَاخَل) أو (التَّدَاخُل)؛ لأنّ الألفاظَ الّتي يُعرّفُ بها المؤلّفُ تتداخل فيما بينها، ومن ثَمَّ سُمِّي بـ(المُسَلْسَل)؛ لأنّ الألفاظَ تتسلسلُ واحـدةً واحـدةً، وبعدَها أُطْلِقَ عليه (المُشَجَّر)؛ لأنّ الألفاظَ فيها تكون كالشّجرة، بعضُها يدخل في بعض.

وقد عرّفَ هذا النّوعَ منَ التّأليف أحمدُ الشّرقاوي إقبال، في كتابه (مُعجمُ المعاجم) بقوله: «من ظريفِ التّصنيف المُعجميّ تلك المعاجمُ الّتي سُمِّيت بالمُداخَل مرّةً، وبالمشجَّر مرّةً، وبالمُسلسل مرّةً، وكان التّدبيرُ في تصنيفها أن يبدأ الواحدُ من أبوابها بكلمة أُولى تكون مفتاحًا، ثمّ يفسّرُ معناها بكلمة ثانية، ثمّ يفسّر معنى الثّانية بثالثةٍ، ثمّ يفسّر معنى الثّالثة برابعةٍ، وهلمّ جرّا إلى أن يُغلق البابُ بكلمةٍ آخرةٍ تكونُ خاتمةً له، ثمّ يُستأنفُ الأمرُ في الباب الّذي يليه على ذلك النّمط إلى آخر الأبوابِ في الكتاب»[5].

ولابدّ منَ الإشارة إلى مسألةٍ ذكرها صاحبُ مُعجمِ المعاجم تخصُّ حدَّ هذا النّوع منَ التّصنيف

وهو قولُه: «يبدأ الواحدُ من أبوابها بكلمةٍ أُولى تكونُ مفتاحًا، ثمّ يفسّرُ معناها بكلمةٍ ثانيةٍ، ثمّ يفسّرُ معنى الثّانية بثالثةٍ، ثمّ يفسّرُ معنى الثّالثة برابعةٍ، وهلمّ جرًّا". والأمرُ ليس كذلك بالتّحديدِ، فليس منَ الواجب على مَن يصنّفُ في هذا النّوع بتفسير معنى الكلمة الثّانية، ومن ثمَّ يفسّرُ الكلمةَ الثّالثةَ، وهكذا، وإنّما يفسّرُ أحيانًا لفظةً من تفسير الكلمة الأولى، أو لفظةً من تفسير اللّفظة الثّانية، وهكذا.

انظر ما يفعلُ أبو الطّيّب اللّغويُّ في تفسيره للفظةٍ من كتابه: شجر الدّر، قال: "والنَّجْوُ: الارتفاعُ منَ الأرض، والأرضُ: القُشَعْرِيْرةُ، والقُشَعْرِيْرَة: بَدْءُ يُبْسِ الكلأ، والبَدْءُ: سَيِّدُ القبيل، والقبيلُ: كالفخِذ منَ العرب، وهو دون القبيلة...»[6].

فيتّضحُ من كلام أبي الطّيّب اللّغويِّ، المتوفّى سنة: 351 للهجرة، أنّ مَن يصنّفُ في هذا الفنّ لا يلتزمُ بتفسير معنى الكلمة الأولى، أو الكلمةِ الثّانية، أو الكلمةِ الثّالثة، إلخ، إنّما يلتزمُ بتفسير لفظةٍ من تفسير الكلمة الأولى، أو بتفسير لفظةٍ من تفسير الكلمةِ الثّانية، أو بتفسير لفظةٍ من تفسير الكلمة الثّالثةِ، وهكذا.

أمّا ما يخصُّ تاريخَ نشأة هذا الفنّ منَ التّأليف فيعودُ إلى أبي عُمر المطرّز البغداديِّ، المعروفِ بـ(غلام ثعلب)، فقد ألّف مُصنَّفًا يحملُ عنوانَ: (المُدَاخَل فِي اللُّغَةِ[7]) اعتمد فيه على نقولٍ عن شيخِه أَبِي العَبَّاسِ ثَعْلَبٍ الكوفيِّ المتوفّى سنة: 291 للهجرة، وعن عمرو بنِ أبي عمرو الشّيبانيِّ، المتوفّى سنة: 231 للهجرة، وأحيانًا عن سلمةَ بن عاصم النّحويِّ الكوفيِّ، المتوفّى سنة: 240 للهجرة، وكان الأوّلُ ينقلُ عن ابنِ الأعرابيّ الكوفيّ، المتوفّى سنة: 232 للهجرة، وكان الثّاني ينقل عن أبيه أبي عمرو الشّيبانيّ، المتوفّى سنة: 206 للهجرة، وكان الثّالث ينقل عن أبي زكريّا الفرّاءِ، المتوفّى سنة: 207 للهجرة.

وقد «رتّبه في نيّف وثلاثين بابًا سمّى كلَّ باب منها بالكلمة الّتي ابتدأ بها السّيرَ في المُداخَلات، فكان منها بابُ الطّليلِ، وبابُ الكربزِ، وبابُ الفرسكةِ، وبابُ العريجِ، وبابُ القطاجِ، وبابُ الحجالِ، وغيرُها من الأبواب»[8].

إنّ تاريخ نشأة هذا الفن من التأليف يعود إلى أبي عُمر المطرّز البغدادي

ومن أمثلة هذا الكتابِ ما ذكره في «بابُ الكِلْواذ، أَخْبَرَنَا ثَعْلَبٌ عن ابنِ الأعرابيّ، قال: الكِلْواذ: تابوتُ التّوراة، والتّابوتُ: مجتمع الأضلاع في أعلى البَطْن، والبطنُ: من بطون العرب، والعَرَبُ: النّفوسُ واحدتُها عربةٌ، يُقال: أصبحتْ طيّبَ العربةِ، والنّفوسُ: الدّماءُ، والدّماءُ: معروفةٌ، والمعروفةُ: الجارية الّتي تخرجُ على يدها العَرْفة، وهي البثرةُ، والعرْفةُ: الرّيحُ الطّيّبةُ، والرّيحُ: الغلبةُ، ومنه قولُ الله عزّ وجلّ: (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)[9]، أي: غلبتكم، وَأَنْشَدَنَا ثَعْلَبٌ عن ابنِ الأعرابيّ، للسُّليك:

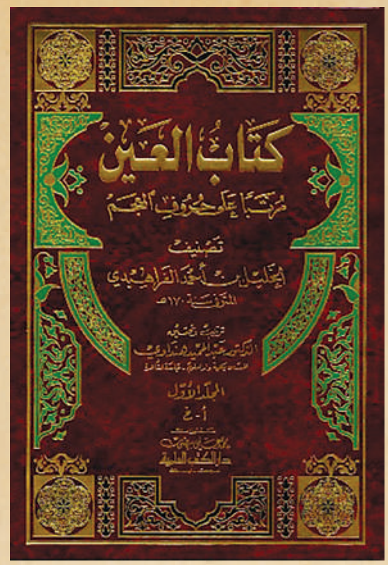
يَا صَاحِبَيَّ ألَا لَا حَيَّ بِالوَادِي
إلَّا عُبَيْدٌ وَآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ
أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفْلَتِهِم
أَوْ تَغْدُوانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلغَادِي[10]

والمصنَّف الثّاني في هذا الفنّ، كتاب (شَجَرُ الدُّرِّ فِي تَدَاخُلِ الكَلَامِ بِالمَعَانِي المُخْتَلِفَةِ) لأبي الطّيب اللّغويِّ، أوجز منهجَه في مقدّمة كتابِه بقوله: «هذا كتابُ مداخلةِ الكلام بالمعاني المختلفةِ، سمّيناه (شجر الدّرّ)؛ لأنّا ترجمْنا كلَّ بابٍ منه بشجرة،

وجعلنا لها فروعًا، فكلُّ شجرة مائةُ كلمة، أصلُها كلمةٌ واحدةٌ، تتضمّنُ منَ الشّواهد عشرةَ أبيات منَ الشّعر، وكلُّ فرع عشرُ كلمات، فيها منَ الشّواهد بيتان إلّا شجرةً ختمنا بها الكتاب... وإنّما سمّينا البابَ من أبواب هذا الكتاب شجرةً؛ لاشتجار بعض كلماتِه ببعض، أي تداخلُه، وكلُّ شيءٍ تداخل بعضُه في بعض فقد تشاجرَ، ومنه سُمِّيتِ الشّجرةُ شجرةً...»(11).

وكان أبو الطّيّب اللّغويُّ يذكرُ اللّفظةَ ثمّ المعانيَ الّتي تتداخَلُ أو تتسلسلُ منها، وحينما ينتهي منَ الألفاظِ الّتي تتسلسلُ من ذكرِ دلالتِها أوّلَ مرّةٍ، يقومُ بإعادة اللّفظةِ الأولى مرّةً أخرى ولكنْ يذكرُ دلالةً أخرى لها، ومن ثَمَّ ينتهي منَ الألفاظ الّتي تتسلسلُ منها، وبعدها يعود للّفظةِ مرّةً ثالثةً، ويذكرُ الألفاظَ الّتي تتسلسل منها، وهكذا، ويُسمّي اللّفظةَ الّتي يَدُورُ عَلَيْهَا الكَلَامُ بــ(شجرة)، وكلَّ دلالةٍ مع الألفاظ الّتي تتسلسلُ عنها (فرع)، مثال ذلك الشّجرة الأولى في الكتاب: (الصّحن) يعطي أوّلَ دلالة له: (قدح النّبيذ)، وبعدها حينما يعطي الدّلالةَ الأخرى (إصلاح الشِّعْب)، ويذكر بعدها الألفاظ الّتي تتسلسل منها، هنا يسمّى فرعا، ثمّ حينما يعطي الدّلالةَ الأخرى وهي (الإحذاء) مع ذكره للألفاظ الّتي تتسلسل منها، وهنا أيضًا فرع، وهكذا.

وثالثُ المصنّفات في هذا الفنّ (كِتَابُ المُسَلْسَلِ فِي غَرِيْبِ لُغَةِ العَرَبِ) لأبي الطّاهر محمّد بن يوسف بن عبد الله التّميميّ المازنيّ السّرقسطيّ، المتوفّى سنة: 538 للهجرة، كان أكبرَ المصنّفات في هذا البابِ، بلغت صفحاتُه: 416 صفحة، وقدِ اختلفَ منهجُ السّرقسطيّ في جمع الألفاظِ المسلسلةِ عن سابقَيْه، فقد بوّب كتابَه هذا على خمسين بابًا، لم يضع لها عنواناتٍ تحملُ لواءَ



الباب الّذي يتكلّم عنه، وكان يبدأ البابَ بشاهدٍ شعريٍّ يقتبسُ منه لفظةً يبدأ الحديثَ عن معناها، ثمّ يستمرُّ في مسلسل الألفاظ حتى يصلَ إلى آخر لفظةٍ يختتم بها بشاهدٍ منَ الشّعر تكونُ اللّفظةَ الأخيرةَ الّتي يتكلّمُ عنها آخرَ لفظةٍ في البيت الّذي ختم به البابَ(12)

ومنَ الألفاظِ المُداخَلة الّتي وردت في هذا الكتاب ما جاء في الباب التّاسع، أنشد أبو زيد لسعد ابن ميّادةَ:

أَجَدَّ فِراقُ النَّاقِمِيَّة غُدْوَةً
أم البَيْنُ يَحْلُو لي لِمَن هُو مُولَعُ
لقد كنت أهوَى النَّاقِمِيَّةَ حِقْبَةً
فَقَدْ جَعَلَتْ آسَانُ بَيْنٍ تَقَطَّعُ

الآسانُ: المُشَابه، وهي هنا القُوَى، والقُوَى: جمعُ قوّة، والقوّة: طاقةٌ من طاقات الحَبْلِ، والحَبْلُ: المستطيلُ منَ الرَّمَل، والرَّمَلُ: ضربٌ منَ السّعْي، والسَّعْيُ: الحَرْشُ، والحَرْشُ: الصَّيْدُ، والصَّيْدُ: ما أخذته عفوًا، والعَفْوُ: الصَّفْحُ، والصَّفْحُ: الجانبُ، والجانبُ: الغريبُ، والغريبُ: النَّزيعُ، وَالنَّزِيعُ: السَّهْمُ، والسَّهْمُ: النّصيبُ، والنّصيبُ: حجارةٌ حول شفير الحوض، والحوضُ الصّغير: الخَرِيصُ، والخَرِيصُ الخَرِصُ: الجائعُ المَقْرور، والمَقْرُورُ: الخَصِرُ، والخَصِرُ منَ الماء: الباردُ العذبُ، والعذبُ: ضدّ الفظيع، والفظيعُ: الكريهُ الذّوق، والذّوقُ: العَذْفُ، والعَذْفُ: الأصلُ، والأصلُ: العِيصُ، والعِيصُ: مَنْبَتُ الشَّجَرِ، قال الأخرم السّنبسيُّ:

بها قُضُبٌ هُنْدوَانِيَّةٌ
وَعِيصٌ تَزَاءَرُ فِيهَا الأُسُودُ

والشّجر: ما قام منَ النّبت على ساق، والسَّاقُ: عظيمُ القَدم، قال طَرفةُ:

للفتى عقلٌ يعيشُ به
حيث تَهدي ساقة قدمُه

والقَدَم: السَّابقةُ، والسَّابِقَةُ: الفَرَط، والفَرَطُ: المُتقدّمون إلى الماء، قال أبو النّجم:

ومنهلٍ وَرَدْته التِقاطًا
لم ألْقَ إذ وردتُهُ فُرَّاطا
إلا الحمامَ الورقَ والغَطَاطا
فَهُنَّ يُلْغِطْنَ به إلغاطا [13]

أمّا جلالُ الدّين السّيوطيُّ فلم يزدْ شيئًا من أمثلةٍ عمّا ذكره أبو الطّيب اللّغويُّ في شجرِ الدّر، ولكنّه اصطلح عليه بــ(المُشَجَّر) استنادًا إلى أنَّ جَمعًا منَ العلماء وضعُوا كتبًا في ذلك، وسمّوها: (شجرُ الدّر)[14]، إشارةً إلى الكتابِ الأشهرِ في ذلك: (شجر الدّر لأبي الطّيّب اللّغويّ)، فقد عوّل عليه كثيرًا في الأمثلة الّتي رجعتُ إليها.

وقد أشار السّيوطيّ في نهاية حديثه عن هذا الفنّ بأنّه «يناظرُه من علْم الحديث نوعُ التّسلسل»، والتّسلسل صفةٌ من صفات أسانيدِ الأحاديثِ النّبويّةِ الشّريفةِ، ذكرَه مَن صنّف في اصطلاح الحديث، قال ابنُ الصّلاح في مقدّمته: «التّسلسلُ من نعوتِ الأسانيد، وهو عبارةٌ عن تتابعِ رجال الإسناد وتوارُدِهم فيه واحدًا بعد واحد على صفةٍ أو حالةٍ واحدةٍ»[15]



(1) نسبة إلى كتاب المُداخل في اللّغة: لأبي عمر المطرّز.
(2) نسبة إلى كتاب شجر الدّرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة: لأبي الطّيب اللّغويّ.
(3) نسبة إلى كتاب المسلسل في غريب لغة العرب: لأبي طاهر التّميميّ.
(4) نسبة للباب الّذي ذكره السّيوطيّ في المزهر.
(5) إقبال، أحمد الشّرقاوي: معجم المعاجم، الطّبعة الثّالثة، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، 2011م، ص341.
(6) اللّغويّ، أبو الطّيّب عبد الواحد بن عليّ، شجر الدّر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تحقيق: محمّد عبد الجواد، الطّبعة الثّالثة، دار المعارف، القاهرة، 1985م. ص66.
(7)وقيل: له مصنّف آخر عنوانه: (حلّ المُداخَل) نسبه إليه جمعٌ من العلماء، ينظر: الحمويّ، ياقوت، (معجم الأدباء) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: الدّكتور إحسان عبّاس، الطّبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1993م. ج6/ ص2559، والقفطيّ، جمال الدّين، إنْبَاهُ الرُّوَاةِ على أنباه النّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 2009م. ج3/ ص177، ومعجم المعاجم ص342، وسمّاه النّديم (حلى المُداخَل)، ينظر: النّديم، محمّد بن يعقوب، الفهرست، الطّبعة الثّانية، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002م. ص122، وسمّاه ابن خلّكان (على المُداخَل)، ينظر: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: الدّكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1978م. ج4/ ص330. وقد يكون هو الكتاب نفسه المذكور.
(8)معجم المعاجم 341.
(9)سورة الأنفال 46.



جاء في الباعث الحثيث: «وقد يكون في صفة الرّاوية: كما إذا قال كلٌّ منهم (سمعتُ) أو (حدّثنا) أو (أخبرنا) ونحوَ ذلك. أو في صفة الرّاوي: بأن يقول حالةَ الرّوايةِ قولًا قد قاله شيخُه له، أو يفعلَ فعلًا فعلَ شيخُه مثلَه، ثمّ قد يتسلسلُ الحديث من أوّله إلى آخره، وقد ينقطع بعضُه من أوّله أو آخره، وفائدةُ التّسلسل بُعدُه عنِ التّدليس والانقطاع، ومع هذا قلّما يصحُّ حديثٌ بطريق مسلسل»(16).

ووجه الشّبه بين الحديث المسلسلِ وهذا الفنِّ من جهة تتبّع اللّفظةِ منَ الشّيخ إلى شيخه، كما في قولِهم مثلًا: حَدَّثَنَا ثَعْلَبٌ عن ابنِ الأعرابي عنِ الفرّاء، وكذلك الحالُ في قولِهم (سمعتُ) أو (أخبرنا)، والمطّلعُ على الكتب الّتي أُلّفت في هذا الفنّ يجد مثلَها كثيرا.

وقد حمل لواءَ هذا الفن، وأخرجَه إلى العلن، الأستاذ محمّد عبد الجواد(17)، الّذي نشر ثلاثةً منَ الكتب الّتي اهتمّت بهذا النّوع منَ التّأليف، فقد حقّقَ كتبًا ثلاثةً في هذا الفنّ، وهي:

1 - المُداخل في اللّغة. لأبي عمر المطرّز.

2 -شجرُ الدّرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، لأبي الطّيّب اللّغويّ.

3 - المسلسل في غريب لغة العرب، لأبي طاهر التّميميّ.

وقدّم لكلّ منها دراسةً منفصلةً عن أخوَيْه، ونشرَها في أوقاتٍ متفاوتةٍ.

---

(10)المطرّز، أبو عمر، المُداخَل في اللّغة، تحقيق: محمّد عبد الجواد، مكتبة الأنجلو، القاهرة. ص39و40.

(11) شجر الدّر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة ص61و62.

(12)ينظر: التّميميّ ، أبو الطّاهر محمّد بن يوسف، كتاب المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق: محمّد عبد الجواد، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ. ص5 (مقدّمة المحقّق).

(13)كتاب المسلسل في غريب لغة العرب ص99 - 101.

(14)ينظر: السّيوطيّ، جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم ومحمّد جاد المولى وعليّ محمّد البجاوي، المكتبة العصريّة، بيروت، 2011م. ج 1/ ص359.

(15)ابن الصّلاح، علوم الحديث، تحقيق: نور الدّين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق. ص275.

(16)شاكر، أحمد محمّد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلميّة، بيروت. ص168 و167.

(17)هو محمّد عبد الجواد بن أحمد بن إبراهيم الأصمعيّ، محقّق وباحث وأديب مصريّ، ولد سنة: 1312 هـ 1894م، وتوفّي بعد سنة: 1387 هـ - 1967م، ينظر ترجمته في: الزِّرِكْلِي، خير الدّين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطّبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م. ج6/ ص186، وصورته المرفقة في المتن من داخل الخزانة الزّكيّة، وهي مكتبة أحمد زكي باشا.

المُصْطَلَحُ البَيَانِيُّ بين جاذِبِيَّةِ المَعْنَى وغِوَايَةِ المُثَاقَفَةِ

«قيلَ للفارسيّ: ما البلاغةُ؟ قال: معرفةُ الفَصلِ منَ الوصلِ. وقيل لليونانيِّ: ما البلاغةُ؟ قال: تصحيحُ الأقسامِ، واختيارُ الكلامِ. وقيل للرُّوميِّ: ما البلاغةُ؟ قال: حسنُ الاقتضابِ عندَ البداهةِ، والغزارةُ يومَ الإطالةِ. وقيل للهنديِّ: ما البلاغةُ؟ قال: وضوحُ الدّلالةِ، وانتهازُ الفُرصةِ، وحسنُ الإشارةِ. وقال بعضُ أهلِ الهند: جُمّاعُ البلاغةِ البصرُ بالحُجّة[1]، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرصةِ». الجاحظ، «البيانُ والتّبيينُ». «وقف أعرابيٌّ على مجلس الأخفش فسمع كلامَ أهلِه في النّحو وما يدخلُ معه، فحارَ وعجِبَ، وأطرقَ ووسوسَ، فقال له الأخفشُ: ما تسمعُ يا أخا العربِ؟ قال: أراكم تتكلّمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا». أبو حيان التّوحيديّ، «الإمتاع والمؤانسة».



عـزيـز لـديـة
طالب باحث بسلك الدكتوراه
جامعة ابن زهر أكادير-المغرب

ملخص:

تثيرُ إشكاليةُ المُصطلحِ في الدّراساتِ البيانيّةِ عمومًا والبلاغيّةِ والنّقديّةِ واللّسانيّةِ على وجه الخُصوصِ سجالاتٍ عميقةً لا يخبُو أُوارُها على مستوى التلقّي والتّداوُلِ؛ تتمثّلُ بالخصوصِ في عدمِ الانضباط للمفهومِ الحاملِ له وتعدُّدِ دلالاته وتباينِ استعمالاته وترجماته، ويتعمّقُ هذا الإشكالُ بشكلٍ أكبرَ؛ عندما تصادفُك مصطلحاتٌ تتنازعُها دلالاتٌ مسجورةٌ بالالتباس ومفعمةٌ بالغُموض والتّناقضِ، ما قد يُؤدّي إلى نوعٍ من فوضى المُصطلح وغموضِ المعارف، نتيجةَ غيابِ ضوابطَ مؤطّرةٍ لعمليّةِ التّوليد المُصطلحي في مُختلفِ حقولِ المعرفةِ الشّاسعةِ.

ولم يكنِ البيانُ العربيُّ بقضاياه الاصطلاحيّةِ وحصيلتِه الأدبيّةِ والنّقديّةِ البلاغيّةِ يومًا بمنأى عن سياقِ المُثاقفةِ ومساراتِها وغواياتِها وتجلّياتِ التّلاقُحِ الثّقافيِّ والفكريِّ واللّغويِّ، ما دفع العديدَ منَ الباحثين والنُّقّادِ إلى البحثِ والتّمحيصِ فيها. ونسعى من خلال هذه الورقةِ البحثيّةِ إلى مقارَبةِ إشكاليةِ المُصطلحِ البيانيِّ في علاقتِه بالمُثاقفة، واضعِين هذه المسألةَ في سياقاتِها الخاصّة، من جهة ارتباطِ المصطلح بحقْلِه المعرفيِّ ومجالِه الثّقافيِّ والتّداوُليِّ.

توطئةٌ:

لا مِراءَ أنّ اللّغةَ الاصطلاحيّةَ تقومُ بوظيفة التّعبير عنِ الأشياءِ والتّبليغِ إلى الغيرِ والتّواصُلِ مع الآخر، وهي الحاضنةُ لفكرِ المجتمعات وهويّتِها وحضارتِها، ذلك "أنَّ العلامةَ اللُّغويّةَ تجسّدُ العلاقاتِ الاجتماعيّةَ لمستعمليها، وضمْنَ هذا المفهوم، فإنّ الهويّةَ الاجتماعيةَ حاضرةٌ في اللّغة ذاتِها التي تولّدُها وتصنعُها من خلال التّفاعلِ الاجتماعيِّ للذّوات»[2] ومظاهرِ الارتباطِ العاطفيِّ المثاليِّ بكلِّ ما يُشكّلُ النّسيجَ الهوياتيَّ.

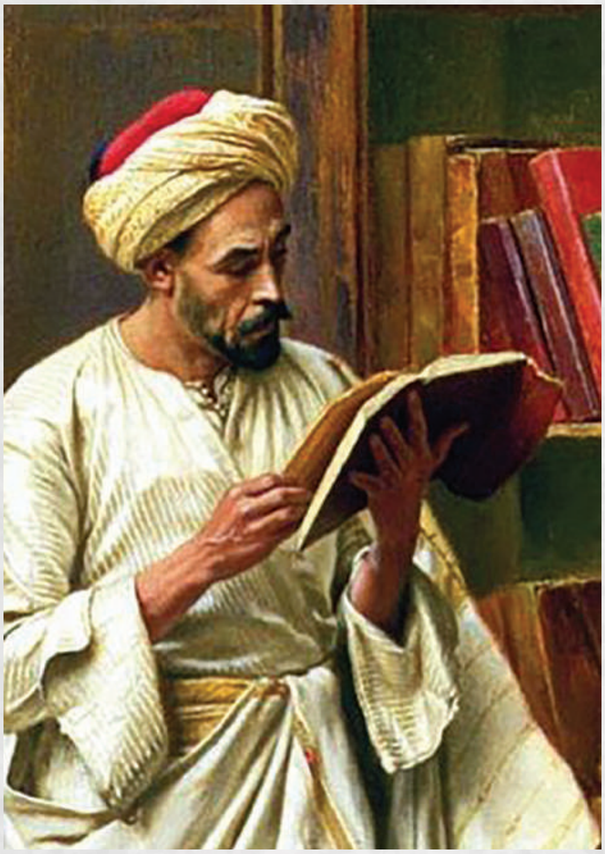
إنّ القضيّةَ الاصطلاحيّةَ لا يمكنُ ردُّها إلى مستوى بعينه؛ فليست هي قضيةً معرفيةً صرفةً ولا ظاهرةً لغويةً محضةً ولا هي قضيةً تاريخيةً خالصةً ولا ظاهرةً اجتماعيةً بحتةً، بل هي قضيّةٌ متعدّدةُ الوجوه معقّدةُ الإشكالاتِ ومتّسعةُ الأبعاد تعدّدَ وتعقّدَ وتوسّعَ مجالِ اللّغة والفكرِ. ألا ترى أنّ المصطلحَ لا ينفكُّ عن عبارتِه ولا عن سياقِه ولا عن واضعِه ولا عن مجالِه التّداوُليِّ ولا عن تاريخِه، مُتطلّعًا إلى أن تتفاعلَ فيه جميعُ جوانبِ التّجربةِ الإنسانيةِ؟ لذلك يزدادُ الأمرُ تعقيدًا مع هذه القضيّة مع الفعل التّرجميِّ باعتباره تفاوُضًا حول المعنى كما يقولُ أمبرتو إيكو.

إنّ كلَّ تفكير في ترجمةِ المصطلحِ البلاغيِّ هو تفكيرٌ إشكاليٌّ؛ لأنَّ التّرجمة فعلٌ معرفيٌّ وفكريٌّ وثقافيٌّ ولسانيٌّ مركّبٌ ومعقّدٌ، فضلا عن أن الظواهر السوسيو لسانية التي يختزلها المصطلح أشد تعقيدا وتركيبا من هذا الفعل نفسِه. لهذا، فالتّفكير في ترجمة المصطلح البيانيّ هو تفكيرٌ في نسقٍ معرفيٍّ وثقافيٍّ تحكمُه رُؤى تمتدّ جذورها لما هو مجتمعيٌّ وتقنيٌّ وحضاريٌّ وفكريٌّ وإبداعيٌّ.

ولا مِراء أيضًا أنّ أهمَّ ما يتّسمُ به المصطلحُ، باعتباره لُغةً فكرية واصفةً (Métalangage) جوهرُها مفاهيمُ تمتدُّ إلى أصولٍ فلسفيّةٍ وتاريخيّةٍ واجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ، هو قابليتُه للاغتناء والتّطوّر تبعًا للتّحوّلات المعرفيّةِ المتجدّدة، وتَوفّرُه على قدرٍ أوفرَ منَ الفاعليّةِ النّسقيّةِ التي تُصاغ بموجبها التّصوّراتُ الذهنية الخاصّةُ بحقول المعرفةِ الإنسانيّة، وذلك في إطار جملةٍ منَ الأسُسِ النّظريّةِ والضّوابطِ المنهجيّةِ تحكمُ آلياتِ وضْعِ المصطلح وترجمته، ما يضمنُ للمصطلح نسجَ أنساقِه ورسمَ حدوده على الرّغم من تشعُّبِ الأنساق الاصطلاحيّةِ بين العلوم المختلفةِ وبين العلم الواحد كما أشار إلى ذلك ابنُ خلدون في نظريّتِه في المصطلح [3].

لذلك، فإنّ الحديثَ عنِ المصطلح البيانيِّ داخلَ المنظومةِ الفكريّةِ الثّقافيّةِ العربيّةِ من منظورِ المثاقفة لا يكادُ ينفصلُ عنِ الحديث عن أنساقِ الوجودِ الإنسانيّ والاجتماعيّ؛ لغةً وفكرًا وثقافةً ومنظومةَ قِيمٍ؛ ما يُقوّي أسُسَ التّواصل والحوارِ الحضاريّ بين الثّقافات المتنوّعةِ ولُغاتِها ومعارفِها وقيمِها، ويفتحُ آفاقًا جديدةً للنّقاش في الدّراسات البيانيّةِ، ولاسيّما ما يتعلّق منها بالمصطلحِ والهوية والارتباطِ المحموم بينهما، في ظلّ التّطوّراتِ النّظريّةِ والمفاهيميّةِ العميقةِ والنّوعيّةِ التي يشهدُها مجتمعُ المعرفةِ في مختلف المجالاتِ والتّخصّصاتِ المعرفيّةِ الإنسانيّة: العلميّةِ والثّقافيّةِ واللّسانيّةِ والاجتماعيّةِ التي انْبنتْ وأُسّست وَفق نسقِ مفاهيمَ يتعالقُ ويتداخلُ بعضها مع بعض، ويستلزمُ فهمُه معرفةَ دلالاتِ المصطلحاتِ المكوّنةِ له باعتبارها مفاتيحَ المعارف التي تُشيّدها على طبقاتِ اللّغة.

في ضوء هذا المساجلات الفكرية سنحاولُ رصْدَ مدى تباينِ بعض المصطلحاتِ البيانيّةِ باستدعاءِ جدليّةِ المثاقفة أخذًا بعين الاعتبار أبعادَ هذا المفهوم القائمِ على عالَمية أنساقِ المعارف والعلومِ، وتجاوزِها لكلّ الحواجز الثّقافيّةِ والحضاريّةِ، مُتوسّلين بما يتيحُه المنهجُ الوصفيُّ من آلياتٍ لتحليلِ ووصفِ ونقدِ وتقويمِ مجرياتِ السّجال المصطلحيِّ



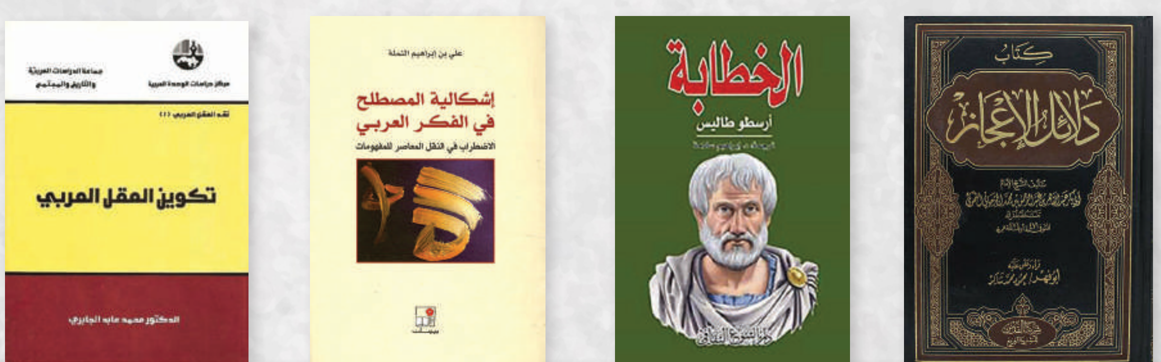
في سياقٍ محمومٍ بصدامِ الثّقافات وصراعِ الحضاراتِ.

ولبلوغِ الأهـدافِ المؤطّرةِ للإشكاليةِ المطروحة رغم صعوبةِ الإمساك بخيوطها المتشابكةِ، يمكنُ صياغة السؤالين الجوهريين الآتيين: ما علاقةُ النّسق البيانيِّ العربيِّ بلاغةً ونقدًا ومصطلحًا بالأنساق الثّقافيّةِ الأخرى؟ وهل نحن إزاءَ غارةٍ هيلينيةٍ أم تلاقُحٍ ثقافيٍّ حتميٍّ وأنهارٍ منَ الغرب تسقِي حقولَ الثّقافةِ العربيّةِ؟

1. ترجمة كتابي أرسطو «الخطابة» و«فن الشعر» والتيار الجارف من المصطلحات الأرسطية

لا شكّ أنّ البيانَ العربيَّ، أدبًا وبلاغةً ونقدًا ولُغوياتٍ، بلغَ في العصر الحديث أقصى درجاتِ التّثاقفِ البيانيِّ من خلال تفاعلِه مع مختلفِ النّظريات اللّسانيّةِ والنّقديّةِ الحديثةِ مثلَ اللّسانيّاتِ البِنيويّةِ والشّعريّاتِ والأسلوبيّاتِ والتّداوُليّاتِ والحِجاجيّاتِ وتحليلِ الخطاب، وذلك اعترافٌ ضمنيٌّ بشروط المثاقفة وحتميتِها، واعترافٌ بواقع التّنوّعِ الثّقافي وبوجودِ المشترك الإنسانيِّ، وبالعلاقة العُضويّةِ والحميميّةِ بين الثّقافةِ والمجتمعِ، الإيمانُ بأنّ المعرفةَ نسبيّةٌ لا تكتملُ إلا بالتّفاعل مع الآخر. "ولعلّ إدراكَ التّرابطِ والتّداخلِ بين الحلقاتِ الثّقافيّةِ الإنسانيّةِ يسهّلُ إمكانيةَ قراءةِ عمليّةِ المثاقفة المعاصرة ويوسّعُ أفقَها، لكنَّ مثلَ هذه القراءة تحتاجُ بِنيةً معرفيّةً شاملةً، ولعلّ متابعةَ بعض المصطلحاتِ العابرةِ للثّقافات تُظهرُ الكيفيّةَ أوِ الكيفيّاتِ التي تنتقلُ بها من ثقافةٍ إلى أخرى، ومن لُغةٍ إلى أخرى، وما يصيبُها في أثناء ذلك من تحولّاتٍ وطفْراتٍ؛ لكي تتأقلمَ مع الإطارِ الثّقافيِّ الجديدِ الذي تحلُّ فيه» (4).

لقد نتج عن ترجمة كتابَيْ أرسطو «الخطابةُ» و«فنُّ الشّعر» خلال القرن الثّالث الهجري تيّارٌ جارفٌ منَ المصطلحاتِ البيانيّةِ والبلاغيّةِ اليونانيّةِ التي انتقلت إلى فلاسفةِ الإسلام الفارابيِّ وابنِ سينا وابنِ رشد، كما اقتحمت الكتبَ النّقديّةَ والبلاغيّةَ بطرقٍ وصِيغٍ ودلالاتٍ مختلفةٍ، وهو ما نجدُه عند قدامةَ بنِ جعفر في «نقدُ الشعر»، وابنِ وهب الكاتبِ في «البُرهانُ في وجوه البيان»، وعند عبدِ القاهر الجُرجاني في «دلائلُ الإعجاز» و«أسرارُ البلاغة»، وفي مرحلةٍ متأخّرةٍ في المغرب العربي عند حازم القرطاجنّي في «منهاجُ البلغاء وسراجُ الأدباء»، والسِّجلماسيِّ في «المنزعُ البديعُ»، وابنِ البنّاء المراكشيِّ في «الـرّوضُ المريعُ»(5)، وهي مصطلحاتٌ انبثقتْ وعبرت ليس من لُغةٍ إلى لُغةٍ من خلال آليّةِ التّرجمة، بل خضعت لعمليةِ تأويلٍ اجتهاديٍّ لحمولتِها الدّلاليّةِ في إطار المثاقفةِ لتنسجمَ مع المجالِ التّداوُليِّ الذي دخلت فيه، فأصبح المصطلحُ يحملُ مفهومًا جديدًا قد يكونُ في كثير منَ الأحيان مُفارقًا لمفهومه الأصليِّ، على غِرارِ ترجمةِ «التّراجيديا» بالمديح و«الكوميديا» بـ«الهجاء»، وتحوّلَ مفهومُ «المحاكاة» إلى اللّغةِ التّصويريّةِ المرتبطةِ بالأشكالِ البلاغيّةِ مثلِ الاستعارةِ والتّشبيه» 5، و«الميتافورا» بـ«التغيير»، و«الريطوريكا»بـ«الخطابية»



و«الخطابة» عند محمد العمري أو «البلاغة» عند أغلب البلاغيّين و«اللوغوس» بـ«اللغة» أو «العقل» أو هما أي «البيان» كما فعل طه عبد الرحمن.

هذه المفاهيمُ البيانيّةُ تتجاذبُها وتتعلّقُ بدائرتها مصطلحاتٌ وأوصافٌ متعدّدةٌ، ومنَ البديهي أن تتفاوت فيما بينهما تفاوتًا كبيرًا يُحدثُ فجوةً دلاليّةً قد تصلُ درجةَ التّناقضِ والتّضليلِ المعرفيِّ، ولكنَّ كثرتَها تَلْفِتُ النَّظَرَ حقًّا، فهي ليست طارئةً في المجال التّداوُليِّ العربيِّ فحسبُ بل هي غربيّةُ المنشأ أصلًا ما يجعلُ المصطلحاتِ مفعمةً بالغموضِ مسجورةً بالالتباس، وهذا ما توضّحُه قائمةُ المصطلحاتِ الواردةِ في الجدول أدناه:

المصطلح	الترجمة العربية	أصحابها
Logos	اللغة	أغلب الباحثين في حقل الحجاج
	العقل	أغلب الباحثين في حقل الحجاج
	البيان	ابن حزم، طه عبد الرحمن
Rhetorica	بلاغة	عند عموم البلاغيين ومنهم محمد العمري في كتابه «في بلاغة الخطاب الإقناعي» وصلاح فضل في كتابه «بلاغة الخطاب وعلم النص»
	خطابة	محمد العمري في كتابه «البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول» حمادي صمود يرى أنه بالإمكان التقريب بين «البلاغة» و«Rhetorica» كلما تعلق الأمر بقسم العبارة أو وبما جرى نعته في الدراسات الكثيرة ب "الخطابة الضيقة أو المنحسرة" «Rhétorique restreinte».
	خطابية في مقابل «شعرية»	محمد العمري، الحسين بنو هاشم في «الإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج»
Methaphora	تغيير	مترجم مجهول في القرن الرابع الهجري، ابن سينا، وابن رشد
	التغيير	بن رشد
	انتقال	متى بن يونس، ابن سينا
	تأدية	متى بن يونس
	نقل	ابن سينا
	استعارة	شكري عياد
	مجاز	عبد الرحمن بدوي
	انزياح	بول ريكور والدراسات الأسلوبية المعاصرة

إنّنا أمام نماذجَ متعدّدةٍ تكشفُ عن تمثيلٍ للمفهوم أو الشّيء الواحدِ بأكثرَ من مصطلحٍ واحدٍ أو بمصطلحاتٍ متباينةٍ أحيانا، أي أنّنا أمامَ مصطلحاتٍ بمثابةِ معادلاتٍ بلاغيّةٍ للدّلالة على شيءٍ واحدٍ، ما يجعلُنا نتساءلُ عنِ المصطلح الجديرِ بالقَبول في فضاء التّلقّي العربيِّ، حيث عمدَ الفلاسفةُ العربُ إلى المزْجِ الثّريِّ بين المصطلح الوافدِ والفهمِ الثّقافيِّ الخاصّ المرتبطِ بمرجعياتِهم المعرفيّةِ والثّقافيّةِ ومجالِهم التّداوُليِّ الخاصِّ، لذلك قابلُوا المصطلحاتِ الوافدةَ بمصطلحاتٍ مستَمَدّةٍ منَ التّراث وَفق آليةِ التّقريب التّداوُليِّ باعتباره ممارسةً بيانيّةً لتقريب المفاهيمِ والمصطلحاتِ الوافدةِ وَفق مقتضياتِ وأصولِ المجال التّداوُليّ الإسلاميِّ؛ لغةً وعقيدةً ومعرفةً، فسمّوا Methaphora مجازًا أوِ استعارةً، و Rhetorica خطابةً أو بلاغةً، و Logos بيانًا، هذا التّقريبُ التّداوليُّ اقتضى تزويدَها بقوّةٍ تداوُليّةٍ وَفقا للتّقريب اللُّغوي بتصحيح دلالتِها وَفق أساليبِ البيان العربيِّ، وأمدّها بقوّةٍ اشتغاليةٍ بتخريجها وَفقًا للتّقريب العقدي بإخضاعِها لقواعدِ المعرفةِ الإسلاميّةِ العربيّةِ، وتزويدِها بقوّةٍ إعماليّةٍ وَفقًا للتّقريب المعرفيِّ بإخضاعها لقواعد المعرفةِ الإسلاميّةِ العربيّةِ.

2. مصطلح «البيــان» وتجديد تداوله على مقتضى التّداخل اللّغويّ والمنطقيّ:

اشتهر محمد عابد الجابري في دراسته للنُّظُم المعرفيّةِ في كتابَيْه عنِ العقل العربي «تكوينُ العقل العربيّ» و«بِنيةُ العقل العربيِّ» بتقسيمه الثلاثي لهذه النُّظم إلى: «البُرهان» و«البيان» و«العِرفان»، وعدّها نظمًا تتصارع فيما بينها وتتنازع، مفاضلًا فيما بينها وجاعلًا المزية للنّسق البرهانيّ/ الفلسفيّ لمرجعيتِه الفلسفية العقلانيّة



أمبرتو إيكو

وخاصّة أرسطو ومنطقُه، ومنتقصًا من قيمة النّسق البيانيّ/ الفقهيّ بوصفه الممثّلَ للحضارة الإسلاميّة التي أفرزتْها مرجعيّتُه المرتبطة باللّغة العربيّةِ والفقه وأصوله، والنّسق العِرفانيّ/ الصّوفي ذي المرجعيّة الصّوفيّة الباطنيّة والغنوصيّة اللاعقلانيّة، داعيًا إلى إلغاء المنهج البيانيّ وإحلال المنهج البُرهانيّ محلَّه بوصفه وجه الحقيقة وحدودها. ولا شكّ أنّ مزيّة البرهان على البيان والعرفان في فكر الجابري تحمل في طيّاتها موقفًا ضمنيًّا مسكوتًا عنه يتمثل في الانجذاب المبالغ فيه إلى التّراث الإغريقيّ والأرسطيّ وامتداداتِه في الثّقافة الإسلامية خاصة عند ابن رشد ما يجعلنا نشعر بوجود غارةٍ هيلينيةٍ، في حين أنّ الحقيقةَ كما يرى الدكتور عبد الجليل هنوش، هي «أنّ البيانَ والثّقافة العربيَيْن، شيءٌ واحد ممزوجٌ لا ينفصل بعضُه

عن بعض، إذ لا معنى للثّقافة العربيّةِ الإسلاميّةِ الجديدةِ إلا بالبيان العربيّ الأصيلِ، ولعلّ هذا الفهمَ لوظيفة البيان الثّقافيّةِ والحضاريّةِ من حيث كونه لُغة القرآن الكريم الذي هو أساسُ هذه الثّقافة» [6].

وفي مقابل هذا الطّرح يقلب طه عبد الرّحمن هذا التّقسيم الثلاثيّ رأسًا على عقب منطلقًا من حقيقة التّداخل بين اللّغة والمنطق إلى الحدّ الذي يصحّ معه القول: إنّ اللّغة منطق والمنطق لغة، جاعلًا المزيّة الكبرى لمصطلح «البيـــان» مفصلًا المقال فيما بين المنطقِ والبيان مِن اتّصَالٍ، وداعيًا إلى تجديد استعماله على مقتضى هذا التّداخل اللغوي والمنطقي.[7]. فكيف يتحقق هذا التجديد في تصوّر طه؟

يرى طه عبد الرّحمن أن مصطلح البيان غلب استعماله وتداولُه في حقل البلاغة، بدءًا من مؤلّف الجاحظ الرّائد المؤسّس لنظريّة البيان «البيان والتّبيين»، فقد زعم بعضهم أن هذا اللفظ يختصّ بالدّلالة على جانب البنية اللفظيّة من كلام المتكلّم، فيكون الكلام المبين هو ما حَسُن لفظه وازدان تركيبه؛ لكن هذا الزّعم في رأيه باطل من وجهين: أحدهما أنّ استعمال لفظ "البيان" في البلاغة جاء متأخرًا عن استعماله في مجال هو إلى علم المنطق أقرب منه إلى علم اللغة، وهو «علم أصول الفقه»، بدءًا من مؤلّف الشّافعي الرّائد «الرّسالة»؛ وثانيهما أنّ ورود هذا المصطلح في المجال البلاغيّ لا يمنع من وجود تصوّر عربيّ للبلاغة يجعل موضوعها يزدوج فيه الاعتبار اللغويّ بالاعتبار المنطقيّ،



وهو تصوّر بلاغيّ متميّز مغروس في الفكر العربيّ الأصيل نحتاج اليوم إلى إدراك حقيقته والانشغال بالانبناءات المنطقيّة للبلاغة العربيّة الكامنة وراء الصّياغات التّعبيريّة [8]. إنّ إبطال طه عبد الرّحمن تخصيص لفظ «البيان» بالدّلالة على البنية اللفظيّة من الكلام أتاح له تقرير حقيقة لم تخطر على بال من انشغلوا بالبيان في السّياق العربيّ وهي «أنّ هذا اللّفظ دالّ على البنية المنطقيّة بقدر ما هو دالّ على البنية اللفظيّة، أي دالّ على البرهان بقدر ما هو دالّ على اللّسان» [9]، مستدلًا باستعمال الجاحظ لفظ "البيان" مكان لفظ اللّغة، وبالوصل الذي أجراه ابن حزم بين المنطق والبيان بالقدر الذي يجعلهما يشتركان اشتراكًا في الإعجاز الخطابي للقرآن الكريم الذي تحقّق بواسطة البيان العربيّ» [10]، ليخلص إلى أنّه "متى صار مدلول المنطق مطابقًا لمدلول البيان، فلا فرق بين أن يقال: «ظهر الإعجاز القرآنيّ في البيان العربي»، وبين أن يقال: «ظهر الإعجاز القرآنيّ في المنطق العربي»، فحكم الشّيء حكم مثله [11].

هكذا ارتقى طه عبد الرّحمن بمفهوم «البيان» إلى درجة تعلو «البرهان» عكس ما فعل عابد الجابريّ، ورسم حدود البيان من خلال انبنائه على ركني العبارة أو البيان العباريّ المبني على مبادئ الحقيقة والإحكام والتّصريح، والإشارة أو البيان الإشاريّ المبني على مبادئ المجاز والاشتباه والإضمار، إذ حدّ البيان عنده «البرهان الذي حسنت عبارته الظّاهرة حسن الاستدلال المضمر فيها» [12]، أي أنّ جوهر البيان هو بالذّات الجمع بين

العبارة والإشارة على وجوه مختلفة.

ولم يتوقّف طه عند هذا المدى بل استوقفه التّأثيل اللغويّ عند «هيدغر» لمفهوم «اللوغوس» (Logos) المشهور لدى الفلاسفة والحجاجيين بالدّلالة على "العقل واللغة معًا"، فما إن تغلغل في ملاحظة وفحص جوانب هذا التّأثيل حتّى توصل، من طريق غير طريق هيدغر، إلى حقيقة أنّ المقابل العربيّ الأمثل للفظ اليونانيّ الجامع (Logos) هو بالذّات لفظ «البيان» منطلقًا من أمرين اثنين، أحدهما دلاليّ: إذ استعمل لفظ «البيان» للدّلالة على المعنين الذين اشتهر بهما لفظ «اللوغوس»، وهما «العقل» و«اللغة»، فقد سمّيت العبارة المنطقية بيانًا كما سمّيت العبارة اللغويّة بيانًا؛ والثّاني تداوليّ: فقد كانت شهرة «البيان» في المجال التّداوليّ الإسلاميّ تضاهي شهرة «اللوغوس» في المجال التداوليّ اليونانيّ كما أنّ اقتران «البيان» بِالمَسْأَلَةِ الدّينيّة الكلاميّة في المجال الإسلاميّ لا يقلّ عن اقتران «اللوغوس» بالمسألة الوجوديّة الإلهيّة في المجال الإغريقيّ"13، لتكون هذه التّرجمة التّأثيليّة أقوى تجليّات الإبداع الأسمى لا الاتّباع الأعمى.

هكذا اتّسع مفهوم البيان ليأخذ دلالات متباينة تطوّرت عبر التّاريخ، لتنتظم في مصطلح جامع صار مركزيًّا في مجال التّداول العربيّ الإسلاميّ لارتباطه بعلوم القرآن وتفسيره وإعجازه، فكلّما أطلق مصطلح «البيان» فهم منه، على وجه الإجمال، البيان القرآنيّ والنّبويّ بالدّرجة الأولى، وصناعة الخطاب المبين، نثرًا كان أو شعرًا، والبلاغة ونقد الشّعر، والكشف عمّا في الصّدور والأذهان من المعاني القائمة والمتصوّرة، وإماطةِ اللثام عمّا في النّفس من المقاصد. كما أطلق، على وجه التّخصيص، صفة لجودة التّعبير وحسن الإبانة، ومختلف الطّرق وسائل التّبليغ وأداء المعنى بأحسن الوجوه وأبهى الصّور، بالإضافة إلى معناه الوظيفيّ الذي ارتبط بالجاحظ وهو الفهم والإفهام والإقناع، ذلك أنّ للبيان سلطة في مخاطبة الإنسان والتّأثير فيه واستدراجِه لتبنّي رأيٍ أو فكرةٍ أو سلوكٍ أو تعديلِه بفضل «النّظم الجامع» بين قوّة الحُجّة وجمالِ الأسلوب وسبْكِ العبارة ولطفِ الإشارة.

غيرَ أنّ ما يمكنُ أن يُشار إليه بهذا الصّدد هو اتّخاذُ طه عبد الرّحمن مصطلحَ «البيان» الجامع مقابلًا عربيًّا للّفظ اليونانيّ الجامع «Logos 14»، مع ما يمكن أن يعتري هذه المقابلةَ والتّرجمةَ التّأصيليّةَ من مخاطرَ في التّأويل وسوءِ الفهم والتّفسير، ذلك أنّ أحابيلَ هاجسِ الرّدّ على كلّ مَنِ انتقص من مزيّة البيانِ والعرفانِ ورفعَ من شأن البرهان، لا ينبغي أن تأخذَنا فننْدفعَ للحسْمِ

الهوامش:

1. استعمل حمادي صمود مصطلح "البصر بالحجة" لترجمة مصطلح أرسطو «Eurisis» الذي يفيد معنى الظفر بالشيء والوقوع عليه.
2. جوزيف جون، «اللغة والهوية»، ترجمة عبد النور خراقي، مجلة عالم المعرفة، العدد 342، 2007، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ص: 67.
3. انظر: طه عبد الرحمن، «اللسان والميزان أو التكوثر العقلي»، ط 4، 2016، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص: 398.
4. الزعبي زياد، «من الصفر إلى الشيفرة، المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي»، مجلة عالم الفكر، المجلد 36، يوليوز- شتنبر 2007، ص: 263.
5. الزعبي زياد، «من الصفر إلى الشيفرة، المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي»، م. س، ص: 258.
6. ينظر: هنوش عبد الجليل، «التأسيس اللغوي للبلاغة العربية: قراءة في الجذور»، ط 1، 2016، دار كنوز للمعرفة، عمان، ص: 95.
7. ينظر: طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان"، م. س، ص: 403.
8. م. ن.
9. طه عبد الرحمن، «اللسان والميزان»، م. س، ص: 403.
10. ينظر: طه عبد الرحمن، "تجديد المنهج في تقويم التراث"، م. س، ص: 232.
11. م. ن، ص: 334.
12. طه عبد الرحمن، «اللسان والميزان»، م. س، ص: 404.

في مسألة كونِ البيان مرادفًا للبرهان أو للمنطق، في حين أنّ الأمر أشدُّ تعقيدًا، فتقاربُ المصطلحَيْن على المستوى الدّلاليّ والتّداوليّ في مجالَي التّداوُلِ العربيّ واليونانيّ لا يُسعفُ وحده للحسْمِ في إجراء هذه المقابلةِ والمجازفةِ بذلك خاصّةً أنّنا أمامَ "لفظةٍ مشكلة الحدودُ فيها بين ما هو لُغويٌّ وما هو فكريٌّ غيرُ قائمةٍ»(15)، ذلك أنّ للبيان مركزيّةً جوهريّةً في الثّقافة العربيّةِ الإسلاميّةِ بوصفه نظامًا معرفيًّا متكاملًا، يتجاوزُ العلومَ اللّغويّةَ إلى العلوم الإسلاميّةِ التي انْبرت لتفسيرِ الخطابِ القرآنيّ وتأويلِه واستنباطِ قوانينِه، لذلك يؤكّدُ وائل حلاق أنّه لا يوجد نظير مطابق للفظة «البيان» العربيّة في اللغات الأوروبية، وهي لفظة تمثّل مستودعًا خطابيًّا ثريًّا خضع لتطوّر عبر قرون عديدة في محيط الإسلام الفكريّ» (16). و إذا كان الجابري قدِ استخدم مصطلح «البيان» للإشارة إلى «العقل الفقهيّ»؛ أي الاجتهادات الفقهية داخل التّراث الإسلاميّ التي هيمنت على الشّريعة بوصفها نطاقًا مركزيًّا، فإنّ طه عبد الرّحمن سعى إلى تجديدِ استعمال هذا المصطلح بمقتضى التّداخل اللّغوي والمنطقيّ، ليجعلَ منَ البيان نسقًا متكاملًا يؤلّفُ بين اللّغة والمنطق.

خاتمة

وصفوةُ ما يمكنُ تَأْكِيدُهُ عليه أنّ الحسم في مسألة تلقّي المصطلح البيانيّ في علاقته بالمثاقفةِ، أمرٌ لا يزالُ في حاجة إلى مجهوداتٍ علميّةٍ وفكريّةٍ مضاعفةٍ، تركّزُ على الجوهر والقضيّة الأساسِ، بعيدًا عن أيّة عصبيّةٍ أو نزوعٍ نحو غوايةِ التّرجمة بدلَ جاذبيّةِ المعنى، فلكلّ قوميّةٍ خصائصُها ومقوماتُها التي تحدّد هويتَها الأصيلةَ، وفي المقابل لا بدّ منَ التّقصّي عن تجلّيات التّأثير والتّأثّر بالثّقافات والحضاراتِ الأخرى بنوعٍ منَ الدّقّةِ العلميّةِ والموضوعيّة، خاصّةً وأنّ " الحضارةَ العربيّةَ الإسلاميّةَ كانت منفتحةً على مُعطياتِ الحضاراتِ السّابقةِ بصرْفِ النّظرِ عن مصدرِها » (17).

13. طه عبد الرحمن، «فقه الفلسفة 2-»، م. س، ص: 306 /307.

14. في الثقافة اليونانية معروف ذلك التوتر والصراع الذي حصل بين المنطق العقلاني والأسطورة، أي بين اللوغوس والميتوس (Logos Mythos)؛ حيث تعارض كلمة «لوغوس» الدالة على العقل واللغة كلمة «ميتوس» أو الأسطورة في الثقافة اليونانية كما تعارض كلمة «منطق» كلمة «خيال»، إن كلمتي «لوغوس» (العقل) و«ميتوس» (ما يتنافى مع العقل) هما نصفا اللغة، وهما وظيفتان أساسيتان («ميتوس» و«لوغوس» = ميتولوجيا) من حياة الفكر. وكلمة "لوغوس" إذ هي استدلال برهاني، تهتم بالإقناع، وتجعل عند سامعها حاجة تحججه بحكم منطقي، إذ يكون اللوغوس صحيحا، إذا كان قويما ومطابقا للمنطق، ويكون خاطئا إذا كان يخفي بعض المكر الخفي (فيصبح سفسطة أي مغالطة منطقية). بيار غريمال، «الميتولوجيا اليونانية»، ترجمة هنري زغيب، ط 1، 1982، منشورات عويدات، لبنان، ص: 06 /07.

15. صمود حمادي، «مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح»، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد 39، كلية الآداب، منوبة، ص: 13.

16. حلاق وائل، «إصلاح الحداثة: الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن»، م. س، ص: 39.

17. عباس أرحيلة، «الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري»، ص 41 .

اهْتِمَامُ كُتّابٍ أُورُبّيّين باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

لا شكَّ في أنّ إقبالَ المُبدِعين العالَميّين على تعلّم اللّغةِ العربيّةِ يكشفُ عن رغبةٍ في الاستحواذِ على أداةٍ قويّةٍ من أدواتِ المعرفة، فقد تنوّعتْ آراءُ الغَربيّين الذين درسوها بين مُؤيّدٍ لها و مُعادٍ لها، والحقُّ أنّ هناك كثيرًا من علماءِ الغربِ ومفكّريهم ممّن تأثّروا باللّغة العربيّةِ وعبّروا عن هيامهم بها، ومنهم دانتي أليجيري مؤلّفُ «الكوميديا الإلهية»(1)؛ فقد ذهب آسين پلاثيوس إلى أنه ليس منَ البعيد أن يكونَ دانتي قد ألمَّ بقليلٍ منَ اللّغة العربيّةِ (ولكنَّ الأمر، كما نعلمُ نحن المُستشرقِين حقَّ العلم، يقتضِي أكثرَ من مجرّدِ الإلمام بقليلٍ منَ العربيّةِ لفهم مُؤلّفات أبي العلاء وابنِ عربيّ المعقّدة!)، كما أشار پلاثيوس إلى أنّه قادرٌ على أن يُبيِّن وجودَ اهتمامٍ خاصٍّ بالتّاريخِ الإسلاميِّ والثّقافةِ الإسلاميّةِ في إنتاجِ دانتي، ابنِ فلورنسا البِكر.



أ.د. محمد مرشحة
باحث وأستاذ جامعي- جامعة حلب

وقد كتب الفرنسي فولتير Voltaire في «المُعجم الفلسفيّ» مُتحدِّثًا عنِ القرآن الكريم: «لا يزالُ القرآنُ - في واقعِ الأمر - يُعرفُ إلى اليوم بأنّه الكتابُ الأكثرُ تميّزًا وسُموًّا، الذي كُتب بهذه اللّغةِ (العربيّةِ)»(2)، و هكذا يمضِي في إعجابه بكلام الله عزّ وجلّ، ويقول إنّ هذا الكلامَ مُؤثّرٌ في اللّغة العربيّةِ أكثرَ بكثيرٍ من تأثيرِه حين يُقرأُ باللّغة الفرنسيّةِ،(3) ورأى أنه جميلٌ ونقيُّ الأسلوبِ غيرُ مدنَّس.

كما أنّ لامارتين مؤلفَ «رحلة إلى الشّرق»(1835) Lamartine(1790-1869) الذي قرّر الرّحيلَ إلى الشّرق عام 1832 كتب: «كنت أجلسُ بعيدًا عنِ الدائرة لأُنصتَ أنا كذلك، ومع أنّني لا أفهمُ شيئًا، كنتُ ألتقطُ إيقاعَ الصوت ولعبةَ هيئةِ الوجوه وارتعاشَ المستمعين، كنت أعرفُ أنّ الأمرَ يتعلّقُ بالشّعر، ولهذا كنتُ أتخيّلُ محكياتٍ دراميةً عجيبةً ذاتَ وقْعٍ شجيٍّ أسردُها على نفسي، وبحُكم إنصاتي للموسيقا العذبةِ والهائجةِ، كنت أعتقدُ أنّي أسمعُ الكلماتِ، وأنَّ شعرَ اللّغة الملحَّنةِ يحدّثُني ويكشفُ لي عن شعر اللّغة المكتوبةِ، بل يَلزمُني أن أقول: إني لم أقرأْ شعرًا يوازِي هذا الشعرَ الذي كنت أُنصتُ إليه وقد صِيغَ في لُغةٍ عربيّةٍ غامضةٍ بالنّسبة لي»(4).

ونذكرُ جوهان ولفغانغ فون غوته Johann



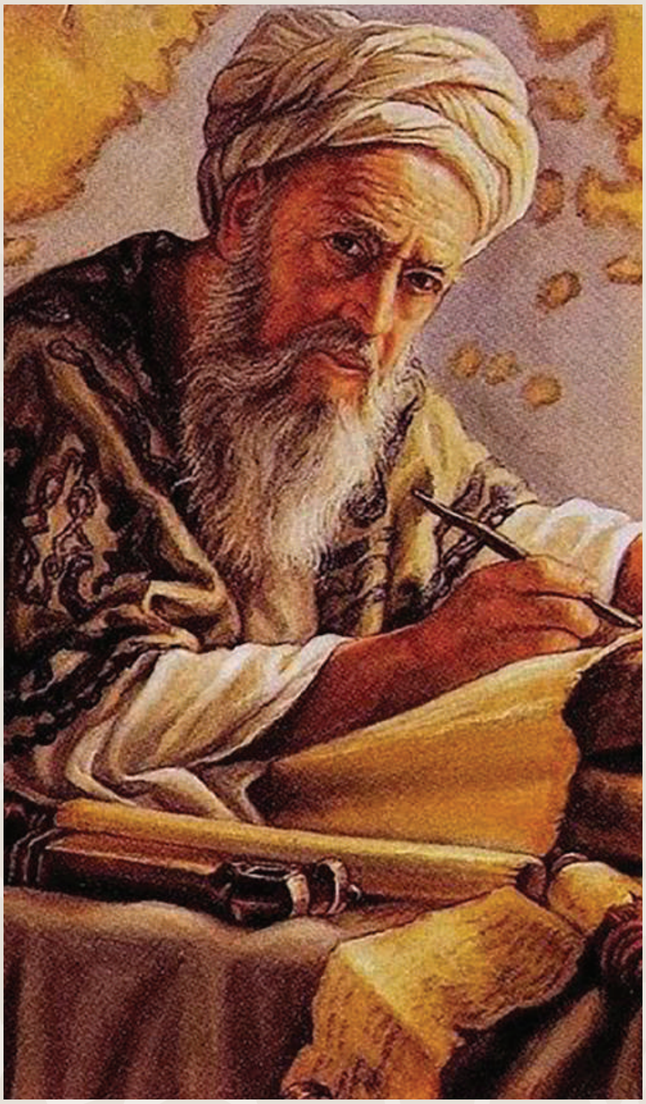
دانتي اليغيري



غوته



عنترة بن شداد



Wolfgang Goethe (فرانكفورت 1749- فايمار 1832) الذي اعترفَ في مذكّراتِه عام 1819 أنه اهتمَّ بالشّعرِ الجاهليِّ، وقرأ من شعراءِ الجاهلية: شعرَ امرئِ القيس وعنترةَ بنِ شدّاد وعمرِو بنِ كلثوم وطرفةَ بنِ العبد، ووقف متأمّلا ما بُثَّ في ثنايا شعرِنا العربيّ القديمِ من قيمٍ أصيلةٍ، ونقصدُ العزّةَ والكرامةَ والحرية والشّجاعةَ والشّرفَ؛ فقد كانت روحُه متعطّشةً للعلم والمعرفة، ويقولُ إنّه حاول دائبًا تعلّمَ (الخطّ الشّرقيّ) الذي سحره بجمالِه وذلك لتجاوُزِ العقباتِ اللّغويّةِ ولكي يقتربَ أيضًا من روحِ اللّغةِ العربيّةِ.

وتُخبرنا كاترينا مومزن أنّ غوته استعارَ من مكتباتِ فايمار مخطوطاتٍ شرقيّةً، وكُتبًا في النّحو، ومجلّاتٍ علميّةً متخصِّصةً، ومؤلفاتٍ تتناولُ رحلاتٍ إلى الشّرق، ومختاراتٍ أدبيةً مترجمةً، ومصاحفَ وكُتبًا عنِ السّيرةِ النّبويةِ الشّريفةِ وغيرَ ذلك كثيرٌ. وقد حصلَ من إحدى الموسوعات على صحيفةٍ تشتملُ على الأبجديّةِ العربيّةِ، ومن مكتبةِ فايمار على كتابٍ لتعلُّمِ اللّغة العربيّة، وتشهدُ مذكراتُه اليوميّةُ على مساعيه المتكرّرةِ لتعلّم قواعدِ اللّغة العربيّةِ؛ إذ يردُ فيها ذكرُ كتابِ «قواعدُ اللّغةِ العربيّةِ» لسلفستر دي ساسي (باريس 1758-1838)،كما يذكر غوته في مذكراتِه مُعجمَيْ جوليوس Golius

ومنينسكي Meninski العربيّين اللّذين لم يكونا مُتاحَين في مكتبة فايمار فحسب، بل في مكتباتٍ ألمانيّةٍ أُخَر. ويدلُّنا ما تجمّع لدى غوته من ملخّصات واقتباساتٍ كثيرةٍ مُستخرجةٍ من كُتبٍ تتناولُ فنونَ الشّعر العربيِّ أو منَ المختاراتِ وكتبِ الرّحلات الشّرقيةِ أو مؤلّفاتِ المستشرقِين المنشورةِ باللّاتينيّةِ والفرنسيّةِ والإيطاليّةِ والألمانيّةِ والعربيّةِ على عمق اهتماماتِه(5).

وتؤكدُ شواهدُ عدّةٌ أنّه كثيرًا ما كان يسترشدُ، شَفويًّا وخطيًّا، بنصائحِ المختصّين، وأنه كان يحاولُ مساعدتَهم في تعلّم العربيّةِ نطقًا وكتابةً، ومع ذلك فإنّ غوته كان على وعيٍ تامٍّ بقصور معرفتِه في ميادين اللّغة العربيّةِ والأدبِ العربيِّ، وقدِ اعترف بذلك في حديثٍ له إلى أحد أقاربِه في عام ١٨١٥ حيث قال: "لا ينقصُني إلا القليلُ حتى أبدأَ في تعلّمِ العربيّةِ أيضًا، إني أودُّ أن أتعلّم أبجديتَها على الأقل بحيث أتمكّنُ من تقليد التّمائمِ والطّلاسمِ والأختامِ بشكلِها الأصليِّ» (6).



ألفونس دو لا مارتين

ولا تزالُ مجموعةٌ كبيرةٌ منَ الصحائف التي تعودُ إلى الفترة الواقعةِ بين عامي ١٨١٤ و١٨١٩ مكتوبةً بخطّ غوته وهو يحاولُ تعلّمَ الخطّ العربي؛ إنها تعودُ إلى الزّمن الذي كان فيه الشّاعرُ قد بلغ عمرًا يتراوحُ بين الخامسة والسّتين والسبعين عامًا، وعلى الرّغمِ منَ المساعداتِ كلِّها التي حظي بها الشّاعرُ من ذوي الاختصاص من أمثالِ لورسباخ وكوزيجارتن وباولوس لتعلّم اللّغة في فايمار وهايدلبرج، فإنّنا نجدُه يعترف أخيرًا أمام المستشار (فريدرش فون مولر) وقد أشرفَ على الرّابعة والسّبعين من عمره، قائلًا: «نظرًا للصّعوبات الهائلةِ التي ترافقُ تعلّمَ هذه اللّغة العربيّةِ، فإنّ أكثرَ ما حصّله منها كان عن طريق الغزوِ والإغارة عليها وليس عن طريق الدّراسة المنتظمةِ.. وأنه لا يجوزُ له في الوقت الرّاهن أن يذهبَ إلى أبعدِ من هذا» (7).

ومن ناحية أخرى، فقد تحدّثَ عنِ النّقاط المضيئةِ في الشّرق وعنِ الرّوح الشّرقيّةِ التي حُرم منها الأوربّيون(8).

وإن انتقلنا إلى روسيا نجد ليف تولستوي الذي قُبِل في أيلول من عام 1844، طالبًا في جامعة كازان-



كليّة اللّغات الشّرقية، قسم اللّغتين التّركيّة والعربيّة، ولقدِ اختار ليف تولستوي هذا الاختصاصَ لسببين: الأوّل لأنّه أراد أن يصبحَ دبلوماسيًّا في الشّرق العربيّ، والثّاني، لأنّه مهتمٌّ بآداب شعوبِ الشّرق، إذ إنّ الكاتبَ الرّوسيَّ كان ينظرُ إلى الأدب العربيّ نظرةً زاخرةً بمعاني الاحترام والإجلال، كما هامَ بالثّقافة العربيّةِ، وبالأدب الشّعبيّ العربيّ، فعرفَ الحكاياتِ العربيّةَ منذ طفولته، عرف حكايةَ "علاء الدّين والمصباح السحري»، وقرأ «ألف ليلة وليلة»، واطّلع على حكايةِ "علي بابا والأربعون حرامي»، وحكايةِ «قمر الزّمان بين الملك شهرمان»، ولقد ذكر هاتين الحكايتَين ضمن قائمةِ الحكايات، التي تركت في نفسه أثرًا كبيرًا، قبل أن يبلغ أربعةَ عشر عامًا، وكتب حول هذا الموضوعِ في رسالتِه، إلى م.م. ليدرلي بتاريخ 25 تشرين الأوّل من عام 1891 (9)، ولعلّ الكاتبَ والشّيخَ محمد عبده (1849–1905) رئيسَ جامعةِ الأزهر آنذاك، كان أوّلَ الكُتّاب العربِ، الذين تبادلوا الرّسائلَ مع ليف تولستوي (1828–1910)، إذ كتب الشّيخُ محمد عبده رسالةً لتولستوي بتاريخ 18 نيسان عام 1904، ويرى النّقادُ السّوفييت، الذين أعدّوا المؤلفاتِ الكاملةَ لتولستوي، والتي بلغ مجموعُها تسعين مجلدًا، أنّ رسائلَ المفكّر العربيّ محمد عبده إلى تولستوي مفقودةٌ، ويوجد لديهم جوابُ تولستوي على رسالة محمد عبده، ومن خلال رسالة تولستوي الجوابيةِ إلى محمد عبده يتوقّعُ النّقّادُ السّوفييت أنّ رسالةَ محمد عبده تتعلّقُ بأمور الدين، كتب النّقّادُ السُّوفييت رأيَهم هذا في شرحهم لرسالة تولستوي الجوابيةِ لمحمد عبده (10)، علمًا



فولتير

بأنّ رسالةَ الشّيخِ محمد عبده، إلى تولستوي محفوظةٌ بخطّ محمد عبده وباللّغة العربيّةِ في متحف تولستوي الأدبــيّ في موسكو، وتحملُ الرّقمَ (5/204)، ونُشرتِ الرّسالةُ المذكورةُ مع رسالةٍ أخرى من محمد عبده إلى تولستوي في المجلّد الثاني منَ الأعمالِ الكاملةِ للإمام محمد عبده (11).

و منَ الكُتّاب الرّوسِ المعجَبين بالقرآن الكريم وبالثّقافةِ العربيّةِ بوشكين؛ إذ تذكرُ الباحثةُ مكارم الغمري أنه قد عُثِر في أوراق بوشكين التي تنتمي إلى سنواتٍ متفرّقةٍ من عمره على محاولاتٍ لتعلّم الحروفِ العربيّةِ، وقد أُرفِقَ بها شروحٌ لها، وعُثِرَ كذلك على ملاحظاتٍ حول شكلِ الأرقام العربيّةِ (12).

ويجدرُ بنا أن نشيرَ إلى الافتتانِ الذي أبداه شاعرُ غرناطةَ فيديريكو غارسيا لوركا تجاهَ المكوّنِ «الشّرقيِّ العربيّ» للهُويةِ الثّقافيّةِ الإسبانيةِ، وقد حاول المؤلّفُ ألبير بن سوسان الأكاديميُّ الفرنسيُّ المتخصصُ في اللّغة والأدبِ الإسبانيَّين الاستحواذَ على السِّماتِ المميّزةِ لهذا الافتتان من خلال دراسةٍ معمّقةٍ لديوان لوركا «أريكة تماريت»، إنّ افتتانَه الأكبرَ كان موجّهًا إلى هذا الشّرقِ العربيِّ الذي كان يحبُّ أن يرتبطَ به وإن كان جهلُه مُطبِقًا باللّغة العربيّةِ التي كان يدرّسُها الأستاذُ إيميليو غارسيا غوميز في جامعةِ غرناطةَ، كان يرغبُ في معرفة المصطلحاتِ المفاتيحِ: الدّيوان؛ وهو مجموعةُ الأغاني أو القصائدِ، وكان يكتبُه بصِيغتِه العربيّةِ «ديوان» والغزلُ الذي كان يكتبه «غازيلا»، والقصيدُ الذي أطلق عليه اسمَ «قصيدة» والذي يُعتبرُ أغنيةً



أكثرَ جدية، غير أنّ فيديريكو لم يكن يرغبُ في كتابةِ شعرٍ عربيٍّ[13].

وكلّنا أملٌ في أن يحملَ أبناؤنا المثقَّفون على أكتافِهم عبءَ التّوعيةِ والشّرحِ والتّفسير في سبيلِ التأسيسِ لثقافةٍ رائدةٍ وواعيةٍ، وفي وضعِ معاييرَ دقيقةٍ وتنميةِ أُسسِ الوعيِ المعرفيّ، بُغيةَ بناءِ حصنٍ منيعٍ لا هدفَ له إلا حمايةُ مبادئِ حضارتِنا ووعْينا وأُسسِنا الدّينيّةِ والأخلاقيّةِ الرّاسخةِ من كلِّ انزلاقٍ غيرِ واعٍ نحو هاويةِ الانسياقِ المتسرِّعِ وراءَ التّيـّاراتِ الثّقافيّةِ الأخرى.

---

(1) ولد دانتي في فلورنسا في أيار عام 1265. ينظر: المرعي، فؤاد، و مرشحة، محمد: محاضرات في الآداب العالمية، مطبوعات جامعة حلب، 2005، ص: 223.

(2) ينظر: Voltaire, Dictionnaire philosophique, collection Idéales, Le chasseur abstrait 2005, ، المعجم الفلسفي ص: 90-91.

(3) ولد الشاعر والفيلسوف والمسرحي فولتير Voltaire سنة 1694، ومات سنة 1778 ؛ ينظر: المرعي، فؤاد، و مرشحة، محمد: محاضرات في الآداب العالمية، مطبوعات جامعة حلب، 2005، ص: 322.

(4) ينظر: Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient, 1832-1833, ou Note d'un voyageur Par Alphonse De Lamartine رحلة إلى الشرق، ص:443-444.

(5) ينظر: كاترينا مومسن (كاترينا مومزن)، جوته والعالم العربي، عالم المعرفة 194، الكويت، شباط



المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

1 – الغمري، مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة 155، الكويت، نوفمبر 1991.

2 – غوته: الديوان الشرقي، تر. د. بدوي، عبد الرحمن: (المقدمة)، مكتبة النهضة، القاهرة 1944.

3 – لوركا والعرب: في عروقي دم عربي، بقلم: ألبير بن سوسان، ترجمة وتقديم: عبد المنعم الشنتوف - المجلة الثقافية الجزائرية، 22/05/2011.

4 – المرعي، فؤاد، ومرشحة، محمد: محاضرات في الآداب العالمية، مطبوعات جامعة حلب، 2005.

5 – ممدوح أبو الوي: تولستوي وديستويفسكي في الأدب العربي، اتحاد الكتاب العرب، 1999.

6 – كاترينا مومسن (كاترينا مومزن)، جوته والعالم العربي، عالم المعرفة 194، الكويت، شباط 1995.

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية:

1 - Voltaire, Dictionnaire philosophique, collection Idéales, Le chasseur abstrait 2005

2 - Alphonse De Lamartine Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient, 18321833-, ou Note d'un voyageur

---

1995، ص39 40-.

(6) ينظر: نفسه،، ص39 40--41.

(7)نفسه، ص:40.

(8) انظر: غوته: الديوان الشرقي، تر. د. بدوي، عبد الرحمن: (المقدمة)، مكتبة النهضة، القاهرة 1944، ص:4..

(9) ينظر: ممدوح أبو الوي: تولستوي و ديستويفسكي في الأدب العربي، اتحاد الكتاب العرب، 1999، 12 و13

(10) ينظر: الغمري، مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة 155، الكويت، نوفمبر 1991، ص 182.

(11)ينظر: ممدوح أبو الوي: تولستوي و ديستويفسكي في الأدب العربي، اتحاد الكتاب العرب، 1999، 23 و24

(12) ينظر: مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص72.

(13)ينظر: لوركا والعرب: في عروقي دم عربي، بقلم: ألبير بن سوسان، ترجمة وتقديم: عبد المنعم الشنتوف – المجلة الثقافية الجزائرية، 22/05/2011. (https://thakafamag.com/?p=1560).

تَقْرِيظُ الشِّعْرِ

اللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ فِي شِعْرِ الفَلَاسِفَةِ

للشِّعرِ اقتدارُه، اللّغةُ والرُّؤيا يَشحذان بريقَهُ في مُختلفِ الحِقبِ والأزمانِ، للشِّعْرِ قدرتُهُ العجيبةُ على التّوغّلِ في الزّمنِ والمُرابطةِ في عرينِ الجمالِ، نعلمُ يقينًا أنّ الشّعرَ منَ الفنونِ الضّاربةِ في القِدَمِ والمُتْقلَةِ بمورُوثِنا الرُّوحانيِّ والإيقاعيِّ والإنسانيِّ والتّاريخيِّ، تعودُ أصولُه إلى شُعراءِ العصرِ الجاهليِّ، مُرورًا بشعراءِ العصرِ الأمويِّ والعباسيِّ، وصولًا إلى الحديثِ والمعاصِرِ...

لم يكتفِ هذا الفنُّ بحضارتِنا العربيّةِ، وإنّما كان حاضرًا بقوّةٍ في خبايَا التّاريخِ، في العالَمِ القديمِ، في أثينا منبتِ الفلسفةِ والفكرِ، حضرَ الشّعرُ في الملاحمِ الخالدةِ منها «الأوديسة» للشّاعرِ اليونانيِّ هوميروس، والّتي تحقّقُ فيها أنوثةُ القصيدةِ ورقّتُها، وفضائلُ البداوةِ والطّبيعةِ وموسيقى الوجودِ، لم يكن هوميروس الشّاعرَ الملحميَّ الوحيدَ في أثينا، عاصره كوكبةٌ منَ الشّعراءِ والآثارِ الخالدةِ، نذكرُ مثلًا: «هزيود»، «إسخيليوس»، «صافو» ، «أبولونيوس»، «ثيوقريطس» ، «سوفوكليس»



د. أماني الزعيبي
أستاذة فلسفة بالجامعة التونسية

لا نرومُ في هذا المقالِ، سردَ تاريخِ الشّعرِ العربيِّ والغربيِّ أو تَتَبُّعًا نَظَرِيًّا لحركاتِ النّقدِ الشّعريِّ، إنّما سنعوّلُ على البحثِ في إمكاناتِ الشّعرِ تحليلًا وتقريظًا واستجلاءً للُغةِ الشّعرِ عنِ الفلاسفةِ، ما الذي يجعلُنا نمدحُ الشّعرَ اليومَ؟ ألم يقلِ البعضُ إنّ هذا العصرَ هو عصرُ الرّوايةِ بامتيازٍ وأنَّ عصرَ الشّعرِ وَلَّى؟ وأيّةُ لُغةٍ شعريّةٍ يقتنِصُهَا الفلاسفةُ في أشعارِهم؟

الشّعرُ تأويلٌ حيٌّ، مثلما ذهبَ إلى ذلك بعضُ أقطابِ المدرسةِ التّأويليّةِ، الشّعرُ يمتشقُ الأعاليَ، ويغرسُ في المعنى كآخرِ وردةٍ في حدائقِ الضّوءِ، كان جليًّا في قصائدِ نِيتشه وفي كتابه الشّهير: هكذا تحدّثَ زرادشت، انهمارُ ينابيعِ الشّعرِ انبجاسًا للحياة، هناك مِن غارِ زرادشت الّذي أوى إليه في أعلى الجبلِ، كان صوتُ الطبيعةِ خالصًا، لا يشوّهُه شيءٌ، ربّما يعودُ وَلعُ نيتشه بالشِّعرِ إلى تخصّصِه الأوّلِ «الفيلولوجيا» أو «علمُ اللّغة»، واطّلاعِه العميقِ على الفنِّ والموروثِ الفلسفيِّ اليونانيِّ، وقد يتجاوزُ هذا الولعُ أسوارَ التّخصّصِ إلى حُلمِه الأثيريِّ وهو الإنسانيّةُ، والشّعرُ خطابٌ إنسانيٌّ، يخاطبُ الإنسانيّةَ جمعاءَ، هو آفاقٌ للخلاصِ منَ الأسوارِ والحدودِ العقليّةِ للفلسفةِ المتعاليةِ.

الشّعرُ عند نيتشه، مرآةُ الحياةِ، إيقاعٌ للعالمِ، راهنَ على التّكثيفِ والإيجازِ في لغتِه الشّعريّةِ، عُدّتْ فترةُ شبابِه مرحلةً لقصائدِه الرّومانسيّةِ والّتي طغى عليها النّبوغُ البلاغيُّ، وامتزاجُ الأحاسيسِ المتراوحةِ

بين الفرحِ والحزن، أمّا المرحلةُ الثّانيةُ، فهي مرحلةُ «زرادشت» وكتابُه: مولدُ التراجيديا، وهنا تشكّلت قصائدُهُ الدّراميّةُ، وأناشيدُهُ الفلسفيّةُ.

الطبيعةُ لُغةٌ شعريّةٌ:

يقول نِيتشه في قصائدِه المبكّرة:

«على الرّبوة العاليةِ، ملتفًّا بمعطفِ الظّلام أقفُ.

من هذي الأعالي المُوحشةِ، إلى موطنٍ تُغطّي الزّهورُ نظرتِي

تَهوي، أرى نسرًا يُحلّق بجرأة الفتوّةِ يندفعُ ملاحقًا أشعّةً مذهّبةً

ويصعدُ ويُوغلُ في الأتون الأبديِّ»

تكمنُ لغةُ نيتشه الشعريّةُ، في عودتِه إلى عناصرِ الطّبيعةِ، وفي قدرتِه على التّحليقِ بجناحَي الفلسفةِ والمُخيّلةِ. لُغتهُ حيّةٌ، حركيّةٌ، ومتجلّيةٌ، تنهلُ من خضوبة الأرضِ، وسموقِ الجبال والعلوِّ، تنهلُ من لُغة هيرقليطس المكثّفة، ومن أساليبِ أعلامِ التّراجيديا، حضرت عناصرُ الطّبيعةِ بقوّةٍ في كتاباتِه الأولى تراوحتْ بين التُّرابيِّ والهوائيِّ: «البريقُ، الغابةُ، الفضاءُ، العندليبُ، الغصونُ، الخريرُ، الطّيرُ، العشبُ، القبّراتُ، الوديانُ، الجبالُ...»

تلتقي لُغةُ نيتشه بلُغتَيْ «هولدرلين»، و«غوته»الشّعريّةِ، تُلهمُهمُ اللّغةُ المكثّفةُ والمتدفّقةُ والشّفيفةُ، وكأنّ اللّغةَ عندهم تنتقلُ بسلاسةٍ منَ الأرض إلى السّماء وتنفتحُ داخلَ الفضاء الرّحبِ، تترحّلُ بين الحِقبِ والأزمانِ في خلودٍ أبديٍّ، يقول هولدرين في كتاباتِه المُبكّرة:

«منَ الحدائق آتي إليكمْ، يا أبناءَ الجبلِ!

منَ الحدائق حيثُ الطبيعةُ صبورةٌ وأليفةٌ، راعيةٌ ومرْعيّةٌ منَ البشر الكادحين.»

هكذا، هي لغةُ هولدرلين، لغةٌ تعصرُ جوهرَ الطبيعة، تطوّعُها لغةٌ شعريّةٌ، تجدُ فيها، نهرَ «الرّاين»، وعنفوانَ اللّغةِ البكر، عزفُ الرُّعاة في غاباتِ ألمانيا، ثمّةَ اشتغالٌ بالثُّنائيات، الحياةِ/ الموتِ، الأرضِ/السّماءِ، الثّباتِ/الحركةِ، الفرحِ/ الألمِ، القُبحِ/الجمالِ... يستثمرُ إيقاعَ الحياة ليشكّلَ نصًّا مُتفرّدًا ينهلُ منَ الموجودات.



نيتشه

التّعبيرُ الشّعريُّ:

يختلفُ التّعبيرُ الشّعريُّ عن مُختلفِ الفنون الأخـرى، هو يعتمدُ على الألفاظِ اللُّغويّة، وهذه الألفاظُ تُعتمدُ في التّمثيل والتّشكيلِ، وفي هذه النّقطة يرفضُ هيغل اعتبارَ التّعبيرِ الشّعريِّ مجرّدَ التقاءٍ لكلماتٍ وألفاظٍ نضبطُها بالوزن ونكوّنُ منها مقاطعَ وجُملًا خاضعةً للوزن والقافية لتكونَ بذلك ظاهرةً صوتيّةً وحسب، وَفقًا لهيغل، يجبُ البحثُ عن مُنطلقٍ للتّعبير الشّعريِّ، وذلك من خلال تمثّلِ الأشياء، وهنا يكمنُ الفرقُ بين «التّعبيرِ الشّعريِّ» و«التّعبيرِ اللّفظيِّ»، يعتمدُ التّعبيرُ الشّعريُّ على خلْقِ حقولٍ تعبيريّةٍ جديدةٍ، مُعوّلًا على فعليّةِ الخلْقِ الشّعريِّ، والتّصويرِ العينيِّ دون التّوقّفِ عند ما هو خارجيٌّ، ويعتمدُ التّمثيلُ الشّعريُّ على جُملةٍ منَ الوسائلِ أهمُّها التّشابيهُ والاستعاراتُ والصّورُ البيانيّةُ، وفي هذا المقام يُشيرُ هيغل إلى أنّ الشّعرَ الشّرقيَّ يتميّزُ على الشِّعر الغربيِّ في قدرتِه الهائلةِ على التّصوير، هذا الثّراءُ التّصويريُّ هو بوابةُ التّرميزِ ومنبعُ الصّورِ والابتكاراتِ.

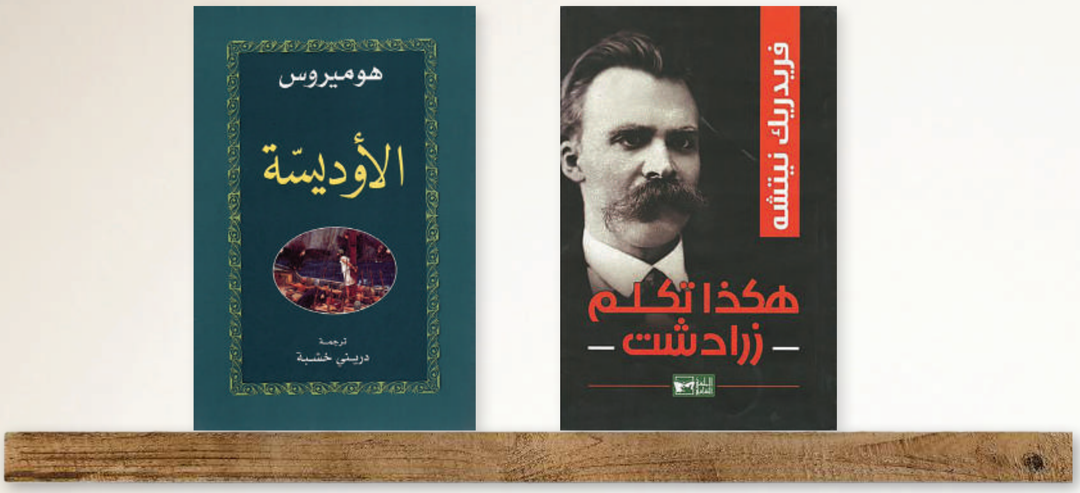
يعتمدُ التّعبيرُ الشّعريُّ على خلْقِ حقولٍ تعبيريّةٍ جديدةٍ

أمّا التّعبيرُ اللّفظيُّ، فهو بالنّسبةِ إلى هيغل المرحلةُ الأُولى للكتابةِ الشِّعريّةِ، فالشّاعرُ مُلزمٌ برصيدٍ كبيرٍ منَ الألفاظِ والعباراتِ واللّغة؛ ليتمكّنَ منِ اعتمادها وسيلةً لخوضِ غمارِ التّعبيرِ الشّعريِّ، وبذلك، الجانبُ اللفظيُّ، رصيدٌ لغويٌّ لا يصنعُ الشّعرَ، وإنّما هو عدّةٌ تصقلُ قدرتَه على تنشيط الخيال، التّعبيرُ اللّفظيُّ يحدّدُ الأشياءَ وفروقاتِها ويضبطُها، في حين أنّ اللّغةَ الشّعريّةَ يجبُ أن تكون مصقولةً بمهارةٍ تنتقِي الألفاظَ المقبولةَ جماليًّا.

وتتطوّرُ إلى ابتكارِ ألفاظٍ جديدةٍ، أو البحثِ في ألفاظٍ يندرُ استعمالُها في المجالاتِ العامّةِ، لا يجبُ أن تكونَ الكلمةُ مجرّدَ وسيلةٍ



هولدرين



يبلّغُ بها المدلولُ، أو مقطعًا يتقيّدُ بوزنٍ عروضيٍّ ثابتٍ لكي لا يكونَ مجرّدَ نظْم.

إجمالًا، ينبغي على الشّعر ًأن يبحثَ دائمًا عن جوهرِه الحيِّ من خلال دعوتِه للإنسانيّةِ والسّلام، يُصرّحُ هيغل في مطلع حديثِه عنِ الشّعر، أَنَّ تحقّقَ العالَم الشّعريِّ يقتضي اللّغةَ ومضمونَه الذاتيَّ، والتّمثيليَّ، ويذكرُ مثالًا على ذلك مآسي سوفوكليس وأناشيد هوميروس، وهكذا، الشّعرُ فعلٌ نشيطٌ للمخيّلةِ، وقدرةٌ على توسيع آفاق العالَم، لقد كان جون ليك نانسي على حقٍّ عندما قال إنّ الشِّعرَ لا يُمكنُ أن يكونَ نِتاجًا لُغويًّا وحسبُ، إنّما تعبيرٌ أنطولوجيٌّ للوجودِ الإنسانيِّ، وله هولدرلين خيرُ مثالٍ على قوله، الشِّعرُ إمكاناتٌ جديدةٌ للّغةِ والذّاتِ والعالَمِ.

---

(1) هزيود شاعر إغريقي عاش بين 750–650 ق.م. في زمن هوميروس. ويعتبر أوّل شاعر كتابيّ في التراث الغربيّ، ومن رواد الميثولوجيا اليونانية.

(2) صافو شاعرة إغريقية عاشت في فترة 630–612 ق.م، وتوفيت سنة 560 ق.م، عُرفت في كتب أعلام الفلسفة من بين هؤلاء أفلاطون. بقي من أعمالها بعض الآثار منها قصيدة "ترنيمة أفروديت».

(3) أبولونيوس الرودسي (295ق.م215- ق.م) من أصل يوناني ولد في الإسكندرية. هو أوّل شاعر ملحمي يقسم ملحمتهُ إلى كتب. من أهم قصائده الملحمية "أرغونوتيكا".

(4) ثيوقريطس (310ق.م250- ق.م) هو شاعر إغريقي، يُعتبر مؤسّسا للأدب الرعويّ أو الشعر الرّعويّ. يعتمدُ في شعره معاجم طبيعيّة، وصورا للريف والحياة في ريف صقليّة.

(5) سوفوكليس (496 ق.م405- ق.م) شاعر أثينيّ من أهمّ ثلاثة كتاب تراجيديا إلى جانب إسخليوس ويوربيديس.

(6) الفيلولوجيا Philology هي علم اللغة وتحديدا دراسة النصوص القديمة، مركبة من لفظتين إغريقيتين الأولى «فيلوس philos» و «لوغوس» Logos وتعني «المبدأ الفعال للعالم» أو «العقل» أو «الكلام» ...

(7) فريدريش نيتشه، ديوان نيتشه، ترجمة: محمد بن صالح، منشورات الجمل، ط2، بيروت، 2009، ص 29.

(8) هِيرَقْلِيطس هو فيلسوف يوناني، عاش في فترة سابقة للفيلسوف سقراط. عُرف بكتابة الشذرات المُتشحة بالغموض والمجاز والحزن. أطلق عليه البعض، كناية «الفيلسوف الباكي». مثلَّ مُنعرجا فارقا في تصورات سقراط وأفلاطون وأرسطو. لهُ نظريّة شهيرة هي «نظرية العناصر الأربعة» وهم «الهواء، والنّار، والتراب، والماء.

(9) هولدرلين، (1770–1843) يعدُّ من بين أشهر الشعراء في تاريخ الأدب الألماني.

(10) هلدرلن، قصائد مختارة، نقلها عن الألمانيّة: فؤاد رفقة، دار صادر، بيروت،1989، ط1/ ص 20.

(11) جورج فيلهلم فريدريش هيغل (1770–1831) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت/ألمانيا. يعتبر أحد أهمّ الفلاسفة الألمان.

(12) جان ليك نانسي (1940-2021) فيلسوف فرنسي، من المُنشغلين بالمنهج الفنومينولوجي.

حَذْفُ هَمْزَةِ «ابن» بَيْنَ الإِشْكَالِيَّةِ والحَلِّ



أ.د. إميل بديع يعقوب
باحث ولغويّ

ليس في اللّغةِ العربيّةِ كلمةٌ تعدّدتِ الآراءُ والتّفاصيلُ في كتابتها ككلمةِ «ابن»، وذلك بالنّسبة إلى مسألةِ حذفِ همزتِها وإثباتِها. صحيحٌ أنّ معظمَ المتخصِّصين في اللّغةِ العربيّةِ يعرفونَ أنَّ هذه الهمزةَ تُحذفُ إذا وقعتْ مفردةً (1) بين عَلَمَين(2) مُتَّصِلَين(3)، وكانت نعتًا للعلَم الأوّلِ، ولم تقعْ في أوّلِ السّطر كتابةً، نحو: «عُمَرُ بن أبي ربيعةَ(4) شاعرٌ مُبْدِع»، و«عليٌّ(5) بن أبي طالب(6) خطيبٌ بليغ»، ولكنّهم لا يعرفون شروطَ هذا الحذف، وخلافاتِ اللُّغويّين فيه، فهي تُثبَتُ، إذا جاءت:

أ – مُثنّاةً، نحو: «نجح زيدٌ وزيادٌ ابنا مصطفى».

ب – مجموعةً، نحو: «كافأتُ محمّدًا وزيدًا وزيادًا أبناء عليّ».

ج – واقعةً:

❋ بين اسمين غيرِ عَلَمين، نحو: «جاء العالِم ابن العالِم».

❋ بين عَلَم واسم غيرِ عَلَم، نحو: «جاء محمّدٌ ابنُ الشّاعر».

❋ بين اسم غيرِ عَلَم وعَلَم، نحو: «جاء العالِم ابنُ محمّد».

❋ قبل اسم عَلَم، وليس قبلها اسمُ عَلَمٌ، نحو: «حضَرَ ابن زيد».

❋ بين عَلَمَين، ثانيهما ليس والدَ الأوّل حقيقةً، بل والدُه بالتّبنّي، نحو: «المقدادُ ابنُ الأسود»(7)، أو جدّه، نحو: «عبدُ الله ابنُ مسعود»(8)، أو جَدّ جَدّه، نحو: «يعقوب ابنُ عبدِ القاري»(9)، أو أمّه، نحو: «عيسى ابنُ مريم» و«الرّمّاحُ ابنُ ميّادة»(10).

ومنهم مَن يحذفُ همزة «ابن» الواقعةَ بين عَلَمَين، إذا كان العَلَمُ الثّاني ليس والدًا حقيقيًّا للعَلَم الأوّل، ومنهم مَن يرى أنّ الهمزة تُحذف من "ابن" إذا كان العَلَم قد اشتُهِر في النّسبة إلى أمّه، فإن لم يشتهر بها، لا تُحذف الهمزةُ.

د – بعد اسمٍ عَلَمٍ مُنوّنٍ للضّرورة الشّعريّة، نحو قول الرّاجز:

❋ جــاريــةٌ مِــنْ قَــيْــسِ ابْــنِ ثَــعْــلَــبَــةْ ❋(11)

هـ – مقطوعةَ الهمزة(12) في الضّرورة الشّعريّة، نحو قولِ الشّاعر (من البسيط):

كَجَاءَنا خالدٌ إِبْنُ الوليدِ، وفي
جَمْعٍ على ابْنِيْنَ في بَعْضِ المناكيرِ(13)

و – غيرَ نعْتٍ للعَلَم الّذي قبلها، كأن تكون:

– خبرًا للمبتدأ، نحو الآية: ﴿وقالت اليهود عُزيرٌ ابن الله وقالت النّصارى المسيحُ ابنُ الله﴾(14).









* خبرًا للنّاسخ، نحو: «إنّ خالدًا ابنُ[15] الوليد» و«ظننتُ زيدًا ابنَ[16] زياد».

* بدلًا، نحو: «جاء زيدٌ ابنُ[17] زياد».

* مفعولًا به لفعل محذوف تقديره: أعني، نحو: «أكرَمَني زيدٌ ابنَ[18] عليّ».

* نعتًا مقطوعًا[19]، نحو: «جاء زيدٌ ابنَ[20] زياد»، و«مررتُ بمحمّدٍ ابنُ[21] زيد».

ز – بين عَلَمَين، وكان بينهما ضبطٌ، نحو: «أحببْتُ سَحْبانَ، بالفتح، ابنَ المرتضى»، أو وزنٌ، نحو: «شاهدْتُ رِدْبى كظَرْبى ابنَ زيادٍ»، أو نعتٌ، نحو: «أحمد الشّاعر ابن زيد»، أو ضميرُ فصلٍ، نحو: «محمّد هو ابنُ مصطفى».

ح – بعد «إمّا»، نحو: «جَاءَ سَالِمٌ إِمَّا ابْنُ زِيَادٍ وَإِمَّا ابنُ زَيْدٍ».

ط – بعد عَلَم مجهولٍ، نحو: «شاهدْتُ العبادِلةَ[22] ابنَ زيدٍ وابنَ زيادٍ وابنَ حَسَن».

ي – مُضافةً إلى لفظة «ابن»، أو «ابنة»، أو «بنت»، أو «أخ»، أو «أخت»، أو «عمّ»، أو «خال»، وإن كان العَلَمُ المصدَّرُ بهذه الألفاظ معدودًا، عند النُّحاة، منَ الكُنية، نحو: «بدر الدّين ابن ابن مالك» [23]، و«عبد الرّحمن ابن أخي الأصمعيّ»[24]، و«عمرو ابن أخت جذيمة الأبرش» [25]، و«القاضي تقيّ الدّين عبد الوهّاب ابن بنت الأعزّ»[26].

ك – مُضافةً إلى ضمير، نحو: «هذا زيد، وهذا زيادٌ ابنه».

ل – مُضافةً إلى لفظة «أبيه»، نحو: «زيادٌ ابن أبيه»[27].

م – واقعةً في أوّل السّطر كتابةً[28]، ومن طريف ما أذكرُ، هنا، أنّ تلميذًا لي، عندما كنت أمتحن صفّه بِنَصٍّ إملائيٍّ في مسألة حذف همزةِ «ابن»، كان يحرصُ على إيقَاعِ هذه الكلمة في أوّل السّطر، فإذا لم يستطع، كتب عدّةَ كلمات ثمّ شطبها لتأتيَ هذه الكلمةُ في أوّله، فيكتبَها بالهمزة دائمًا.

نظم بعضهم جامعًا الأحوال الّتي تُثبت فيها ألف «ابن» و«ابنة»، فقال:



قَدْ أَثْبَتوا أَلِفَ ابْنٍ في مَواضِعَ مِنْ
كَلامِهِمْ، كابْنَةٍ، خُذْها بِتَصْويرِ
إذا أُضِيفَ لإِضْمارٍ: رِضى ابْنِكَ أَوْ
لِجَدِّهِ مِثْلَ عَمّارِ ابْنِ مَنْصورِ
أَوْ أُمِّهِ، نَحْوَ: «عِيسَى ابْنُ البَتولِ سَما»
أَوْ كانَ في خَبَرٍ: يَحْيَى ابْنُ مَشْهورِ
أَوْ كانَ مُسْتَفْهِمًا عَنْهُ كَقَوْلِكَ: «هَلْ
زَيْدُ ابْنُ عَمْرٍ أَمِ ابْنُ القاسِمِ الصّوريّ؟
أَوْ كانَ تَثْنِيَةً كالمُرْتَضَى وَأَبُو
خَدِيجَةَ ابْنَا عَلِيٍّ مُشْرِقِ النُّورِ
أَوْ عَكْسَ ذاكَ بِأَنْ قَدَّمْتَ تَثْنِيَةً
كالْخالِدانِ ابْنُ يُسْرٍ وابْنُ مَيْسُورِ
أَوْ جاءَ الابْنُ بِغَيْرِ اسْمٍ تَقَدَّمَهُ
نَحْوَ: «ابْنِ موسى وَزَيْدٍ وَابْنِ مَذْكورِ»
أَوْ كانَ أَوَّلَ سَطْرٍ أَوْ دَعا سَبَبٌ
لِقَطْعِ هَمْزَتِهِ في نَظْمِ مَنْثُورِ
كَجاءَنا خالِدٌ إِبْنُ الْوَلِيدِ وفي
جَمْعٍ على ابْنَيْنِ في بَعْضِ المَناكِيرِ
زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَيَحْيَى ابْنُو أَبِي رَجَبٍ
جاؤُوا وَقَدْ حَفِظُوا هذا بِتَذْكِيرِ

أَوْ جاءَ لَفْظُ أَبِيهِ بَعْدَهُ مَثَلًا
كَجَعْفَرِ ابْنِ أَبِيهِ صاحِبِ الصُّورِ
أَوْ أُخِّرَ اسْمٌ عَنِ ابْنٍ نَحْوَ قَوْلِكَ: «قَدْ
جاءَ ابْنُ زَيْدٍ عَلِيٌّ خَيْرُ مَشْكُورِ
أَوْ حالَ بَيْنَهُما وَزْنٌ كَجاءَ لَنا
رَدْبى كَظَرْبَى ابْنُ مُوسى صاحِبُ الطُّورِ
أَوْ كانَ نَصْبًا بِـ«أَعْني» فيهِ مُضْمَرَةٌ
كَمِثْلِ أَكْرَمَني زَيْدُ ابْنَ مَسْرُورِ
أَوْ بَعْدَ «إِمّا» لِشَكٍّ: جاءَني حَسَنٌ
إِمّا ابْنُ سَعْدٍ وَإِمّا إِبْنُ مَنْظُورِ
أَوْ حالَ بَيْنَهُما وَصْفٌ كَأَكْرَمَنا
يَحْيَى الكَرِيمُ ابْنُ مَيْمُونِ ابْنُ مَجْبُورِ
أَوْ كانَ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ كالعَبادِلَةِ ابْــ
ــنِ المُرْتَضَى وابْنِ عَمْرٍو وابْنِ مَعْمُورِ
أَوْ كانَ الابْنُ مُضافًا لابْنٍ أَوْ لأَخٍ
أَوْ عَمِّهِ كالمُعَلَّى ابْنِ ابْنِ عُصْفُورِ
أَوْ كانَ الابْنُ مُنادَى، نَحْوَ: «حَدَّثَنا
مُوسَى ابْنَ مَشْكُورَ يَعْني يا ابْنَ مَشْكُورِ»
أَوْ كانَ بَيْنَهُما ضَبْطٌ كَقالَ لَنا:
سَحْبانُ بالفَتْحِ ابْنِ المُرْتَضَى الدُّوري(29)



يُلاحظُ كثرةُ شروطِ حذفِ همزة «ابن»، وكثرةُ اختلافاتهم فيه، وتفريعاتُهم في هذه الشّروط، وقدّ أدّى كلُّ هذا إلى توسُّع مُضْجِر يعجزُ المعلِّم عن حِفظه. فما بالك بالتّلميذ؟

فالتّلميذ، لكي يعرفَ متى يُثبت همزة «ابن» ومتى يحذفها، عليه أن يُتقن:

أ – النّحو: ليعرفَ ما إذا كانت هذه اللّفظة نعتًا، عَلَمًا بأنواعه المختلفة، أم غيرَ عَلَم، وموقعَها الإعرابيَّ، فإذا كانت نعتًا، حذف همزتَها، وإن جاءت خبرًا للمبتدأ أو للنّاسخ، أو بدلًا، أو مفعولًا به، أو منادًى، أثبَت همزتها.



ب – علم العَروض: ليعرفَ ما إذا كان الشّاعر قد اضطُرَّ إلى تنوين العَلَم الأوّل، أو إلى قطع همزتها، فلا يحذف هذه الهمزة.

ج – علم التّاريخ والأنساب: ليعرفَ، إذا كان العَلَمُ الثّاني الوالدَ الحقيقيَّ للعَلَم الأوّل، أم أُمَّه، أم جدَّه، أم جدَّه الأعلى، أم والدَه بالتّبنّي.

وما يزيد الصعوبةَ صعوبةً في هذه المسألة أنّ النّحويّين يوجبون حذفَ تنوين العَلَم الأوّل إذا حُذفت همزة "ابن"، وإثباتَه إذا أُثبتَتْ[30]، وهذا أمر يَخفى على بعض العلماء المحقّقين[31]، فما بالك بطلبة المدارس، وغيرِ المتخصّصين في اللّغة العربيّة؟

دعا بعضُ علمائنا الـمُحدثين إلى إثبات همزة «ابن»، وكذلك همزة «ابنة» وإن استوفت شروط حذفها، ومن هؤلاء عبد العليم إبراهيم[32] الّذي قال: «ما الدّاعي إلى هذا الحذف الّذي يكلّفنا، قبْلَ الإقدام عليه، تلك الضّريبةَ الفكريّةَ الفادحةَ؟ وماذا يحدثُ، في عالم الكتابة العربيّةِ، لو كُتبت كلٌّ منهما [أي: من «ابن» و«ابنة»] دون حذف ألفِها، مهما يكن موقعُها وإعرابُها؟ ويقولون: إنّما تُحذفُ الألف للاختصار، وأيُّ اختصارٍ يُطلبُ في كلمةٍ ثلاثيّةٍ، تتحمّل، بهذا الحذف، أن يُجْتَزَّ ثلثُها؟»[33]

ومنَ البديهيِّ القولُ في نهاية هذا البحث إنّ إثباتَ همزة «ابن»، ولو استوفت شروطَ حذفِها، صحيحٌ على أساسِ أنّها غيرُ نعتٍ للاسم الّذي قبْلَها، بل هي بَدَلٌ أو عطفُ بيان، وهكذا نُرضي النُّحاةَ، ونيسّرُ أمرَ كتابتها على النّاشئة.

---

(1) أي: غير مُثنّاة، وغير مجموعة.

(2) يُقصد بالعَلَم هنا:

❋ الاسم الّذي وُضع عَلَمًا، مثل: «محمّد»، «مصطفى»، عليّ».

❋ الكناية عن شخص لا يُعرف اسمه، نحو: «فلان»، «علّان».

❋ الكنية المصدّرة بـ«أمّ» و«أب»، نحو: «أبو بكر»، و«أمّ زيد».

❋ اللّقب، نحو: «الجاحظ»، «زين العابدين»، «الزَّمخشريّ».

(3) أي: ليس بينهما سوى كلمة «ابن».

(4) شاعر أمويّ (ت 93 هـ/ 712 م): أرقّ شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. وفد على عبد الملك بن مروان، ثمّ نفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك، ثمّ غزا في البحر، فمات غرقًا. كتب عنه الكثيرون. له ديوان (الزركلي: الأعلام 5/ 52).

(5) يُحذف التّنوين من العَلَم الأوّل إذا حُذفت همزة "ابن"، ويُثبت إذا لم تُحذف.

(6) رابع الخلفاء الرّاشدين، وابن عمّ النبيّ (ﷺ)، وصهره، وأوّل النّاس إسلامًا بعد خديجة (ت 40 هـ/ 661 م). أقام بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرّحمن بن ملجم. جُمِعت خطبه وأقواله ورسائله في "نهج البلاغة". وله ديوان مشكوك بنسبة معظمه إليه (الزركلي: الأعلام 4/ 295).

(7) المقداد بن عمرو الحضرميّ (ت 33 هـ/ 653 م): صحابيّ من الأبطال، وأحد السّبعة الّذين كانوا أوّل مَن أظهر الإسلام، وأوّل مَن قاتل على فرس في سبيل الله. تبنّاه الأسودُ بْنُ عبدِ يَغُوث الزهريّ، فصار يُقال له: «المقداد ابن الأسود» (الزركلي: الأعلام 7/ 282).

(8) عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذليّ (ت 98 هـ/ 719 م): مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السّبعة فيها، من أعلام التّابعين، وله شعر جيّد. كان ثقة عالـمًا فقيهًا كثير الحديث والعلم والشّعر. مات بالمدينة (الزركلي: الأعلام 4/ 195).

(9) لم أقعْ على ترجمة له.

(10) هو الرّمّاح بن أبرد (وقيل: يزيد) بن ثوبان الذّبياني (ت 149 هـ/ 766 م): شاعر رقيق هجّاء من مخضرمي الدّولتين: الأمويّة والعبّاسيّة. كان مُقامه بنجد. له ديوان (الزركلي: الأعلام 3/ 31).

(11) الرّجز للأغلب العجليّ في ديوانه، ص 148؛ ولسان العرب 1/ 238 (ثعلب).

(12) أي: تحوّلت همزتها من همزة وصل إلى همزة قطع.

(13) هذا بيت من قصيدة عدّد فيها ناظمها الحالات الّتي يجب إثبات همزة «ابن» فيها، وسأثبّتها بعد قليل.

(14) التّوبة 9: 30. «ابن» الأولى خبر للمبتدأ «عُزَيْرٌ»، و«ابن» الثّانية خبر للمبتدأ «المسيح».

(15) «ابنُ»: خبر «إنّ» مرفوع بالضّمة. وخالد بن الوليد هو الصّحابيّ سيف الله الفاتح الكبير (ت 21 هـ/ 642 م): أسلم قبل فتح مكّة، فسُرّ به رسول الله (ﷺ)، وولّاه الخيل. فتح الحيرة وجانبًا عظيمًا منه. كان مظفّرًا خطيبًا فصيحًا. مات بحمص، وقيل: بالمدينة (الزركلي: الأعلام 2/ 300).

المصادر والمراجع:

* أدب الكاتب. ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم). حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمّد الوالي. مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1982 م.

* الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1984 م.

* ديوان الأغلب العجلي. ضمن «شعراء أمويّون».

- شعراء أمويّون. تحقيق نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة النهضة العربيّة، بغداد، ط 1، 1985 م.

* صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القلقشندي (أحمد بن عليّ)، نسخة مصوّرة عن الطبعة الأميريّة في مصر، نشر وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، لا ط، لا ت.

* لسان العرب. ابن منظور (محمّد بن مكرم)، دار صادر، بيروت، لا ط، لا ت.

* المرجع في الإملاء. راجي الأسمر، إشراف الدّكتور إميل يعقوب، جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، لا ط، لا ت.

* المطالع النّصريّة للمطابع الأميريّة في الأصول الخطّيّة. نصر الهوريني، المطبعة الميريّة ببولاق (القاهرة)، ط 2، 1302 هـ.

* همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السّيوطي (عبدالرحمن بن الكمال)، تحقيق أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 2، 2007 م.

---

(16)«ابنَ»: مفعول به ثانٍ لـ "ظننت"، منصوب بالفتحة.
(17) «ابنُ»: بدل من «زيدٌ» مرفوع بالضّمّة.
(18) «ابنَ»: مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني.
(19) يُقصد بـ«قطع النّعت»، عند النُّحاة، صرفه عن أن يكون نعتًا إلى كونه خبرًا لمبتدأ محذوف، أو مفعولًا به لفعل محذوف. ويُلجأ إلى هذا القطع عند المدح، أو الذّمّ، أو التّرحّم.
(20) «ابنَ»: مفعول به لفعل محذوف تقديره: أمدح.
(21) «ابنُ»: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو.
(22) العبادِلة جمع «عبدالله».
(23)محمّد بن محمّد بن مالك الطّائيّ (ت 686 هـ/ 1287 م): نحويّ، ابن ناظم الألفيّة، من أهل دمشق مولدًا ووفاةً. له «شرح الألفيّة»، يُعرف بشرح ابن ناظم، و«المصباح» في المعاني والبيان (الزركلي: الأعلام 7/ 31).
(24) عبد الرّحمن بن عبدالله بن قريب، يُكْنى أبا محمّد، وقيل: يُكْنى أبا الحسن. كان من الثقلاء، إلّا أنّه كان ثقة عمّا يرويه عن عمّه وعن غيره من العلماء (القفطيّ: إنباه الرّواة على أنباه النحاة 2/ 161).
(25) عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة: ثاني ملوك الحيرة بعد خاله جذيمة الأبرش، وأوّل مَن ملك العراق من بني لخم في الجاهليّة. انتقمَ لخاله من قاتلته الزبّاء. كانت إقامته بالحيرة، وهو أوّل مَن اتّخذها منزلًا من ملوك العرب، ومات فيها (الزركلي: الأعلام 5/ 82).
(26)عبد الوهّاب بن خلف بن بدر الشّافعيّ (ت 665 هـ): قاضي القضاة. عُرف بـ«ابن بنت الأعزّ»؛ لأنّ جدّه لأمّه هو الأعزّ بن شكر وزير الملك الكامل، و«العَلَاميّ» نسبة إلى علامة، وهي قبيلة من لخم (الصفدي: الوافي بالوفيات 19/ 300-302).
(27) أمير من الدّهاة القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطّائف (ت 53 هـ/ 673 م). اختلفوا في اسم أبيه. تبيّن لمعاوية الخليفة الأمويّ أنّه أخوه من أبيه. اشتُهر بالخطابة. قيل: هو أوّل مَن جُمع له العراقان وخُراسان وسجستان والجران وعُمان، وَمَنِ اتَّخَذَ العسسَ والحرس في الإسلام (الزركلي: الأعلام 3/ 53).
(28) انظر:
(29) نصر الهوريني: المطالع النّصريّة، ص 117-121.
(30)راجي الأسمر: المرجع في الإملاء، ص 154-157.
- نصر الهوريني: المطالع النّصريّة، ص 122؛ وراجي الأسمر: المرجع في الإملاء، ص 157-158.
- انظر:
- السّيوطي: همع الهوامع 3/ 471.
- ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص 217.
(31) وقد خَفي على محقّقي كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا». انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا 3/ 192.
(32) عميد تفتيش اللّغة العربيّة بوزارة التّربية والتّعليم بمصر.
(33) عبد العليم إبراهيم: الإملاء والتّرقيم في اللّغة العربيّة، ص 123.

الأُسُسُ النَّظَرِيَّةُ لِلّسَانِيَّاتِ الوَظِيفِيَّةِ

دراسةٌ في التَّفَاعُلِ بَيْنَ الفِكْرِ وَالتَّوَاصُلِ

لقد عُنيَ اللُّغويّون ببنيةِ اللّسانِ الطّبيعيِّ عنايةً كبيرةً، وانصبَّتِ الدّراساتُ اللّسانيّةُ على وصفِ هذا البناءِ، ومدى انعكاسِ الفكرِ فيه، حتى عُدّ أحدَ أنماطِ الوجودِ - الوجودِ في اللّسان - ومن هنا اختلفتْ زوايا الأنظارِ إلى اللّغةِ وتمايزتْ في اتّجاهَيْن بارزَيْن: زاويةٌ تنظرُ إلى اللّغةِ من حيث كونُها رموزًا يُقامُ بها فعلُ التّواصلِ، وأخرى ترى إليها بعدَها نسقًا مجرّدًا للتّعبير عنِ الفكر، وبين الاتّجاهَيْن نقاطُ التقاءٍ وافتراقٍ.

وإذا كان تأثيرُ بنياتِ اللّغة في وظيفةِ التّواصلِ أوضحَ من أن يقامَ عليه دليلٌ، فإنَّ الإشكالَ الذي ترتكزُ عليه الدّراساتُ اللّسانيّةُ التي تنحُو مَنحًى وظيفيًا يتحدّدُ في الآتي:



كريم التايدي الوهابي

باحث- جامعة عبد المالك السعدي

إلى أيِّ مَدى تُسهمُ الوظيفةُ في بِنيةِ اللّغة؟

كان للانعطافِ اللّغويِّ في الفلسفةِ دورٌ بالغُ الأهميّةِ في توجيهِ الاهتمامِ إلى اللّغة، وجعْلِها صُلبَ اهتمامِ فعْلِ التّفلسفِ، خصوصًا في الاتّجاه التّحليليِّ، حتى عُدّت فلسفةُ اللّغةِ "فلسفةً أولى: first philosophy"، وفي هذا النّقاش أُثيرت قضايَا ومفاهيمُ عدّةٌ، تربطُ اللّغةَ بحيّزِ الاستعمال، وتُسائلُ وظائفَ اللّغة، فنتجت عن هذا مفاهيمُ متعدّدةٌ: أفعالُ الكلام مع أوستين وسيرل ـ ألعابُ اللّغة مع فيتجنشتين، ـ المعنى والإحالةُ مع رائدِ فلسفةِ اللّغةِ غوتلوب فريجة.

هذا السّياقُ أقام اللّغةَ موضعَ البُؤرةِ منَ الفكرِ الفلسفيِّ، خصوصًا في تعلّقِها بالاستعمال، ولم تُثمرْ هذه الدّراساتُ نتائجَها إلّا مع بداية السَّبْعِينِيَّات منَ القرن الماضي، عصرِ ميلادِ التّداوُليات، الذي أضافَ إلى مكوّناتِ الدّرسِ اللّسانيِّ، بُعدًا تداوُليًّا يسعَى إلى دراسةِ اللّغة في علاقتِها بمستعمليها».

لقد كان النّموذجُ البِنيويُّ مهيمنًا على الدّراساتِ اللّسانيّةِ، وهو نموذجٌ يقومُ على مبدأ المُحايثةِ دون استحضارِ السّياقاتِ المحيطةِ بالإنتاج، وهذا النّموذجُ وإن كان مفهومًا في سياقِه نظرًا لتخوّفِه منَ الإسقاطِ الإيديولوجيِّ، إلا أنّ تطوّرَ الدّرسِ اللّسانيِّ أثبتَ بما لا يدعُ مجالًا للرّيْبِ أنّ إهمالَ السّياقاتِ وأحوالَ المُتكلّمين



في مقاربةِ الملفوظاتِ اللّغويّةِ أمرٌ لا يصحُّ التّسليمُ به، ذلك أنَّ الإنتاجَ اللّغويَّ ليس وليدَ مُحيطِه الاجتماعيِّ فحسْب، بل إنّ المحيطَ في حدّ ذاته يُسهم بقدْرٍ كبيرٍ في تشكيلِ بِنية اللّغةِ.

وأظنُّ أنّ هذا التّحوّلَ في الدّراساتِ اللّغوية لم يكن مُرحَّبًا به في حينه كلَّ التّرحيب نظرًا للمحاذير التي كانت تحيطُ به، فكان الرّاغبُ في خوضِه ينبغي له أن يتمثّلَ بالشّجاعةِ المعرفيّةِ، وطولِ الباع العلْميّ، ليمكّنَه ذلك من تأصيلِ المبادئ، وتحقيقِ النّتائج وَفقًا لمُقتضيات البحثِ العلميِّ ومُنطلقاتِه.

أوّلًا: معيارُ التّصنيف: بين البِنيةِ والوظيفةِ

أشرنا آنفًا إلى ما ميّزَ الدّرسَ اللّسانيَّ خلال السَّبْعِينيَّات منِ اندراج البُعد الوظيفيِّ والتّواصليِّ في صُلب اهتمامِ الدّرس اللّسانيِّ والفلسفيِّ، الأمرُ الذي أوجبَ إعادةَ النَّظر في تنميطِ النّظريّاتِ اللّسانيّةِ، وإن كنَّا نعِي أنّ التفاتَ النُّظّارِ إلى البُعد الوظيفيِّ للّغة قد حدث فيما قبْلُ، بل هو أمرٌ مُغرقٌ في القِدم ، إلا أنَ هناك فرقًا بين الشّذرات التي وصلتْنا، وبين التّأسيسِ النَّظريِّ لعلمٍ قائمِ الذّات، له حدودُه وضوابطُه.

ويمكنُ أن نميّزَ داخلَ المدارس اللّسانيّةِ المعاصرةِ بين اتّجاهَيْن كبيرَيْن:

1) **اتجاهُ نسقيٌّ تجريديٌّ (غيرُ وظيفيٍّ):** يربطُ اللّغة بالفكر، ولا يُعيرُ كبيرَ اهتمامٍ للجانب الوظيفيِّ أو التّواصليّ للّغة إلّا من حيث كفايتُها، النّحوُ التّوليديُّ مثلًا.

2) **اتّجاهُ وظيفيٌّ:** وهذا الاتّجاهُ يربط اللّغةَ بوظيفتِها الأَسَاسِ وهي وظيفةُ التّواصل، فيأخذُ بعين الاعتبار الخصائصَ والأبعادَ التّداوُليّةَ، وَالأَنْحاءَ الوَظِيفِيَّةُ.

1.1 اللّسانيّاتُ والبِنيةُ:

1.1.1. الإبدالُ البِنيويُّ

أُعيد النّظرُ في الآونة الأخيرةِ في مسألةِ ارتباطِ تطوّرِ البحث اللّسانيّ بالزّمن، حيث لُقّب القرنُ الثّامنَ عشر بقرن الفيلولوجيا، بينما خُصَّ القرنُ التاسعَ عشرَ بالبحوث التّاريخيّة المقارنَة للّغات، وتصنيفِها في عائلاتٍ لُغويّةٍ، لننتقل بعد ذلك

وإليك الجدولَ الثّاني، لتكتشفَ أهمَّ وجوه الائتلاف والاختلاف بين الاتّجاهَيْن :

أوجهُ التشابه	أوجهُ الاختلاف	
	الوظيفية	غيرُ الوظيفيّة
الموضوعُ: اللسانُ الطبيعيّ	اللغةُ وسيلةٌ للتواصل الاجتماعيّ فهي نسقٌ رمزيٌّ	اللغة نسقٌ مجرّدٌ، تعبّرُ عن الفكر
الهدفُ: استكشاف الخصائص العامة = نحو كلي للغات	البِنيةُ مرتبطةٌ بالتّواصل	يمكن وصفُ خصائصِ هذا النّسق دونما حاجةٍ إلى الوظيفة.
صياغةُ نموذجٍ صوريٍّ	القُدرةُ/ المتكلّم = تواصليّة	القدرةُ هي معرفةُ القواعد
	يتعلم الطفلُ العلاقاتِ القائمةَ بين الأغراض التواصلية.	تعلّمُ الطّفل المَبادئَ الفطريّةَ
أنحاءُ قدرةٍ لا إنجاز	يُفردون مستوى تداوليا ويحتلّ موقعًا مركزيًا.	هناك بعضُ النّظريات تضعُ قواعدَ للتّأويل التّداولي = دور تأويلي

إلى القرن العشرين الذي عُرفت فيه دراساتُ سوسير البِنيويّةُ التي سعت إلى تحديدِ منهجٍ علْميٍّ لدراسة اللّغة في ذاتها ولِذاتِها، فهذه السّردية المختزلةُ لم تعُدِ اليومَ مُقنعةً، إذ أنّها غضّتِ الطّرفَ عن أهمّ ما حصل خلال هذه القرون الثّلاثة منَ اهْتِمام الفلاسفة بالدّرس اللّسانيّ والأدبيّ.

لقد سعى المِنوالُ البِنيويُّ إلى دراسة اللّغةِ دراسةً محايثةً مغلقةً على ذاتها، تنكبُّ على دراسة المُتونِ اللّغويّةِ في انقطاعٍ عن سياقاتِها ومقاماتِ إنتاجها، ومنَ المعلوم أن قد كان لهذا التّوجّه امتدادُه إلى مجالاتٍ أدبيّةٍ وفكريّةٍ، بغيةَ تحقيقِ سِمةِ الصّرامةِ العلميّةِ، والتّجرّدِ منَ الأَحْكَام السَّابِقَةِ لإثباتِ الموضوعيّةِ التي يصعبُ تحقّقُها في ميدان الدّراساتِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّة ، ولأنّ البداياتِ غالبًا ما تتّسمُ بالدّهشة والتّفاؤلِ، فقد كانت آراءُ أوَائِلِ اللّسانيّين تنطبعُ بهذا الانطباع فيما يخصُّ دخولَ الدّرسِ اللّسانيِّ إلى الميدانِ الأكاديميِّ العربيِّ، ونسوقُ مثالًا على ذلك بالدّكتور تمام حسان رحمه الله، حين بيّن أنّ: «اللّغةَ باعتبارها مجموعةً منَ النُّظم الوضعيّةِ الاجتماعيةِ ذات أقسام منَ الأنماط وجدنا أنَّ منَ الممكن أن تستقلَّ بمنهجِها عن مناهجِ العلوم. ويأخذُ منهجُها في اعتباره الشّكلَ والوظيفةَ باعتبارهما أساسَيْن من أُسُس بنائِه يُطبّقان في كلّ فرعٍ من فروع الدّراسات اللّغويّة»، ويذكرُ في مكان آخرَ: «لقد جرفَ التّيّارُ الثّقافيُّ القرنَ التّاسعَ عشرَ طُلّابَ اللّغةِ فاسترشدُوا في دراسةِ اللّغة بجمْعٍ مِنَ الطُّرُق المنهجيّةِ غيرِ المتناسقة، فاعتقد بعضُهم أنَّ خيرَ طريق لمعرفةِ طبيعةِ اللّغة إنّما يوجدُ في علم النّفس، فلِكَي نَفْهَمَ الكَيْفِيَّةَ التي تُؤدي بها اللّغةُ عملَها يجبُ أن ندرسَ عقليةَ المُتكلم، واعتقد آخرون أنّ اللّغةَ ما دامت ظاهرةً اجتماعيّةً فلا يمكنُ أن تستقلَّ عن علم الاجتماع، فاللّغةُ سلوكٌ معيّنٌ ينمُو بمحاولة المرءِ أن يسدَّ مطالبَ المجتمع، وما كان هذا الاتّجاهُ من علماء اللّغةِ ليُنتجَ

دراسةً لُغويّةً مستقلّةً هدفُها اللّغةُ، ولا شيءَ سواها» .

وإذا أخذنا في الاعتبار ملاحظتَنا السّابقةَ عن قصورِ هاته السّرديّةِ التّاريخيّةِ، واختزاليتِها الهادفةِ إلى تخليصِ ما لا يمكنُ تخليصُه، استنتجْنا أنَّ مسألة اللّغة مسألةٌ أكثرُ تعقيدًا ممّا تبدو لعَيْنِ النّاظر، وأنَّ منَ المُحال مقاربتَها مقاربةً محايثةً تقومُ على الإقصاءِ لعناصرِ المقام الذي أُنتج فيه الكلامُ، بمعنى أنّه لا يستقيمُ تقسيمُ عناصرِ الدّرس اللّسانيِّ إلى صوتيّاتٍ وصرفيّاتٍ وتركيبيّاتٍ ودلاليّاتٍ فقط، بل لا بدَّ من إدراجِ أبعادٍ أخرى ترتبطُ بمُنْتِجِي الخِطَابِ، وإعادةِ الاعتبار إلى مَفْهُومِ القَصْدِ والمُؤلّف.

2.1 البُعدُ التّداوُلي والنَّحوُ الوظيفيُّ

تُعرّفُ التّداوُلياتُ على أنها الدّراساتُ التي تتناولُ اللّغةَ في علاقتِها بمُستعمليها، ذلك أنَّ الواصفَ التّداوليَّ إنّما يصفُ اللّسانَ وهو يمارسُ في حيّزِ الاستعمال، فلا يقتصرُ الوصفُ على مكوّناتِ اللّغة البِنيويّةِ، بل يتجاوزُ ذلك إلى ما يحيطُ بها من ظروفٍ وأحوالٍ ومقاماتٍ ومقتضياتٍ.

وقد نشأتِ التّداوُليّاتُ في سياقٍ اتّسمَ بالتّداخلِ بين عدّةِ حقولٍ معرفيّةٍ وفلسفيّةٍ أهمُّها فلسفةُ اللّغةِ وفلسفةُ العقلِ، واللّسانيّاتُ، وعلمُ النفسِ الإدراكيُّ، فأثيرت في فلسفة اللّغة قضايَا من قَبيل المعنى والإحالةِ، والألعابِ اللّغويّةِ، واللّغة الخاصّة، والمعنى والاستعمالِ، وأثيرت في علم النّفس قضايَا ترتبطُ بتعلّمِ اللّغة، ومن أُولَى النّماذج التي تُعدُّ مؤسّسةً لهذا المنحَى التّداوُليّ، نموذجُ أوستين، في مقاربتِه ومقارنتِه بين العبارات الوصفيّةِ في اللّغة والعباراتِ الإنجازيّةِ، وقد كان ذلك في سياقِ الرّدِّ على الوضعيّةِ المنطقيّةِ التي سعتْ إلى إصلاحِ اللّغةِ، عبْرَ ردِّها إلى منطقٍ صارم.

هنا يمكنُ التّمييزُ بين نمطَيْن من أنماطِ المقارباتِ اللّسانيّةِ التي تتناولُ المقامَ أو السّياقَ بعدِّه مكوّنًا أساسًا في استكشاف الدّلالة:

1) نمطٌ يُدمجُ البعدَ المقاميّ في إطار الإنجازِ
2) نمطٌ آخر يُدمجُه في إطار القُدرة

من هنا يمكنُ الميزُ بين النّحو الوظيفيِّ وغيرِه منَ المقاربات اللِّسانيّةِ التّداوُليّةِ التي تعملُ على الوصفِ الرّابطِ بين اللّغات ومُتكلّمِيها، وهذا ما يفسّرُ السّمةَ التّجريديّةَ التي وسمتِ النّحوَ الوظيفيَّ، ذلك أنّه يعملُ على ملاحظةِ الأبعادِ التّداوُليّةِ للّغة في بنياتِها التّجريديّةِ على مستوى القُدرة لا التّحقّقِ الفعليِّ.

ويمكنُ استخلاصُ المبادئِ المنهجيّةِ الأساسيّةِ المعتمدةِ في النّحو الوظيفيِّ، في:

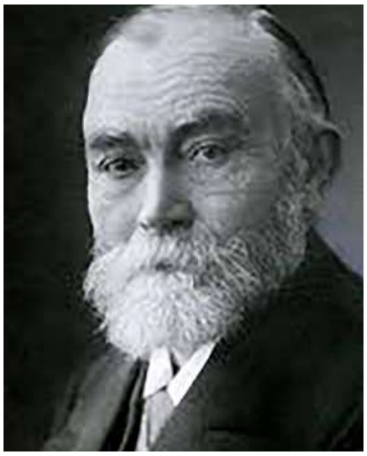
1. وظيفة اللّغاتِ الطّبيعيّة الأساسيّة هي وظيفة التّواصُل.
2. موضوع الدّرس اللّسانيِّ هو وصفُ القُدرة التّواصُليّةِ communicative competence للمتكلّم والمخاطَب.
3. النّحو الوظيفيّ نظريَّة للتّركيب والدّلالة منظورًا إليها من وجهةِ نظرٍ تداوُليّةٍ.
4. يجبُ أن يسعى الوصفُ اللّغويُّ الطّامحُ إلى الكفايةِ إلى تحقيقِ ثلاثةِ أنواعٍ منَ الكفاية:
   1. الكفايةُ النّفسيّةُ psychological adequacy
   2. الكفايةُ التّداوُليّةُ pragmatic adequacy
   3. الكفايةُ النَّمطيّةُ typological adequacy

ثانيًا: المقاربةُ الوظيفيّةُ للّغة:

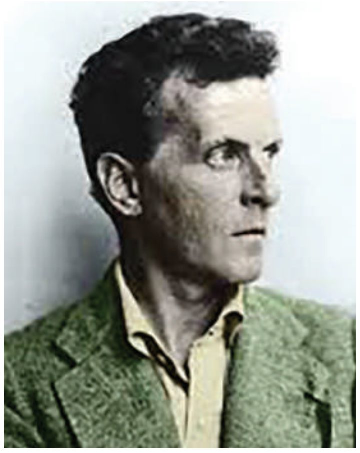
تنطلقُ هذه المقاربةُ من مبدأ أساسٍ هو أنَّ اللّغة تُؤدّي وظائفَ عدّةً تؤولُ في مُجملِها إلى وظيفةٍ واحدةٍ هي الوظيفةُ التواصليّةُ، وإذا كان الأمرُ على هذه الحالِ، أمكنَ بيُسرٍ أن نميّزَ بين هذه المقاربةِ وغيرِها، فغايةُ هذه المقاربة رصدُ ما يمكّنُ الإنسانَ من إنجاحِ التّواصلِ، والعواملِ المساعدةِ له في ذلك بما يقتضِيه ذلك من استحضارِ عناصرَ غيرِ لُغويّةٍ، كالسّياقِ سواءٌ معناه الواسعُ ، أي السّياقُ الخارجيُّ، أو بمعناه الضّيّقِ أي تعالُقُ الجمل وتضامُّها.

والحقيقةُ أنّ «الفكر اللّغويَّ التّراثيَّ في عمقِه فكرٌ وظيفيٌّ من حيث مفاهيمُه ومنهجُه وقضايَاه" ، إذِ التّقعيدُ للّغةِ إنّما كان ناشئًا عنِ الاستعمال، وكان جامعُو اللّغةِ أحرصَ ما يكونون على ضبطِ السّياقاتِ ومقاماتِ المتخاطِبين وأحوالِهم، إذ كان منَ المسلَّم به أنّ "العربَ تكلّموا، والنّحويّين حكمُوا».

غيرَ أنّ التأطيرَ النّظريَّ اليومَ مختلفٌ عمّا أطّرَه القدماءُ نظريًّا، فـ«التّقابلُ بين مفهومَي «الصّوريّةِ» و«الوظيفيّةِ»



غوتلوب فريجة



لودفيع فيتجنشتين



جون أوستن

ليس مقصورًا على النّظريّات اللّسانيّةِ الحديثةِ، وإن كان له في هذه النّظرياتِ منَ الوضعِ المنهجيِّ ومن وضوحِه ما ليس له في الدّرسِ اللّغويِّ القديم» . وبحسبِ المقاربَة الوظيفيّةِ «اللّغةُ أداةٌ تُسخّرُ لتحقيقِ التّواصُلِ داخلَ المجتمعاتِ البشريّة، من هذا المنظورِ تُعدّ العباراتُ اللّغويّةُ مفرداتٍ كانت أم جُملًا، وسائلَ تُستخدمُ لتأديةِ أغراضٍ تواصليّةٍ معيّنةٍ وتقاربُ خصائصَها البِنيويّةَ على هذا الأساس» .

وعمومًا، يمكنُ أن نشيرَ باقتضابٍ إلى أهمّ المقتضياتِ التي أفادنا المنحَى التّداوُليُّ/التّواصُليُّ للّغة، باختلاف النّزعاتِ والتّصوّراتِ والمذاهبِ التي تبنّت هذه المبادئَ، إذ في مجموعِها تؤولُ إلى أنَّ اللّغة تُؤدّي وظيفةً، وأهمُّ وظائفِها هي وظيفةُ التّواصُل ، وتتمثّلُ في:

* حضور مبدأ القصْدِ، والقصدُ يرتبطُ أساسًا بالمتكلّم.
* التّخاطب لا يقتصرُ على التّشفير وحلّه، بل هو عمليةٌ أعقدُ تتداخلُ فيها عناصرُ لُغويّةٌ وأخرى غيرُ لُغويّةٍ.
* نجاح التّواصلِ رهينٌ بتعاوُنِ المتخاطِبين، ويقومُ على التّعاون على مبادئَ.
* الافتراضات السَّابقة أَساسيّة لنجاح التّواصُلِ.
* يتّسعُ السّياقُ ليشملَ المعارفَ المشتركةَ.

إنّ السّياقَ المقاميَّ كما تلاحظُ أمرٌ أساسٌ في المقارَبَةِ التّواصُليّةِ/التّداوُليّةِ للّغة، و«السّياقُ المقاميّ هو مجموعةُ المعارفِ والمداركِ التي تتوافرُ في موقفٍ تواصُليٍّ معيّنٍ لدى

(1) (gearge yale ; Pragmatics ; oxford university press; first published; 1996. P: 04.

(2) أشير على سبيل المثال إلى ما ذكره تمام حسان في "مناهج البحث في اللغة" [1986] قائلا: "وتبدو الحاجة ملحة في أيامنا هاته إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته وتجاربه إرضاء للروح العلمية الخالصة من جهة، وتوفيرا لجهود عشاق اللغة من جهة أخرى. فقارئ اللغة العربية في الوقت الحاضر يجد نفسه أمام أمشاج من الأفكار غير المتناسبة، يأتي بعضها من المنطق، وبعضها الآخر من الميتافيزيقا، وبعض ثالث من الأساطير، ورابع من الدين، وهلم جرا. ومن هنا كانت الرغبة ملحة إلى تخليص منهج اللغة من هذه العدوى، حتى يسلم لقارئ اللغة نص في اللغة وللغة فحسب" تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص: 13.

(3)يكفي أن نشير إلى أن أساس التقعيد اللغوي العربي كان مبنيا على الاستعمال بادئ الأمر، ثم انتهى إلى اعتماد القياس في مرحلة لاحقة حين اتصلت الثقافة العربية الإسلامية بآثار اليونان.

(4) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، لبنان، ص:

(5) نشير في هذا السياق إلى غادامير ـ على وعينا بميدان اشتغاله الفلسفي ـ في تناوله لمسألة الأحكام السّابقة، مميزا بين المشروع منها وغير المشروع، في إطار نقد المبدأ التنويري القائم على الرفض المطلق لهذه الأحكام، يقول غادامير: "إن تقسيم الأحكام المسبقة إلى أحكام ناشئة عن السلطة، وأحكام

كلٍّ منَ المتكلّم والمخاطَب» ، ومن هذه المعارف: المعارفُ الآنيَّةُ، التي توجدُ في موقفِ التّواصل ذاتِه، مثلِ الإشارةِ إلى ذواتٍ حاضرةٍ: ـــ ناولْني ذلك من فضلك، والمعارف العامّةُ: «ما يُشَكِّلُ مخزونَ المتخاطبين المعرفيَّ الذّهنيَّ حينَ التّخاطُبِ، ويشملُ هذا المخزونُ كلَّ ما يعرفُه كلٌّ منَ المتكلّم والمخاطَبِ عن عالَم الواقعِ وعن عوالِمَ ممكنةٍ أخرى»

خاتمة

انطلاقًا ممّا سبق، يمكنُ أن نخلُصَ إلى الاستنتاجات الآتية:

* تكتسي اللّغةُ أهميّةً بارزةً في الدّراساتِ المعاصرةِ، إذ أصبحت أهمَّ عنصرٍ يَشغلُ بَالَ تَخَصُّصَاتٍ معرفيّةٍ متعدّدةٍ، مثلَ الفلسفةِ وعلومِ الإدراك، والعلومِ العصبيّةِ، واللّسانيّاتِ، والعلومِ الاجتماعيّةِ وغيرِها.
* تختلفُ الدّراساتُ اللّسانيّةُ في نظرتها إلى اللّغة بين مَن يستحضرُ وظيفةَ التّواصل، ومن يُغيّبُ هذه الوظيفةَ.
* تقومُ الاتّجاهاتُ غيرُ الوظيفيّةِ على أساسِ أنّ اللّغة نسقٌ مجرّدٌ مغلقٌ، يعبّرُ عنِ الفكر، بينما تنظرُ إليها المقارَباتُ الوظيفيّةُ على أنّها وسيلةٌ للتّواصُل، فهي تقوم على نَسَقٍ رمْزِيٍّ.
* لا يقتصرُ نجاحُ التّواصُل على اللّغةِ فقط، بل يتجاوزُه إلى ما يحيطُ بالمتخاطِبين منَ العناصر المقاميّة.

لائحةُ المصادرِ والمراجع:

1. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، لبنان، الطبعة الثانية، سبتمبر 2010.
3. غادامير: الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن كاظم، دار أويا، طرابلس ـ ليبيا، الطبعة الأولى، 2007.
4. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، البيضاء، الطبعة الأولى، 1986.
5.المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان ـ الرباط، الطبعة الأولى، 2006.
6. عبد السلام عشير، تطور التفكر اللغوي، من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2020.
7. gearge yale ; Pragmatics ; oxford university press; first published; 1996. P: 04.

ناشئة عن التسرع، تقسيم يستند بوضوح إلى الافتراض الأساسي لعصر التنوير، وأعني به افتراض أن استخدام العقل استخداما منهجيا مضبوطا يمكن أن يدرأ عنا كل غوائل الخطأ. وكانت هذه فكرة المنهج لدى ديكارت" ثم يضيف في مكان آخر «إن علاقتنا العادية بالماضي لا تتميز بابتعادنا عن التراث، وتحررنا منه، بل إننا بالأحرى متموقعون ضمن التراث، وتموقعنا هذا ليس تموقعا بإزاء موضوع، فنحن لا نتصور التراث شيئا آخر، أو شيئا غريبا عنا، فالتراث دائما جزء منا، كنموذج أو كمثال أو كنوع من الإشارة المميزة التي تفيد أنه من الصعب لحكمنا التاريخي الأخير أن يعتبر نوعا من المعرفة، بل هو صلة روحية حميمية بالتراث» [الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن كاظم، ... ص: 388]

(6) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، البيضاء، الطبعة الأولى، 1986. ص: 37.

(7) المصدر السابق نفسه،ص: 36.

(8) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ص: 15.

(9)المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 19

(10) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 20.

(11) لم يغب عن وعينا أن هناك اتجاها آخر يربط ـ وإن بشكل آخر ـ بين اللغة والوظيفة، إلا أنه لا يربط الوظيفة بالتواصل بل بالتمثل والإدراك كما في الاتجاه المعرفي، أو بالتأويل خصوصا في منحاه الوجودي كما هو عند التأويلية الفلسفية.

(12) المنحى الوظيفي، .... ص: 23.

(13) المرجع السابق نفسه، ص: 23.

اللُّغَةُ المُحَلِّقَةُ مِنَ أَفْضِيَةِ المَكَانِ إِلَى حِقَبِ الزَّمَانِ



د. محمّد حرّاث
أستاذ اللّغويّات بجامعة الشّلف

(مقدّمة)

لا بدَّ منها؛ كان العربيُّ يُقيمُ للسانِه منَ الاهتمام، ما يُقيمُهُ لعِرضه ونفسه، وإنّ القُحَّ منَ العربِ لأَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ أهونُ عليه من أن يَلْحَنَ في كلامه، أو يُفْطَنَ إلى لَحْنِه، وكان الحجّاجُ يَنفي من يقولُ له: إنّكَ لحنْتَ، أو من يَلْحَنُ بحضْرَتِه، حتّى صارَ الواحدُ منهم إذا شاءَ التّخلّصَ منَ الحجّاجِ لَحَنَ بمسمَعِه، فنجا نفيًا من جبروتِه وسيفِه.

إنّها لغةٌ متأنّقةٌ جميلةٌ، لا ترضى بغيرِ الحُسنِ والبهاءِ لها مظهرًا، تميلُ إلى الخفّةِ، تأنسُ بالذّوقِ الرّائقِ، وتطلبُ المعنى الفائقَ، وتسمُو إلى التّصويرِ السّامقِ، لا تجدُ في فصاحتِها وبلاغتِها ما تمجُّه الأسماعُ، ولا ما تأنفُ منه الطّباعُ، ولا ما يستثقلُه اليراعُ، وُلِدتْ منَ البيداءِ صابرةً طبيعيّةً صافيَةً، لغةَ فِطْرةٍ لا تطبُّعَ فيها ولا تكلّف، إنّها عريقةٌ عراقةَ تاريخِ الإنسان، تستعصي على المُستقصي، وتُرهقُ المتغوّرَ في أعماقها، إنّها لغةٌ تجرُّ أذيالَ الحضارةِ خلْفَها، وترفلُ في إيوانِ التّاريخ مَزهوّةً بأصالةٍ وحسَبٍ لا تنافسُها في شأوِه خدينةٌ ولا نديمةٌ.

2 - تاريخٌ لا كالتّاريخ: قبْلَ قرونٍ سبعةٍ منَ الإسلام، ومن رَحِم اللّغات السّامية، وُلِدتِ العربيّةُ، وترعرعت في نجدٍ والحِجازِ واليمنِ، بين العدنانيّين والقحطانيين، زها بها أهلُها، ونافحُوا عنها، وتوشّحُوا بها، إنّ العربَ وحدَهم دون الأمم الأخرى، جعلوا لُغتَهم زينةً يتزيّنون بها، ويُفاخرون بها، كيف لا وهم أمّةُ البيانِ، كذا لقّبهم الرّائحُ والغادي، كيف لا ومعجزةُ سيّدِ النّاس محمّد، عليه صلوات الله تترى، هي القرآنُ، تحدّاهم بعد أن كانوا أساطينَ البيان وزعماءَ الكلام. إنّ العربيّة دون كلِّ اللّغات، كانت زينةً يُتزيّنُ بها، فحُقَّ لها الفخارُ.

إنّ الاحتفاءَ بها بدأ من قبائلِ العربِ الأُولى قبل الإسلام، كان إذا نبغَ في القبيلة شاعرٌ، أقاموا لياليَ وأيامًا يحتفُون بشاعرِهم، ويقيمون الولائمَ، ويدعون لها القبائلَ ووجهاءَها، ذلك أنّ الشّاعرَ هو المنافحُ الأوّلُ عنِ القبيلة وعِرضِها، وهو النّاقلُ الأفصحُ لمفاخرِها وأمجادِها، وبطولاتِها، وهو السّجلُّ التّاريخيُّ الذي يحفظُ مآثرَها للأجيال القادمةِ، ويمتدّ هذا الاحتفاءُ بالعربيّةِ إلى أسواق الكلام التي كانتِ العربُ، دون غيرِها منَ الأمم، تُقيمُها للمبارزةِ الشّعريّةِ خاصّةً، والمفاضلةِ بين الشّعراء، فكان السّوقُ لا ينفضُّ إلا عن أجودِ النّصوصِ وأبلغِها، ولو لم يكن للعربيّةِ وللكلمةِ قدرُها الجليلُ بين قومها، لمَا أنفق فيها الخلفاءُ والأمراءُ والملوكُ أكياسَ الدّنانير الذّهبيّةِ على الشّعراءِ والقصائدِ، بل وربّما تُنفقُ الإبلُ على بيتٍ من الشّعر واحدٍ، وتراكمت هذه المواقفُ حتى وصل إلينا تراثٌ



يصعبُ حدُّه وتسويرُه.

كانتِ العربيّةُ لُغةَ فطرةٍ، فلم يكنِ الشّاعرُ في الجاهليّة يزِنُ شعرَه، وإنّما كان يعتمدُ في ذلك على سليقتِه وذوقِه، وكان العربيُّ قبل الإسلام يعتمدُ على الحفظِ والذّاكرة، ولم تكنِ الكتابةُ شائعةً وقتَذاك، وإنّما اقتصرتِ الكتابةُ على العقود والصّكوكِ لا غيرَ، فكانت عقليّةُ العربيِّ عقليّةً شفويّةً، وبمجيء الإسلام، ترسّمتِ العربيّةُ، وصارت شعارًا للإسلام، إذ أصبحتِ المنفذَ الأوّلَ إلى فهْمِ القرآن العظيم، الذي تنبثقُ منه تعاليمُ الإسلام، وأكّدَ القرآن نفسُه ذلك في إحدى عَشْرَةَ آيَةً على أنّه نزل بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، ثمّ ظهرتِ الحاجةُ إلى الكتابةِ والتّدوينِ بعد اتّساعِ رُقعةِ الإسلام، واختلاطِ العرب بالأعاجم، بل إنّه قيل: ما إنْ نزل الوحيُ على رسول الله، صلّى اللّه عليه وسلّم، إلا اجتمع حوله أربعون كاتبًا متفرّغًا لكتابة الوحيِ فقط، وستّون كاتبًا غيرَ متفرّغ، ما إن تَنَزَّلُ آيَةٌ أو سورةٌ حتّى يأمرهم أن يكتبوها في موضعها، فجمعوا بين حفظِه في الصّدور والسّطور.

ونزل جُمّاع اللّغة إلى البوادي البعيدةِ عنِ الأعاجم، يجمعون اللّغةَ التي بقيت محافظةً على سليقتِها وفطرتِها ونقائِها، يَمتحون من مَعين الأعراب الصّافي، ويهرقون فيها محابرَهم، ويسوّدون لأجلها رقاعَهم، وضربوا في ذلك أكبادَ الإبل، وواصلوا اللّيلَ بالنّهار، فصنعوا المَعاجمَ، ودوّنوا الأشعارَ، ورووا الأخبارَ، وحلّقوا الحِلقَ في المساجد، فتشهدُ لهم كلُّ سارية بالمسجد عن شيخٍ ما، في فنٍّ ما، يقول فيتلقّفُ المريدون بقلوبٍ خاشعةٍ، وصدورٍ واعيةٍ.

إنّ أكبرَ نقلةٍ عاشتْها العربيّةُ هي نزولُ القرآنِ العظيم بلسانِها، إنّها حادثةٌ نقلتْها منَ المحلّيّةِ إلى العالَميّةِ، ومنَ المحدوديّةِ إلى الانتشارِ اللّامحدود، ومنَ الاختياريّةِ إلى الضّروريّةِ، ومن الوسيلةِ إلى القداسةِ، لقد كان القرآنُ الكريم هو السَّبَبَ الأَوَّلَ وَالأَكْبَرَ في جعْلِ اللّغةِ العربيّةِ عالَميّةً، تدخلُ القصورَ والدُّورَ، والبواديَ والحواضرَ، والشّرقَ والغربَ، والعربَ والعجمَ، ترافقُ الإسلامَ أينما حلَّ وارتحلَ، إنّها اللّغةُ الكونيّةُ.

3 - **العربيّةُ الفِطْرَةُ:** قال الأوّلون: اللّغةُ كائنٌ حيٌّ، ينمُو ويتطوّرُ ويعيشُ ويموتُ، شأنُها شأنُ الكائنات الحيّةِ، وهذا

ما يجعلُها أقربَ إلى قلب الإنسان، فهي تشبهُه في الكثير من خصائصِه، واللّغةُ رفيقةُ الإنسان التي لا تفارقُه طَوال حياتِه، واللّغةُ هي مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الوَلِيدُ كَمَا يَحْتَاجُ إلى الغِذَاءِ .

ففي بحثٍ قدّمه البروفيسور عمر بورنان يذكر فيها أنّ العربيّةَ هي لغةُ الفطرةِ، قارن بين اللّغةِ والكائنِ الحيِّ، فاللّغةُ تمتازُ بالحرّيّة مثلِ الكائنِ الحيِّ، الذي يميلُ إلى الحريّة وينشدُها، وكذا التَّضْحِيَةُ، والشّجاعةُ، والاقتصادُ، والاستعارةُ، والتّأثُّرُ بالمجاورة، والاقتراضُ، والحياءُ، والتّسامحُ، وقد أجاد الباحثُ في مقاله، وسنحاول اختصارَ ما جادت به قريحتُه في بحثه لنعرفَ مواضعَ الفطرةِ الإنسانيّةِ في لُغتنا الجميلةِ.

فأمّا الحريّةُ فإنّ نظامَ اللّغةِ العربيّةِ يسمحُ للكلماتِ بالحريّةِ داخلَه، اعتمادًا على حركةِ الإعراب، وكذلك الجملةُ على غرار الكلمةِ، هي حرّةٌ داخلَ الشّكلِ النّصّيّ، فحرّيّةُ الكلمةِ تعتمدُ على الحركةِ الإعرابيّةِ تقديمًا وتأخيرًا، بل حذفًا وذكرًا، وَصْلًا وعطفًا، وحرّيّةُ الجملةِ تكمنُ في تغيير التّراكيبِ مع المحافظةِ على المعنى والقصدِ الدّلاليِّ العامّ، فأوجهُ التّعبير وأساليبُه متعدّدةٌ ومتنوّعةٌ في العربيّة.

فالإعرابُ الذي بقيتِ العربيّةُ محافظةً عليه، دون اللّغاتِ السّاميّةِ الأخرى، أعطَى للمتكلّمِ الحرّيّةَ في التّعبير عن أغراضه ومعانِيه، والعربيُّ دون غيره منَ المتكلّمين، يملكُ سَعةً عجيبةً واسعةً في التّعبير، "فوافق نظامُ اللّغةِ العربيّةِ الفطرةَ الإنسانيّةَ السّليمةَ في اتّصافه بالحرّيّة التي فاتت الكثيرَ منَ اللّغات، ولا بدّ من أنَّ تلكَ السّمةَ قد وافقتْ ميلَ العربيِّ إلى الحرّيّة والعِزّةِ».

كذلك من سماتِ الكائنِ الحيِّ التّضحيةُ، فالفطرةُ الإنسانيّةُ تُوجبُ تضحيةَ الأفرادِ من أجل سلامةِ الجماعة، والتّضحيةِ بعضوٍ من أجلِ سلامة الجسمِ كاملا، فقد تُحذَفُ بعضُ القرائنِ اللّغويّةِ من أجل المحافظةِ على النّسق العامّ للجملة أو العبارة، نحوَ قوله تعالى: {إِنَّ هذانِ لَساحِرانِ} [طه:63]، فلمّا أُمِنَ اللّبسُ في الآية، أَهْدِرَت القرينةُ من أجل تحقيقِ التّناسبِ الصّوتيِّ.

وكذلك الشّجاعةُ فإنّها من سمات الكائنِ الحيِّ وفطرته، واللّغةُ العربيّةُ بامتلاكها القرائنَ اللفظيَّةَ والمعنويَّةَ والإعرابَ ووسائلَ



التّوضيح المختلفةَ فإنّها تمكّنُ المتكلّمَ من قدرةِ التّصرّفِ في كلماتِها وجُملِها، وذلك ما سمّاه ابنُ جنّي: شجاعةُ العربيّةِ، فترى العربيَّ يحذف الكلامَ والكلماتِ، ويُعبّرُ عنِ المعنى بضدّه ولا يخشى اللّبسَ والإبهام.

والاقتصادُ صفةٌ مشتركةٌ بين الفطرةِ الإنسانيّةِ السّليمةِ واللّغةِ العربيّةِ، فالاقتصادُ في الإنفاق وفي كلِّ شيءٍ أمرٌ محمودٌ مطلوبٌ، وهذا ما تحقّق في نظامِ اللّغةِ العربيّةِ؛ إذ تُعبّرُ عنِ المعاني الكثيرة بالألفاظِ القليلةِ، وذلك من جوهرِ اللّغةِ، أو ما يُسمّى بالبلاغةِ، فالعربيّةُ البليغةُ تنشُدُ الاختصارَ والإيجازَ.

والاستعارة صفةٌ في الإنسان وهو مجبولٌ على الإعارةِ والاستعارةِ، لأنّه يَحْتَاجُ إِلى غَيْرِهِ، والاستعارةُ إحدى مُقوّمات اللّغةِ العربيّةِ؛ إذْ نجدُ ألفاظَها تستعيرُ من بعضِها بعضًا، وفي البلاغةِ بابٌ لذلك: بابُ الاستعارة. والاستعارةُ بين ألفاظِ العربيّةِ تُشكّلُ في إبداعِها مجتمعًا منظّمًا تنظيمًا دقيقًا.

ومنَ الصّفات التي تشتركُ فيها العربيّةُ مع الفطرةِ الإنسانيّةِ صفةُ التّأثّر بالمجاوَرة، وهي صفةٌ شائعةٌ في المجتمعاتِ الإنسانيّة، ولا يُنكرُ أحدٌ أنَّ الإنسان يتأثّرُ بالصّاحبِ والصّديقِ والنّديم، وكذلك كلماتُ اللّغةِ العربيّة، إذا تجاورت أثّر بعضُها في بعض، وما (جحرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) عنّا ببعيد.

والاقتراضُ في اللّغةِ العربيّةِ كالاقتراضِ في المجتمع الإنسانيِّ، الذي يستوردُ منَ المجتمعات الأخرى ما لا يملكُه





في مجتمعه، فاللّغةُ تستوردُ وتقترضُ مِنَ اللّغاتِ الأجنبيّةِ ما تحتاجُ إليهِ من كلماتٍ لِتَغْطِيَةِ بعضِ المعاني الجديدةِ الوافدةِ إلى المجتمع العربيِّ.

ومن صفات الفطرةِ السّليمةِ كذلك الحياءُ، فإنّ الفطرةَ تُجبلُ الإنسانَ وتدفعُه أن يستحيَ من أمورٍ تخدُشُ نصاعةَ حياتِه وعفّتِه، فكذلك اللّغةُ العربيّةُ تنفرُ بالكلماتِ وتنوءُ بها عنِ الألفاظ الفاحشةِ السّوقيّةِ البذيئةِ المبتذلةِ، وَتَسْتَبْدِلُ التَّلْمِيحَ بِالتَّصْرِيحِ إذا احتاج المتكلّمُ إلى التّعبيرِ عن موضوعٍ فيه حياءٌ، وهذا دورُ الكنايةِ في البلاغةِ العربيّةِ.

وآخرُ هذه الصّفاتِ الفطريّةِ في اللّغةِ العربيّةِ هي صفةُ التّسامح، فإنّ العربيّةَ تتسامحُ في أحيانٍ وحالاتٍ معيّنةٍ لنُبْل الغايةِ، فها هي مِطواعةٌ متسامحةٌ في يد الشّاعرِ، إذْ أتاحت له الضّروراتِ الشّعريّةَ، من أجلِ المحافظةِ على وزن القصيدةِ وقافيتها وإيقاعِها.

4 - **العربيّةُ الهويّةُ:** لم تكنِ العربيّةُ يومًا مجرّدَ وسيلةِ تواصُلٍ، فليست لُغةً فقط، وإنّما هي مُقوِّمٌ من مقوّماتِ الهويّةِ الإنسانيّةِ، ولا يستطيعُ الإنسانُ أن يتَخلّى عن هُويّتِه، ففاقدُ الهويّةِ كفاقدِ حياتَهُ، لذا فالعربيّةُ بالنّسبة للعربيِّ هويّةٌ يعيشُ لأجلها، ويدافعُ عنها بروحِه وكلِّ ما يملك، كما يدافعُ تمامًا عن عِرضه وأرضِه، وماله وأهله.

ولأنّ العربيّةَ لغةٌ موحَّدَةٌ وموحِّدَةٌ؛ فإنّها واجهت لهذا السّبب تحدّياتٍ كثيرةً، من قِبَلِ الغزو الثّقافيِّ، والعولمةِ المعاصرة، والحداثةِ، وغيرِها مِنَ مِنَ الحُجَجِ الوَاهِيَةِ التي يتحجّج بها الآخَرُ لِوُلُوجِ ثقافتنا العربيّةِ، والنَّخْرِ في عظامِ هُويّتنا، فإنّ المتكلّمين بالعربيّةِ تُشعرُهم هذه اللّغةُ بالانتماء المشترك، والهمِّ الواحدِ بين جميع المُتلاغين العرب.

من أجل ذلك، كانتِ اللّغةُ العربيّةُ أحد الأهدافِ الأُولَى التي عمل الاحتلالُ الأجنبيُّ على محاربتِها منذ أن وطئت أقدامُه الأراضيَ العربيّةَ، إنّه يفعلُ ذلك؛ لأنّه يعلمُ جيّدًا أهمّيّةَ اللّغةِ في النّهوضِ الحضاريِّ، وقبْلَ ذلك دورَها في الوحدةِ القوميّةِ، وارتباطَها أيضًا بالدّين الإسلاميِّ، وهو ما يحاربُه على جميع الأصعدة، وهذا ما فعله الاحتلالُ الفرنسيُّ على الأراضي الجزائريّةِ، على سبيل التّمثيلِ، إذ عملَ على هدم جميعِ مقوّماتِ الهويّةِ الجزائريّةِ، بما في ذلك اللّغةُ العربيّةُ، فجعلها أجنبيّةً في أرضِها، وفرضَ الفرنسيّةَ ونشرَها، ودعّمَ العامّياتِ واللّهجاتِ، ثمّ عمل في آخر سنوات وجوده، بعد أن تيقّن من عدم انتصاره على اللّغة العربيّة، على بثّ النّعراتِ والفتن في الوسطِ اللُّغويِّ بين الجزائريين، وخاصّةً بين العربيّةِ والأمازيغيّة، لذا وجبَ التّنبيهُ إلى أهمّيّةِ اللّغةِ العربيّةِ بالنّسبةِ للعربيِّ.

5 - **العربيّةُ الجميلةُ:** إنّ العربيّة لم تكن قطُّ أداةَ تواصلٍ فقط عندَ العربيِّ القديم، كما هو شأنُ اللّغاتِ الأخرى، لقد كانتِ العربيّةُ من مفاخرِ العرب، يفتخرُ العربيُّ

بفصاحتِه ولسانِه، وتُقامُ له الاحتفالاتُ الكبرى حين ينبغُ شاعرٌ في قبيلته؛ لأنّه سيكونُ لسانَ حالِهم ومدافعًا يذودُ عنهم، ومخلِّدًا لمآثرهم، وَذِكْرًا لَهُمْ بين الأمم الأخرى، لذا اتّسمت العربيّةُ بالجماليّةِ، التي بانت وبرزت فيما بعدُ في أشعارِهم وخُطَبِهم واحتوتِ البلاغةُ ذلك في أبوابٍ كثيرةٍ.

إنّ مناهجَ تعليم اللّغةِ العربيّةِ اليومَ، وطرائقَ تقديمِنا للغتِنا واستعمالاتِنا لها لا تخدمُ البتّةَ هذا الهدفَ، ولا تستجلي أبدًا مواطنَ الجمال فيها ومفاتنَها البرّاقةَ التي سحرتْ بها مِن قَبْلُ القاصيَ والدّانيَ، والعدوَّ والصّديقَ، وقد غاب يا للأسف التّذوّقُ الجماليُّ للّغةِ العربيّةِ عند أهلها وَالمُخْتَصِّينَ بِهَا، فاكتفى المتكلّمُ بها بما يقيمُ به أودَ المعنى، فترى الكلامَ جافًّا خاليًا من كلّ روحٍ وجمالٍ، فليت شعري، إذا لم تزهُ العربيّةُ على ألسنتنا نحن أبناءَها عامّةً، والمختصّين بها والعاملين فيها وعليها، خاصّةً، فلمن نَكِلُها، ومن يزهو بها؟

فلو خصّصنا الحديثَ عنِ الأخطاءِ الشّائعةِ في لُغتِنا اليوميّةِ، على سبيلِ التّمثيلِ لا الحصْرِ، لوجدنا المتكاسلين يتغنّون بقولهم: خطأٌ شائعٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ، ولو علم هؤلاء مناطَ التّكليف من لُغتِهم، واستوضحُوا مفاتنَ الجمال فيها، وتذوّقوا واستطعموا أسرارَها ما حادُوا وما مادُوا عن جادّة التّصويبِ والتّحبيبِ.

6 - **هل تحتاجُ الضّادُ إلى أعيادٍ؟** سبق الذّكرُ بأنّ اللّغةَ لم تعدْ وسيلةً للتّواصُل فقط، بل أصبحت عنوانًا للهويّةِ، ومُقوّمًا من مقوّماتِ الحضارةِ، بما تمتازُ به من حمولةٍ ثقافيّةٍ تعبّرُ عن واقعِ المجتمعِ النّاطقِ بها وتاريخِه، لهذا فاللّغةُ العربيّةُ امتازت عن غيرها ـ كما ذكر ذلك الدّكتور صالح بلعيد ـ بأنْ خُصِّصَ لها ثلاثةُ أيامٍ قارّةٍ في العام، وليس هذا لغيرها منّ اللّغات في العالَم: 21 فبراير يومًا للّغة الأمّ، ولُغتنا الأم هي العربيّةُ، ثم غرّةُ مارس: 1 مارس، يومًا عربيًّا لُلغة الضّاد، ثم أخيرا: 18 ديسمبر يومًا عالميًّا للّغة العربيّة، يحتفي بها العالَمُ، عربًا كانوا أو غيرَ عربٍ، فنتساءل: لماذا الاحتفالُ باليوم العالَميّ للّغة العربيّةِ والاحتفاءُ بها؟

تُوضعُ هذه الأيامُ للتّذكير بأهمّية الموضوعِ المُحتفَى



به، من باب: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ}، فالنّاس يلتفتون في هذا اليوم إلى لُغتهم، ويتحفّزُ المشتغلون بها إلى الجدّ في العمل، وينفضُ الغافلون الغبارَ عن أنفسهم ليقوموا بواجبهم تجاهَ لُغتهم وقومِهم وتاريخِهم.

إنّ واقعَ العربيّةِ اليومَ يدعو فعلًا وضرورةً وعاجلًا إلى التّدخّلِ السّريعِ والفعّالِ، السّريعُ فلا وقتَ للتّراخي أو التّأجيلِ والتّسويفِ، والفعّالُ فلا داعيَ للأقوالِ والشّعاراتِ الرّنّانةِ والدّعواتِ الفضفاضةِ إلى خدمةِ اللّغة، وإنّما العربيّةُ تقوَى بقوّةِ أهلِها وتحيا بحياتِهم، والعكسُ صحيحٌ.

إنّ اللّغةَ العربيّةَ بالنّسبة للعربيِّ ليست لغةً فقط، وإنّما هي هويّةٌ وانتماءٌ، وأكبرُ عاملٍ يخدُم العربيّةَ اليومَ هو اعتزازُ العربيِّ وافتخارُه بعروبتِه ولغتِه، فالعربيّةُ اليومَ هي اللّغةُ الحيّةُ الوحيدةُ التي تعيشُ القرنَ الرّابعَ عشرَ لها، والعربيُّ هو الشّخصُ الوحيدُ الآنَ الذي يستطيعُ أن يقرأَ نصًّا كُتب منذُ خمسةَ عشرَ قرنًا ويفهمُه.

كلُّ اللّغات إذا تطوّرت تغيّرت، إلّا العربيّةُ، كلّما تطوّرت اتّسعت وصارتْ أكثرَ غنًى، فلم تكتفِ العربيّةُ بثراء كلماتِها

شكلًا، وإنّما مسّ ثراؤُها المعنى والخيالَ والأفكارَ، فهي لغةٌ اشتقاقيّةٌ مِطواعٌ في يد كلِ مُتغيرات العصرِ ومُستجدّاته، تستوعبُ العلومَ ومصطلحاتِها ومفاهيمَها جميعًا، في المقابلِ نجدُ لُغاتٍ تحتلُّ الرّيادةَ في الاهتمام لا تبلغُ في جوهرِها عُشْرَ ما تبلغُه اللّغةُ العربيّةُ، فلو جمعنا كلَّ كلماتِ اللّغة الإنجليزيّةِ (600 ألف) وكلَّ كلمات الفرنسيّةِ (150 ألفًا) وكلَّ كلمات اللّغةِ الرّوسيّةِ (130 ألفًا) لما بلغتْ عُشْرَ كلماتِ اللّغةِ العربية (12 مليون كلمة)، ألا يدعو هذا إلى إعادةِ النّظرِ في مقام العربيّةِ في قائمةِ أولوياتِنا واهتماماتِنا؟ بلى والله.

إنّ العربيّةَ اليومَ لغةٌ رسميّةٌ في خمسٍ وعشرين دولةً في العالم، ولغةٌ وطنيّةٌ في سِتِّ دولٍ أخرى، والنّاطقون بها في العالَم 467 مليونًا، وتحضرُ العربيّةُ في جميعِ مناطقِ العالَم دون استثناءٍ مهما قلّ العددُ أو كَثُر، كلُّ هذا الانتشارِ الذي تعرفُه العربيّةُ؛ إلا أنّها تعيشُ واقعًا بئيسًا مريرًا، ينتظرُ المعاينةَ والمعالجةَ.

إنّ أكبرَ خطرٍ يواجهُ العربيّةَ اليومَ أيضًا هو بقاؤُها وتقوقعُها في المتن القديمِ، وعدمُ استعمالِها في الاقتصادِ والسّياحةِ والثّقافةِ والإعلام، وهذا الإقصاءُ ناجمٌ عنِ الوهمِ القائمِ في الأذهانِ بوهنِها وعدمِ صلاحيتِها، وغيابِ الوعيِ بخطورةِ الأمرِ، واللامبالاةِ، وكذا الانبهارِ والانجذابِ إلى لُغةِ الآخَرِ، وهذا وهمٌ يعيشُه الكثيرُ من شبابنا، الذين يقضون جلَّ أوقاتِهم في مواقعِ التّواصل الاجتماعيِّ، هذه المواقعُ التي يجبُ التّنبُّهُ لها كثيرًا، فهي سريعةُ التّأثيرِ، وكثيرةُ الاستعمال، نتعاملُ معها بالقَبولِ لا الرفضِ، لكنّه قَبولُ توجيهٍ لا قبولَ تبعيّةٍ وانصياعٍ، فاللّغةُ الأجنبيّةُ هي لغةٌ للمعرفة وتبادلِ المنافع، ولا تعبّرُ إطلاقًا عن مستوى حضاريٍّ أو معيشيٍّ أو غيرِ ذلك.

إنّ العربيّةَ ستكون بخيرٍ إذا ما اعتزَّ العربيُّ وافتخرَ بلُغتِه، وامتلك الإرادةَ لاستعمالِها وخدمتِها، كما أنّ القرارَ السّياسيَّ له دورٌ رئيسٌ في تعميم استعمالِ اللّغةِ العربيّةِ في مناطقِها الأساسيّةِ على الأقلّ، دونَ أن ننسَى أيضًا المُؤسّساتِ التّنفيذيّةَ، المتخصّصةَ والدّاعمةَ لمشروعِ اللّغةِ العربيّةِ القوميِّ، كما يجبُ أيضًا أن نعملَ على أن تُواكبَ اللّغةُ العربيّةُ العصرَ ولا تتنكّبَ عنه، فاللّغاتُ في سباقٍ مستمرٍّ لحيازةِ قصبِ السّبقِ في مجالاتٍ كثيرةٍ كالإعلام والتّكنولوجيا والاقتصادِ والسّياحةِ، وتبقَى في الأخير وسائلُ الإعلام فاعلةً في توصيلِ العربيّةِ ونشرِها في أوساط المجتمع.

وإذا أردنا للعربيّةِ أن تكونَ لغةً قويّةً فيجبُ الانفتاحُ على الثّقافاتِ والمجتمعاتِ واللّغاتِ الأجنبيّةِ، فالانفتاحُ وسيلةٌ مهمّةٌ لجعل اللّغةِ العربيّةِ لُغةً دوليّةً عالَميّةً، وخاصّةً أنّ العربيّةَ تعيشُ اعترافًا دوليًّا مشهودًا، على غرارِ اعترافِ اليونيسكو والأممِ المتّحدةِ، وكذا اعتمادُ اليومِ العالميِّ للّغةِ العربيّةِ، ينبغي أن يكون هذا دافعًا لنا للمضيِّ قُدُمًا في نشرِها وتعميمِها، ومحاولةِ إدخالِها إلى جميعِ القطاعاتِ، على اختلافِ تخصّصاتِها.

7 - **العربيّةُ عابرةٌ للزّمن:** إنّ العربيَّ اليومَ يستطيعُ بلُغته أن يتواصلَ مع الشّعرِ الجاهليِّ، بل مع نصوصٍ قيلت قبل ذلك بسنوات، إنّ هذا الامتدادَ الزّمنيَّ الذي قطعتْه العربيّةُ جعلَها اللّغةَ الحيّةَ الوحيدةَ اليومَ التي بقيت على قيدِ الحياة، حيث ماتت لغاتٌ كثيرةٌ، وزالت لُغاتٌ وانقرضت كانت تنافسُها، ولم ينهزم الزّمانُ إلّا على يد العربيّةِ فقط.

فاللّغةُ العربيّةُ عابرةٌ للأزمان والحِقبِ، لذا كانت حاضرةً بالضّرورةِ في جميعِ الحضاراتِ التي تعاقبت في أثناءِ عصورٍ مضت، فزالتْ تلك الحضاراتُ وزال الكثيرُ من لُغاتها، لكنّ العربيّةَ كانت دائمًا تحملُ في داخلِها بذورَ الحياة والبقاء، حتى في حالات ضَعْفِ مستعمليها، إلا أنّها بقيت تقاومُ عواديَ الدّهرِ.

8 - **العربيّةُ عابرةٌ للمكان:** تُستعملُ العربيّةُ في رقعةٍ جغرافيّةٍ واسعةٍ، ينطقُ بها زُهاءَ 422 مليون ناطق، ويستعملُها 1.5 مليار ونصفُ مليارِ مستعمِلٍ، إنّها لغةٌ عابرةٌ للحدود، وحاضنةٌ للاختلاف، إنّ الآثارَ في الأندلس، لو كان لها لسانٌ يبينُ، لقصّت كيفَ انتشرتِ العربيّةُ في بقاعِ الأندلسِ انتشارًا عجيبًا، ممّا اضطرَّ رجالَ الكنيسة إلى ترجمةِ صلواتِهم بالعربيّةِ حتّى يفهمَها نصارَى الأندلس، إنّ نصفَ قرن فقط، مدّةٌ كانتْ كافيةً لانتشار اللّغةِ العربيّةِ في الأندلس بالكامل، لقد أقبل أهلُ الأندلس على العربيّةِ إقبالًا عجيبًا، وإن كان الفضلُ في ذلك للخليفةِ عبدِ الرحمن الأوسط، الذي أصدر مرسومًا يأمرُ فيه

النّاسَ بالتّحدّث باللّغةِ العربيّةِ، ولم تكنِ النّتيجةُ هيَ نُشُوءَ طبقةٍ تفهمُ العربيّةَ فقط، بل برز علماءُ في اللّغةِ العربيّةِ وفنونِها، بارزوا شيوخَهم المشارقةَ، وأبدعُوا أيّما إبداع.

ولم تقفِ العربيّةُ عند رُقعةِ الأندلس، بلِ انتشرت في بلاد فارس والروم، والشّام، وبلادِ التّرك، إلى الصّين، وفي العصر العبّاسيِّ خاصّةً انتعشتِ التّرجمةُ، وبدأت عمليّةُ التّأثّرِ والتّأثير، فربطتِ العربيّةُ بين حضاراتٍ مختلفةٍ، وتأثّرت أوروبا خاصّةً بعلوم العربِ ونقلتْها إليها بلُغتِها العربيّةِ، وبنت على أساس ذلك حضارتَها الحديثةَ التي نشهدُها اليومَ.

وفي تركيا اليومَ تحظى اللّغةُ العربيّةُ بمعاملةٍ خاصّةٍ، سببُها الوازعُ الدّينيُّ، فأهمُّ سببٍ لتعلّم الأتراك اللّغةَ العربيّةَ هو من أجْلِ فهْمِ القرآنِ الكريم، وهذا الاهتمامُ رافقَه قرارٌ سياسيٌّ جادٌّ، فالرّئيسُ التّركيُّ أدخلَ اللّغةَ العربيّةَ في المدارسِ والثّانوياتِ والجامعاتِ، وهي لغةٌ اختياريّةٌ، يستطيعُ أيُّ طالبٍ أو تلميذٍ تركيٍّ تعلّمَها في أيّ مرحلةٍ شاءَ، وتشيرُ إحدى الدّراسات أنّه في السّنواتِ الأخيرةِ اختار زُهاءَ 100 ألف طالبٍ أن يتعلّمُوا اللّغةَ العربيّةَ، وهذا رقمٌ ليس بالهيّنِ أو القليلِ، وهو رقمٌ مرجّحٌ للزّيادة مستقبلًا.

ولا ننسَى فرنسا كذلك، فللعربيّةِ فيها وضعٌ خاصٌّ، فكثيرٌ منَ الفرنسيّين ينحدرون من جذورٍ عربيّةٍ، وكثرةُ المهاجرين العربِ، فرضَ على السّاحةِ الفرنسيّةِ اللّغويّةِ، أن تكونَ العربيّةُ مزاحمةً للّغات الأجنبيّةِ في فرنسا، وعددُ الطّلاب الذين يريدون تعلّمَ اللّغةِ العربيّةِ يزدادُ كلَّ سنة، بحسبِ إحصاءاتٍ رسميّةٍ، ممّا جعل السّلطاتِ الفرنسيّةَ تضعُ حدًّا لاستقبالِ الطّلّابِ.

9 - **العربيّةُ عابرةٌ للّغات:** كانتِ العربيّةُ منذ بدايتها جسرًا بين الحضاراتِ المختلفةِ اللّغةِ، فهي - كما يقول البروفيسور صالح بلعيد - سيّارةٌ تنتقلُ من حضارة إلى أخرى، ومن لُغة إلى أخرى، فهي بريدُ اللّغات، إنّ العربيَّ اليومَ هو الإنسانُ الوحيدُ الذي يستطيع قراءةَ نصٍّ لامرئ القيس أوِ الشّنفرَى قبل أربعة عشر (14) قرنًا، فلا الفرنسيُّ اليومَ يستطيعُ قراءةَ نصوصِ فولتير، ولا الإنجليزيُّ يستطيعُ الفهمَ عن شيكسبير، فاللّغة الفرنسيّةُ أو أدبُ فرنسا يصلُ في القِدم إلى العصور الوُسطى، واللّغةُ الألمانيّةُ، أو كما تسمّى اللّغةُ الألمانيّةُ العليا الأُولى، يصلُ قِدمُها إلى سنة 1150م، قبل غوتةَ وكانط بقرونٍ، وأمّا الأدبُ الإنجليزيُّ الذي يُعدّ أقدمَ الآدابِ الغربيّةِ فإنّ نصوصَه القديمةَ تصل سنة 700م.

وتأثيرُ اللّغةِ العربيّةِ في اللّغاتِ تشهدُ به كتبُ تاريخِ اللّغات، فالعثمانيّون مثلًا، حينما أسلموا تركوا لُغتَهم، وما كانوا يكتبون إلّا بالخطِّ العربيِّ؛ حبًّا منهم للّغةِ العربيّةِ، بل تجاوزُوا إلى تطويرِ الخطِّ العربيِّ، فظهرَ خطّاطون بارزون، من أصحاب الرّسمِ العثمانيِّ المعروفِ.

وإذا توجّهنا تلقاءَ أوروبا، فإنّ الباحثَ المنصفَ، يكتشفُ أنَّ أوّلَ مَن درسَ اللّغةَ لذاتِها ومن أجل ذاتِها، وجعلَ منَ اللّغة علمًا مستقلًّا بنفسه، هو ابنُ جنّي في كتابه (الخصائص)، وسبقَ بذلك (دي سوسير) بقرون، وهو نفسُه؛ أي ابنُ جنّي، مخترعُ علم الأصوات (الفونولوجيا)، وقبْلَه الخليلُ بنُ أحمد الفراهيديُّ، وهو يقومُ بتوصيفِ مخارجِ الحروف، وصفًا دقيقًا، تعجّب منه علماءُ الفيزياء حديثًا، وهم يشاهدون في مخابرِهم ذبذباتِ الصّوتِ عندَ خروجِه، ويقارنُون ذلك بما جاء عنِ الخليل، حين يقولُ مثلًا: إنّ السّينَ حرفٌ يخرجُ من ضغْطِ هواءٍ بين صُلبيْن، وإنّ الفاء حرفٌ يخرجُ من ضغط هواءٍ بين مَرنَيْن.

كانتِ العربيّةُ منذ بدايتها جسرًا بين الحضاراتِ المختلفةِ اللّغةِ

إنّ فضلَ العربيّةِ على غيرِها منَ اللّغات، بابٌ تحدّث فيه غيري كثيرًا، ولستُ بصددِ إعطاءِ الإحصاءاتِ المشهورةِ في عدد الكلماتِ أو الجذور، والمقارنةِ بينها وبين غيرِها، وإنّما شئتُ التّعمّقَ في أسرارها، فإنّ العربيّةَ لُغةٌ اشتقاقيّةٌ وَلود. وتتعذّر هذه الصّفةُ على اللّغاتِ الأُخَر، إنّ هذه الاشتقاقيّةَ تمكّنُها دون غيرِها منَ التّأقلمِ مع كلِّ جديدٍ، والبقاءِ خالدةً على الأزمان، ثمّ إنّها لغةُ بيانٍ وبلاغةٍ ووضوحٍ، وبديعٍ، إنّ

هذه الجماليّةَ في التّعبير، كالمجاز مثلًا، ومدى التّوسّعِ فيه، كلُّ ذلك تفتقرُ إليه اللّغاتُ جميعًا.

إنّ العربيّةَ على امتدادِ تاريخِها القديم هي اليومَ اللّغةُ الحيّةُ الأقدمُ، وإلى جانب تخليدِها مآثرَ الحضارةِ العربيّةِ، فإنّها نقلتِ الكثيرَ من تاريخِ ومآثرِ الحضاراتِ الأخرى التي ماتت لُغاتُها، التي ما كنّا لنسمعَ بها لولا اللّغةُ العربيّةُ.

في المقابلِ، كم نأسفُ الأسفَ الشّديدَ، حين نرَى في الواقعِ أنّ بعض الجامعات اليومَ قرّرتْ ألّا تستعملَ اللّغةَ العربيّةَ في التّعليم العلميِّ والتّكنولوجيِّ العالي، وهي اللّغةُ التي كانت بالأمس لُغةَ العلوم الأُولى، وكانتِ المصدرَ الأوّلَ لنهضةِ أوروبا العلميّةِ، وكيف لا تستوعبُ العربيّةُ، على رأي بعضِ الأصواتِ النّشزةِ العلومَ والطبّ والهندسة وغيرَها، وهي اللّغةُ الحيّةُ الوحيدةُ منذ أكثرَ من 14 قرنا، ويزيد العجبُ عند فقدان السّببِ المُسَوِّغ لتعليم العلومِ في البلدان العربيّةِ باللّغاتِ الأجنبيّةِ، فالمتعلّمُ عربيٌّ، ولُغتهُ الأولى العربيّةُ، فما الدّاعِي إلى تغيير اللّغةِ إذا كان في الأصلِ حين يخرجُ إلى المجتمع وإلى العملِ، فإنّ تعاملَه يكونُ بلُغتِه الأولى العربيّةِ، فالطّبيبُ العربيُّ يضطرُّ إلى التّرجمةِ عند التعلّم، ثمّ يضطرُّ إلى التّرجمةِ عكسيًّا عند المعالجةِ؛ لأنّ المريضَ عربيٌّ أيضًا، فهذه هي النّكسةُ العلميّةُ في أبرز مظاهرِها.

10 - **على سبيل الختام:** لسْنا في مقامِ مدحِ اللّغةِ العربيّةِ، فإنّها ممدوحةٌ بالقرآن العظيم، وهذا يكفيها ويُغنيها عن كلّ مدحٍ، وفخرٍ، لكنْ لأنّ المقامَ مقامُ احتفاءٍ، فأودُّ تطعيمَ هذه الأوراقِ البحثيّةِ بأقوالِ مستشرقين غيرِ عرَبٍ، قالوا وأنصفُوا، قال المستشرقُ الألمانيّ أوغست فيشر في مقدّمة معجمِه العربيّ: «وإذا استثنينا الصّينَ، فلا يوجدُ شعبٌ آخر يحقُّ له الافتخارُ بوفرة كُتبِ علوم لُغته، وبشعوره المبكّرِ بحاجتِه إلى تنسيق مفرداتِها بحسبِ أصولٍ وقواعدَ، غيرُ العرب". ويقول



المستشرق هايوود: "إنّ العربَ في مجال المُعجم يحتلّون مكانَ المركز، سواءٌ في الزّمان أوِ المكان، سواءٌ عند العالَم القديم أوِ الحديث، أو في الشّرق والغرب». ويقول المستشرق البريطاني ألفريد غيوم: "ويسهلُ على المرءِ أن يدركَ مدى استيعابِ اللّغةِ العربيّةِ واتّساعِها للتّعبير عن جميعِ المُصطلحاتِ العلميّةِ للعالَم القديم، بكلّ يُسرٍ وسُهولةٍ، وبوجودِ التّعدّدِ في تغيير استعمالِ الفعل والاسم». وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «كيف يستطيعُ الإنسانُ أن يقاومَ جمالَ هذه اللّغةِ ومنطقَها السّليمَ وسحرَها الفريدَ؟ فجيرانُ العربِ أنفسُهم في البلدان التي فتحوها سقطُوا صرعَى سحرِ هذه اللّغةِ، فلقدِ اندفعَ النّاسُ الذين بَقُوا على دينِهم في هذا التّيّارِ يتكلّمون اللّغةَ العربيّةَ بشغفٍ» . إنّها العربيّةُ، صاحبةُ الجلالةِ.

الهوامش:

(1) ينظر: العربيّة لغة الفطرة، عمر بورنان، مجلّة العربيّة لساني، السنة 3، العدد7، نوفمبر 2021، مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، ص36 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، ص38.

(3) نقلا عن: اللّغة العربية والآخر، عبد الرحمن بوعلي، مجلّة العربيّة لساني، السنة 3، العدد7، نوفمبر 2021، مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، ص66 وما بعدها.

الأَهَمِّيَةُ التَّرْبَوِيَّةُ للتُّرَاثِ العَرَبِيِّ فِي عَصْرِ العَوْلَمَةِ

تعيشُ دولُ العالَم العربيِّ الإسلاميِّ بتأثيرِ العولمةِ تحوّلاتٍ اجتماعيّةً خانقةً، فالأخطارُ المُحدِقةُ بها تهدّدُها بالتّفكّك، وبضياع هُويتِها، والنَّاشئةُ تسعى لمسايرةِ الأحداثِ والتّغيّرات الطّارئة، وتتخلّى بالمقابلِ عن أصالتِها وهويتِها الثّقافيّة، والمُؤسّساتُ التَّعليميّةُ مطالَبةٌ بتنفيذِ برنامجٍ تعليميٍّ يُولي أهمّيةً قُصوى لتقريب النَّاشئةِ منَ التّطوّراتِ التّكنولوجيّةِ الحديثةِ في مجال التّواصلِ والمعلوماتِ، التي لا تخلُو من حمولةٍ ثقافيّةٍ غربيّةٍ تزيدُ من تعميقِ الأزمةِ وتستعجلُ التّحوّلات.

إنَّ التّربيّةَ المدرسيّةَ يجبُ أن تحرصَ إلى جانب إدماجِ تكنولوجيا المعلوماتِ والاتّصالِ في العمليّةِ التّعليميّةِ، على تأصيل عناصرِ الحضارةِ في وجدانِ النّاشئةِ، من خلالِ تشجيعِ التّمسّكِ بالثّقافاتِ الخاصّةِ ومكوّناتِ الهويةِ، حتى يتمكّنَ النّاشئُ مِن استيعاب هذه التّكنولوجيا المُتقدّمةِ والتّعامُلِ معها والإبداعِ فيها، في الوقت نفسِه يستطيعُ مقاومةَ التّأثيراتِ السّلبيّةِ للعولمةِ، فالتّمسّكُ بالثّقافةِ الأصيلةِ شرطٌ ضروريٌّ للحيلولةِ دون اضمحلالِ الهويةِ أو ذوبانِها.



الزبير مهداد
كاتب وباحث- المغرب

إنّ التّربيّةَ أداةُ المجتمع ووسيلتُه في تشكيل أفراده، فهي تشتقُّ أهدافَها وتصوغُ وسائلَها من ثقافةِ المجتمع نفسِه، هذه الثّقافةُ التي تختزنُ التّراثَ، وتحدّدُ القِيمَ والعاداتِ، ظلّت بكلِّ مكوّناتِها ورصيدِها الذي تراكم عبرَ قرونٍ عديدةٍ، أصلًا من أصول التّربيةِ، مُنح منها المربّون دومًا فكرًا وعظةً ودروسًا هامّة.

الثّقافةُ ذاكرةُ أمّة

إنّ الثّقافةَ تضمُّ عناصرَ ومكوّناتٍ متنوّعةً، منها ما هو سُلوكيٌّ ومنها ما هو شفاهيٌّ أو مكتوبٌ، ومنها ما هو ماديٌّ أو معنويٌّ، كلُّ ذلك يُكَوِّنُ تُرَاثَ المجتمع الذي تتوارثه الأجيالُ، كلّ جيلٍ يضيف إليه أو يعدّلُه ليوائمَ خصوصياتِ الجيل وظروفَ العصر وإمكاناتِه وتحدّياتِه، حتى يُتاحَ للجيل أن يعيشَ عصرَه في سلامٍ وأمنٍ ماديٍّ وروحيٍّ، وبالنّظر لأهمّيته، فقد توجّهت إليه أنظارُ علماء الاجتماعِ والنّفس والدّين والتّاريخ، وكذا الفاعِلين السّياسيّين والتّربويّين والاقتصاديّين أيضًا.

في هذا العصر، عصرِ العولمة، الذي أصبحت فيه الثّقافاتُ القويّةُ تلتهمُ الثقافاتِ الضعيفةَ، مِمَّا بات يهدّدُ الهويّاتِ بالاضمحلال، برزتِ الحاجةُ



الملحّةُ إلى تعزيزِ وتعميقِ الهويّةِ المهدّدةِ، والذّاتيّةِ الثّقافيّةِ المخترقةِ، لأجل إقدارِها على الصّمودِ ومواجهةِ الغزو وآثارِ العَولمة الكاسحةِ، المسلّحةِ بالثّورة التّكنولوجيّةِ ووسائلِ الاتّصال الحديثةِ، التي تعتمدُ لغاتٍ وتقاليدَ وقواعدَ غريبةً ودخيلةً على ثقافات مجتمعاتِنا، تهدّدُ ثقافاتِنا بالاضمحلال والتّفكّكِ، أوِ الذّوبان في ثقافاتٍ أخرى منافسةٍ.

أهمّيةُ التّراثِ الشّعريِّ والنّثْريِّ العربيِّ

وعندما نتحدّثُ عنِ الثقافة، فأهمُّ مصادرِها وعناصرِها هي اللّغةُ العربيّةُ والتّراثُ، وليستِ اللّغةُ مجرّدَ أداة للتّعبير ونقلِ الأفكار، ولكنّها لُغةُ فكرٍ أيضًا وقواعدُ تفكيرٍ وسلوكٍ وقيمٍ، فالقرآن الكريم حمّل اللّغةَ العربيّةَ شحنةً واسعةً منَ القِيمِ والمبادئ. واللّغةُ العربيّةُ لغةُ عقيدةٍ وثقافةٍ وخطابٍ وتواصلٍ، ولذلك فإنَّ الاهتمامَ باللّغة العربيّةِ يأتي من جانبيْن أولّهما: دينيٌّ بوصفها لغةَ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّةِ، وثانيهما: قوميٌّ، فالمحافظةُ عليها حفاظٌ على التّراثِ القوميِّ العربيِّ الثّقافيِّ والفكريِّ.

يقولُ هيجل «اللّغةُ وعاءُ الفكر» فلولا اللّغةُ التي تحفظُ الفكرَ لتبعثرَ هذا الفكرُ، وحتى التّفكيرُ داخلَ ذواتنا يَكُونُ مِنْ خِلالِ اللّغة، لذلك قيل "إنّ التّفكيرَ الصّامتَ الذي يُوحِي لنا بوجودِ حياةٍ باطنيّةٍ هو – في الحقيقة – مونولوجٌ داخليٌّ يتمّ بين الذّات ونفسِها" فاللّغةُ تسيطرُ عَلى كامِلِ تفكيرِنا سواءٌ كَانَ هذا التّفكيرُ داخليًّا، أي بيننا وبين ذواتنا أو خارجيًّا بيننا وَبَيْنَ الآخَرِينَ.

وتعلّمُ اللّغة وإتقانُها وامتلاكُ ناصيتها يُؤَدّي إِلى تَقْدِيرِهَا والتّمسّك بها، وييسّرُ استعمالها استعمالًا صحيحًا في الاتّصال بالآخرين تحدّثًا وكتابةً واستماعًا

وقراءةً، وتكوينَ عاداتٍ لُغويّةٍ سليمةٍ، ممّا يُتيحُ تحقيقَ المصالح المشتركةِ والتّفاهم والتّعاونِ والإحساسِ بالِانْتِمَاءِ إلى الجماعةِ، كما يزوّدُ المرءَ بالقدرة على دقّةِ الملاحظة والتّمييزِ بين أساليب اللّغة وصِيَغِها المختلفةِ ووظائفِ كلِّ صيغةٍ وأسلوبٍ، وفهْمِ كلِّ تركيب، وتحليلِ مكوّناته وعناصرِه، فاللّغة العربيّة أهمُّ أوعيةِ الثّقافة العربيّةِ وتُراثِها الغنيِّ المتنوّعِ، فضلًا عن أثر كلِّ ذلك في الإقبال على القراءة، والتّعامُلِ مع الثّقافة المكتوبةِ، وإدراكِ الجمال في آداب اللّغةِ والتّراثِ العربيِّ الغنيّ والمتنوّع.

فالتّراثُ العربيُّ الذي يضمُّ الإنجازاتِ الثّقافيّةَ المتراكمةَ عبْرَ السّنين، يتضمّنُ القيمَ والمُثُلَ والمعاييرَ والعاداتِ والتّقاليدَ الأصيلةَ لشعبنا، ويمثّلُ هويّتَه الثّقافيّةَ، فهو تراثٌ حيٌّ ومتفاعلٌ ما زال يعملُ ويؤثّرُ في الحاضرِ بصورةٍ حقيقيّةٍ.

ومعظمُ هذا التّراثِ يتمثّلُ في المكتبة العربيّةِ التي ترجعُ بدايتُها إلى فجر التّاريخِ الإسلاميِّ؛ عندما قامت حركةُ التّدوين في القرن الأوّل، ثم انتهت إلى التّصنيف في القرن الثّاني، وازدهرت كثيراً في القرنيْن الثّالثِ والرّابعِ، هذه المكتبةُ تَضُمُّ أهمَّ جوانبِ التّراثِ الإسلاميِّ، وقد كُتبت معظمُ المؤلّفاتِ بلُغةٍ أدبيّةٍ رفيعةٍ تسمُو



الجاحظ

بالذّوق الأدبيِّ والثّروة اللّغويّةِ للقارئ؛ الذي لا بدّ أن يتمتّع بمستوى لُغويٍّ وثقافيٍّ مناسبٍ؛ ليتمكّن منَ الإفادة منه والاستمتاع به.

حركةُ التّدوين حفظتِ الذّاكرةَ الشّعريّةَ العربيّةَ، بتدوينها، وأبانت عن أنَّ العربَ أمّةٌ ذاتُ ذائقة أدبيّةٍ شعريّةٍ ونثريّةٍ رقيقةٍ وأنيقةٍ، تؤثّر فيها موسيقى اللّغة، والصّورةُ الأدبيّةُ، والأسلوبُ البديعُ، ومن يستقرئُ الأشعارَ العربيّةَ، والأمثالَ، والحكمَ، لابدّ أنه يجدُ فكرًا إنسانيًّا رائعًا، تنفذُ مباشرةً إلى عقلِ وقلبِ السّامعِ أو القارئِ بحكم شكلْها وصياغتِها، حتى أصبح تقليداً التّعقيبُ على كثير منَ المواقف التي تتضمّنُ تربيةً، بقول شاعرٍ أو بحكمةٍ أو بمَثَلٍ .



فالعلاقةُ بين الأدب والتّربية، هي علاقةُ اتّفاقٍ وتشابهٍ من حيث الأهداف والمبادئ والمفاهيم والاتّجاهات، إذ إنّ الأدباءَ كانوا فلاسفةً ومربّين، يَتَطَلَّعُونَ إِلَى تَأْكِيدِ القِيمِ والأخلاقِ التي حفلت بها الثّقافةُ العربيّةُ والإنسانيّةُ، كقِيمِ المُساواة بين البشر والتّفاضلِ بينهم بالتّقوى والإيمان والتّحلّي بمكارم الأخلاق، لأجل صياغةِ الشّخصيّةِ الإنسانيّةِ الإيجابيّةِ المُتّزنةِ، ودوّنوا ذلك فيما صنّفوا من كُتب في تاريخ الأدبِ والالتقاطات الأدبيّةِ، والنّقد، وسِير الأدباء والمثقّفين؛ حفظتِ التّراثَ العربيَّ وعرّفت به ودرستْه وشرحتْه، وقدّمتْه للنّاشئة في قالَبٍ أدبيٍّ إنشائيٍّ رائعٍ، يُرغّبُ في القراءة ويجعلُها عملًا مُمتعًا وسهلًا، يُمَكِّنُ منِ استيعاب المضامين وفهمِها وتمثّلِها، والاستنباطِ منها والاقتداءِ بها.

الشِّعْرُ دِيوانُ العَرَبِ

إنَّ دراسةَ الشِّعر العربيِّ دراسةٌ للحكمة وسحرِ البيان، تُنمّي الذّوقَ وتُهذّبُ الطّبعَ وتُمتّعُ النّفسَ وتدلُّ على مكارم الأخلاق، فضلاً عمّا تكشفُه الدّراسةُ عنِ اتّجاهات الأمّة وطرائقِ تفكيرها ومناهجِ ثقافاتِها. فالشّعرُ العربيُّ قبلَ الإسلام وبعدَه، يحوي ثروةً هائلةً منَ الحِكمة والقِيمِ النّبيلة التي تضمّنتْها القصائدُ، مصوغةً في صُورٍ بديعةٍ، قال ابنُ قتيبة: "وللعربِ الشّعرُ الذي أقامه الله تعالى مقامَ الكتاب لغيرِها، وجعلَه لعلومِها مستودَعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيّدًا، ولأخبارها ديواناً، لا يرثُّ على الدّهر، ولا يبيدُ على مرِّ الزّمان" ولارتباط الشّعر بالحكمة كانتِ العربُ، كما ذكر السّيوطيُّ، لا تَعدُّ الشّاعرَ فحْلاً حتى يأتي ببعض الحكمةِ في شعره .

لذلك حرصَ العربُ الأقدمون على الاستعانة بالشّعر في التّربية، لِما له من تأثيرٍ في فصاحة اللّسان، وقوّةِ البيان و"لِما يجتمع له من حلاوة الإيقاعِ، ورشاقةِ التّعبير، وجاذبيّةِ الصّورةِ، وهو بذلك يؤدّي وظيفةً مهمّةً، ذاتَ أبعادٍ عدّةٍ، عقديّةٍ، وجماليّةٍ، وشعوريّةٍ، ووجدانيّةٍ، وفكريّةٍ، ولهذا يستفيدُ



الأطفال كثيراً من سماع الشّعر وحفظِه، إذا كان مناسباً لهم من جهة ألفاظِه، وأفكارِه، وأوزانِه، وصورِه الفنيّةِ" ، وقد نُقلَ عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه دعوتُه النّاسَ إلى تعليم أبنائِهم ما حسُنَ منَ الشّعرِ، وقال عبد الملك: تعلّمُوا الشِّعر ففيه محاسنُ تُبتغى وَمَسَاوِئُ تُتَّقَى، وقال معاوية لزياد يحثّه على تعليم ابنِه الشِّعرَ: "ما منعك أن تُرَويه الشّعرَ؛ فوالله إن كان العاقّ لَيُرَوّيه فيَبَرُّ، وإن كان البخيل لَيُرَوّيه فيسخُو، وإن كان الجبان لَيُرَوّيه فيقاتلُ»، وفي ذلك قال ابنُ الروميّ:

وَمَا المَجدُ لَولَا الشعرُ إلَّا معاهدٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعظُمٌ نَخراتُ

وقال أبو تمّام الطائيُّ:

وَلَوْلا خِلالٌ سَنَّها الشِّعْرُ مَا دَرَى
بُنَاةُ العُلا مِن أينَ تُؤْتَى المَكارِمُ

وكان الشّعرُ ديوانَ العرب، وما زال، والفنَّ الأوّلَ وما زال،

فهو أرقى مظهرٍ لمزايا اللّسان العربيِّ، فيه تبدو عبقريتُه وجلالتُه، ونفوذُه وبلاغتُه، ومقدرتُه وإصابتُه، وهو سجلُّ المفاخرِ والمآثرِ، كما أنه سجلُّ المعايبِ والمثالبِ أيضًا، ومرآةٌ للواقع بما فيه من خيرٍ وشرٍّ، ونفعٍ وضُرٍّ، والمدائحُ في الشّعرِ من خيرِ دواوينِ المكارمِ وأنصعِها وأرفعِها وأجمعِها والنّاسُ يُنشدونَها ويحفظونَها ويقرؤونَها لا على أنّها صدقٌ كلُّها، لا شوبَ فيها من مبالغةٍ أو كذبٍ، ولكن لِما تمثّله من صَنعةٍ بيانيّةٍ لها قيمةٌ في نفسها ككلِّ الفنون بمعزلٍ عن مقاصدِها ومرامِيها وما استعملَها الشّاعرُ له، ولِما تمثّلُه من مكارمَ خُلقيّةٍ كان منها حقائقُ ووقائعُ لا تُنكر، وُجدت في كلِّ عصرٍ، منَ السّخاء والشّجاعةِ والنّجدةِ والمُروءةِ والصّدقِ والإنصافِ والعفافِ والإيثارِ .

مصنّفاتٌ أدبيّةٌ ذاتُ قيمةٍ خالدةٍ

وفي النّثرِ الأدبيِّ، خلّفَ الكُتّابُ أعمالًا أدبيّةً رائعةً مُؤثّرةً في تاريخِ الثّقافةِ العربيّةِ، نُوِّهَ بِبَعْضِهَا وَأُشِيدَ بالآخَرِ فَقَدْ عُدَّ ذَلِكَ علامةً مميّزةً في تاريخِ الثّقافةِ العربيّةِ، ومن ذلك قولُ ابنِ خلدون: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم أنّ أصولَ فنّ الأدبِ وأركانَه أربعةٌ، وهي أدبُ الكاتب لابنِ قُتيبةَ، وكتابُ الكامل للمبرّدِ، والبيانُ والتّبيين للجاحظ، وكتابُ النّوادر لِأَبِي عليٍّ القالِي، وما سوى هذه الأربعة فروعٌ عنها» .

المصنَّفاتُ المُهِمَّةُ عُدّت مصادرَ تربويّةً تعليميّةً للقِيَمِ والأخلاقِ والمعرفةِ، تُسْهم في تَشَرُّبِ واستيعابِ الثّقافةِ العربيّةِ الأصيلةِ وقيمِها للنّاشئةِ، بل وتُتّخذُ دليلًا في الحياة تساعدُ على تلمُّسِ السّبيل المستقيم وتخطّي الصّعابِ وبناءِ الشّخصيّةِ.

هذا الأمرُ أكّده أبو الحَجّاج البلويُّ المالقيُّ، الأديبُ الأندلسيُّ الذي صنّف كتابَ "ألف باء"، وهو موسوعةٌ كبيرةٌ أشبهُ بالمعجم، وقد وضعَه لابْنِهِ ومن قام مقامَه ليكون ذُخرًا له بعد وفاتِه.

هذا كتابُ ألف با — صنعته يا ألِبّا

من أجل نجلِيَ المرجَّى — إذا شدا أن يُلِبَّا

وابنُ عبد ربه، الذي أورثَنا عملَه الرّائعَ «العِقدُ الفريدُ» الذي ظلّ وما زال منبعًا للأخلاق والتَّرْبِيَةِ، هذا استطاعَ أن يكتسبَ قيمتَه الأدبيّةَ العظيمةَ من محتواه المُتنوّع، فهو أضمومةٌ أدبيّةٌ وفنيّةٌ فيها الخُطَبُ والشّعرُ والنّصوصُ النّثْريّةُ وأقوالُ الحكماء والعلماء في الاجتماع والعلمِ والتّأديبِ وغيرِ ذلك، جاء فيه ذكرٌ لخصائص العلْمِ وفضائلِه وفنونِه وشروطِه، ولأخبار العلماءِ والأدباءِ، ثم طائفةٍ منَ الفضائلِ والقِيمِ وما يقابلُها من رذائلَ، كما تحدّثَ عن عناصرِ التّثقيفِ المرتبطةِ بمختلف الآدابِ، وهي أدبُ الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلم ويمثّلُ هذا الجانبُ التَّرْبِيَةَ القُرْآنِيَّةَ، ثم أدبُ النّبي صلى الله عليه وسلم لأمّته ويمثّلُ هذا الجانبُ التّربيّةَ النّبويّةَ، ثم آدابُ الحُكماء والعلماءِ ويمثّلُ هذا الجانبُ ثمراتِ التّربيتَيْن السّابقتَيْن، التَّربيةِ القرآنيّةِ والتَّرْبِيَةَ النَّبَوِيَّةَ، ويستشهدُ الكاتبُ في المتن بمادّةٍ مختارةٍ منَ القرآنِ الكريمِ والحديثِ النّبويِّ وما رُويَ عنِ الأنبياء عليهم السّلام، بالإضافة إلى المُختارِ منَ الحِكم والمواعظِ لعلماء الدِّين وكبارِ الأدباء والفلاسفةِ والقادةِ.

بينما عقدَ ياقوتُ الحمويُّ فصلًا كاملًا في "معجم الأدباء"، تناول فيه فضلَ الأدب وأهلِه، ويستدلُّ ممّا ورد فيه على مفهوم الأدب عندَه، فقد بدأه بالحديث عنِ العلمِ ومكانتِه وذكرِ مجموعةٍ منَ الأخبار في فضل النّحوِ، والفصاحةِ، وصحيحِ الطّبعِ، وسلامةِ الذّوق والحياءِ والأخلاقِ وذمّ اللّحنِ في الكلام والخطأ اللُّغويِّ والنّحويِّ، وأشار إلى صلة الأدبِ بهذه القضايا فهي مرتبطةٌ به متداخلةٌ معه واستشهدَ على ذلك بقول أحدِهم.

أَرَى العِلْمَ نُورًا وَالتَّأَدُّبَ حِلْيَةً

فَخُذْ مِنْهُمَا فِي رَغْبَةٍ بِنَصِيبِ

وَلَيْسَ يَتِمُّ العِلْمُ فِي النَّاسِ لِلْفَتَى

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ بِأَدِيبِ

والأدبُ عنده ما كان ممتعًا في سماعِه، لطيفًا في معناه، ووصفَ الأديبَ بالشّموليّةِ في فكره وثقافتِه فهو (من يأخذُ من كلّ شيءٍ أحسنَه فيألُفه)، وحين ترجم للأدباء أخذَ بهذا المفهوم الموسوعيِّ الشّاملِ فقال: (وجمعتُ في هذا الكتاب ما وقعَ إليَّ من أخبار النّحويّين، واللّغويّين، والنّسابين، والقُرّاءِ المشهورين، والإخباريّين والمؤرّخين،



والورّاقين المعروفين، والكُتَّابِ المشهورين، وأصحابِ الرّسائل وأربابِ الخطوطِ المنسوبةِ والمعيّنةِ.

و"البيانُ والتّبيينُ" كَما يَنِمُّ عَنْهُ عنوانُه كتابٌ أدبيٌّ صِرفٌ، فالكتابُ عربيٌّ في موضوعِه وفي عناصرِه وفي مصادرِه ومرامِيه، وقد حوى جانبًا مُهِمًّا وغزيرًا من تراث العربِ القديمِ وخاصّةً في عصور الأدبِ الأولى الجاهليّةِ بشعرِها ونثرِها وسجعِها (سجع الكُهّان)، وقلّما دخل فيه شيءٌ منَ الثّقافةِ الأجنبيّةِ الوافدةِ.

وقدِ اهتمّ الجاحظُ في كتابِه بفنّ القولِ والأداء، وأفاضَ في كلامه عنِ الفصاحةِ والبلاغةِ والألفاظِ وجميعِ العيوب التي تدخلُ في النُّطق وغيرِها وقد بدأ كتابَه بالتّعوّذ منَ العِيِّ والحصرِ في الكلام وَأَنَّ الصَّمْتَ خيرٌ منهما، وأشادَ بفضل الفصاحةِ والبلاغةِ كما عرضَ لفنون البلاغةِ وأنواعِها عند العرب والأممِ الأخرى جاعلًا سبيلَه في ذلك بيانَ فضلِ العرب على الأممِ الأخرى، وكان للخَطابةِ دورٌ في كتاب الجاحظ فقد أعطاها الاهتمامَ الواسعَ، فهي كما يرى أداةُ الإبداع ومجمعِ فنّ القول، كما ملأه بالأخبارِ والنّوادرِ والطّرائفِ، والشّعرِ وشواهدِ القرآن الكريم والحديثِ الشّريف والخُطبِ والأمثالِ وغيرِها للدّفاع عن ما يذهبُ إليه، ما جعل منَ الكِتاب موسوعةً أدبيّةً تمثّلُ ثقافةَ الجاحظ التي أحاطت بمعارفِ عصره، ومن خلال هذه المادّةِ الأدبيّةِ الغزيرةِ استطاع الجاحظُ أن ينطلقَ كلّما سنحتْ له الفرصةُ إلى الخوضِ في النّزعاتِ الكلاميّةِ التي انتشرت في عصره وبعضِ النّزعات الشّعوبيّةِ التي انتقصت من العرب، فكان يردّ عليهم ويشيرُ إلى فضل العربِ عليهم .

أما كتابُ الكاملِ في اللّغة الذي صنّفه المبرّدُ، فهو عبارةٌ عن أشعارٍ وأخبارٍ ومعلوماتٍ عامّةٍ وبعضِ الإشارات، إلى شيءٍ من النّحو والصّرفِ وعلمِ اللّغة، تطرّقَ فيه المؤلّفُ إلى صفات كلامِ العرب، وما فيه من إيجازٍ وإطنابٍ وتلميحٍ، ومتى يكونُ أمرُ كلِّ واحدٍ منها مقبولًا لدى السّامعين، ثم يأتي بأمثلةٍ لبعض الكلام البليغِ المُوحي فيقول: فَمِنْ أَلْفَاظِ العَرَبِ البَيِّنَةِ، القَرِيبَةِ

المُفْهِمَةِ، الحَسَنَةِ الوَصْفِ الجَمِيلَةِ الرَّصْفِ قَوْلُ الحُطَيْئَةِ:

وَذاكَ فَتًى إنْ تَأْتِهِ في صَنِيعَةٍ إلَى مَالِـهِ لا تَأْتِهِ بِشَفِيعِ

في خاتمة الكتاب أشار المبرّدُ إلى أنه بذل كلَّ جهده فيه، إلا ما نسيَه ولم يكن عن عمدٍ منه، وأخبر القارئَ أنّه سوف يختمُ كتابَه بالأشعار الطريفةِ وبعضٍ من آيات القرآن الحكيم، فجاء الكتابُ جامعًا، ممتعةً قراءتُه.

وابنُ قتيبة، صاحبُ المصنّفات الرّائعة، ألّف "أدبَ الكاتب" وذكرَ فيه جُملةً منَ الآدابِ النّظريّةِ والعمليّةِ التي ينبغي لكلّ من تصدّى للكتابة أن يتأدّب بها، والتي يمكنُ أن نسمّيَها في عصرنا هذا: الثقافةَ الضروريةَ للكاتب، أراد مؤلّفُ الكتاب أن يجعل منَ الكتاب رفيقاً لكلّ كاتبٍ ينوي تقويمَ لسانِه ويدِه، أمّا في "عيون الأخبار"، فيقول ابنُ قتيبةَ أنّ وظيفةَ المصنّفات الأدبيّةِ لا تقلُّ قيمةً عن غيرها منَ المصنّفات في الفقه أو علوم القرآن أوِ السّنّة، فهي تَهدي إلى جانب غيرِها منَ الكتبِ الدّينيّةِ إلى مكارمِ الأخلاقِ، وبذلك تُؤدّي نفسَ الوظيفة التي تؤدّيها تلك الكتبُ: "هذا الكتابُ، وإن لم يكن في القرآن والسّنّة، وشرائعِ الدين، وعلْمِ الحلال والحرام، دالٌّ على معالِي الأمور، مرشدٌ لكريم الأخلاق، زاجرٌ عنِ الدّناءة، ناهٍ عنِ القبيح، باعثٌ على صواب التّدبير، وحسْنِ التقدير، ورفقِ السّياسة، وعمارةِ الأرض. وليس الطّريقُ إلى الله واحداً، ولا كلُّ الخير مجتمعاً في تهجّدِ الليل، وسردِ الصّيام، وعلْمِ الحلال والحرام، بلِ الطّرق إليه كثيرةٌ، وأبوابُ الخير واسعةٌ»،ولقّن القارئَ درسًا بليغًا في وجوب احترامِ حرّيةِ الكتابة والقراءةِ، ومراعاةِ حقِّ القُرّاء والكُتّابِ في الاختلاف:

«وسينتهي بك كتابُنا هذا إلى باب المزاح والفكاهةِ وما رُويَ عنِ الأشراف والأئمّة فيهما، فإذا مرّ بك أيّها المتزمّتُ حديثٌ تستخفّه أو تستحسنُه أو تعجبُ منه أو تضحكُ له فاعرفِ المذهبَ فيه وما أردنا به، واعلم أنّك إن كنتَ مستغنيًا عنه بتنسُّكَ فَإنَّ غَيْرَكَ ممّن يترخّصُ فيما تشدّدتَ فيه محتاجٌ إليه، وإنَّ الكتابَ لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيَّأُ على ظاهرِ محبّتك، ولو وقع فيه توقّي المتزمّتين لذهب شطرُ بهائِه وشطرُ مائِه، ولأعرضَ عنه من أحببْنا أن يُقبلَ إليه معك، وإنّما مثلُ هذا الكتاب مثلُ المائدةِ تختلف فيها مذاقاتُ الطّعوم لاختلاف شهوات الآكلين. "وإذا مرّ بك حديثٌ فيه إفصاحٌ بذكر عورةٍ أو فرجٍ أو وصفِ فاحشةٍ فلا يحملنّكَ الخُشوعُ أو التّخاشعُ على أن تصعّرَ خدّك وتعرضَ بوجهك، فإنَّ أسماء الأعضاء لا تؤثِمُ وإنّما المآثمُ في شتم الأعراضِ وقولِ الزّور والكذبِ وأكلِ لحوم النّاس بالغيبِ ... فتفهّم الأمرين وافرقْ بين الجنسين...ولم أترخّص لك في إرسال اللّسان بالرّفث على أن تجعلَه هِجِّيرَاكَ على كلّ حال وديدنَك في كلّ مقال، بلِ التّرخّص مني فيه عند حكايةٍ تحكِيها أو روايةٍ ترويها تُنقصُها الكنايةُ ويذهبُ بحلاوتها التّعريضُ، وأحببتُ أن تجري في القليل من هذا على عادة السّلف الصّالح في إرسال النّفس على السّجيّة والرّغبة بها عن لبسةِ الرّياء والتّصنّع، ولا تشعرْ أنّ القومَ قارفوا وتنزهْتَ، وثلمُوا أديانَهم وتورّعتَ .»

فهذا هو تُراثُنَا الذي نفخرُ به، وننظرُ إليه بالتّقدير والاحترام الجديرِ بهما، فينبغي أن نقرأَه بطريقةٍ صحيحةٍ، وصدقَ عبدُ الرحمن مُنيف حين قال "من يقرأُ الماضي بطريقةٍ خاطئةٍ سوف يرى الحاضرَ والمستقبلَ بطريقةٍ خاطئةٍ أيضًا».

أَهَمِّيَّةُ التُّرَاثِ في حفظِ الهُويةِ ومُواجهةِ العَولمةِ

إنّ تأثيرَ العولمةِ كاسحٌ، ويهدّدُ الهويةَ العربيّةِ الإسلاميّةِ ومكوّناتِها بالاضمحلال والذّوَبانِ، في ظلّ سيادةِ وهيمنةِ الثّقافةِ الغربيّةِ المسلّحةِ بالتّكنولوجيا الحديثةِ والاقتصادِ القويِّ والتّرسانةِ العسكريّةِ والنُّظُم السّياسيّةِ والاجتماعيّةِ الليبراليّةِ، والتي تسعى لتوحيد الكرةِ الأرضيةِ تحت قيادتِها.

وقد بدأنا نلمسُ نتائجَ هذا التّهديد، في حياتِنا اليوميّةِ وأنماطِ عيشِنا وتواصُلِنا، ومضامينِ إعلامِنا، نتيجةَ إحلالِ قيمٍ ثقافيّةٍ جديدةٍ تتّصلُ بالحضارة الغربيّةِ ولا ترتكزُ إطلاقاً على جذورنا الثّقافيّةِ، حتى أضحيْنا نتواصلُ عبرَ الهاتف ونقرأُ في الوسائطِ الإعلاميّةِ كلامًا عربيًّا بحروف لاتينيّةٍ، إضافةً إلى طريقةِ لباسِنا وآدابِنا وقيمِنا التي أصبحنا نسلكُ على ضوئِها. وتنكّرنا لِهويتِنا

وتقاليدِنا وحضارتِنا وثقافتِنا الأصيلةِ.

فكيف يمكنُنا أن نكون نِدًّا للحضارات المنافسةِ لنا، ونحن لم نستوعبْ حضارتَنا؟ وكيف يمكنُ أن نُفلحَ في الحوار الثّقافيِّ مع الغير في وقتٍ أهملْنا فيه ثقافتَنا وهجرْنا تراثَنا الأصيلَ؟

إنّ الأمرَ يقتضي عنايةً بالتّراث وإحيائِه، ولا يُفهمُ منَ الكلام دعوةٌ للتّعصّب للقديم والتّقوقُع فيه والانغلاقِ على الذّات، بل يتعيّنُ الحفاظُ على التّراثِ وقراءتُه ودراستُه واستنباطُ ما يليق بأمّتنا وعصرِها، من مكنوناتِه، وما يُعينُها على النّهوض ومقاومةِ الذّوبان، مثْلَما فعلَه وبجدارة وكفاءة عاليتَيْن نخبةٌ من مفكّرينا الذين رفعوا لواءَ النّهضةِ والمقاومةِ والتّحرر.

فالتّراثُ العربيُّ الإسلاميُّ هو تراثٌ إنسانيٌّ في قِيمِه وفضائلِه، وثروةٌ أورثَها لهذه الأمّة مفكّرون منحدرون من شعوبٍ كثيرةٍ شرقيّةٍ وغربيّةٍ عربيّةٍ وأعجميّةٍ، أبدعوا فيه من داخلِه، ونقلوا إليه بالتّرجمةِ من ثقافاتٍ وتراثٍ آخرَ يونانيٍّ وفارسيٍّ وأمازيغيٍّ وهنديٍّ وغيرِه، استوعبوا القيمَ العربيّةَ والإسلاميّةَ السّاميةَ وعبّروا بلسانِها وأسهموا في إغنائها، وأضحى هذا التّراثُ أساسًا ثقافيًّا ومعرفيًّا لملايير النّاس، فينبغي أن يظلَّ كذلك، وأن يبقى مُحَفِّزًا دَائِمًا إِلَى قَبول الآخرِ والانفتاحِ عليه والاستفادةِ منه، وأن نواصلَ المسيرةَ العلميّةَ الحضاريّةَ الكبرى لإفادةِ الإنسانيّةِ، بالتّرجمة منَ العربيّةِ وإليها، واستكشافِ ذاتِنا ومكنوناتِها، وذواتِ الآخرين ومميّزاتِها، بروح العقلِ النّاقد، مجرّدين من أيّ حُكم مُسبقٍ، يُعمينا عن رؤية الحقيقةِ ويحولُ دون طلبِنا الحكمةَ، فالحكمةُ الإنسانيةُ ضالّةُ المؤمن، يطلبُها ولا يعبأُ من أيّ وعاءٍ خرجتْ.

إنَّ تيسيرَ إتاحةِ التّراثِ العربيِّ للنّاشئة هو مطلبُ السّاعة، ويحتاجُ إلى أقلام نزيهةٍ وعادلةٍ وموضوعيّةٍ، قال تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}، تُقرُّ بجدوى تجديدِ روح الأمّةِ وقيمِها بالارتكاز على جذورِها الحضاريّةِ والثّقافيّةِ، دون تبخيسٍ من قِيمةِ التّراث والثّقافات الأخرى، أو تشويهِها في نظر النّاشئة، فذلك لن يُثمرَ سوى تعميقِ الخلاف بل سيزيدُ في الفِصام، ويُقوّي الإحساسَ بالدُّونيةِ.

إلا أنه ينبغي الإشارةُ إلى مخاطرِ العملِ العشْوائيِّ في هذا المجال؛ الناتجِ عن خوض الخائضين في هذا الحقل، والتّعاملِ مع موادَّ تراثيّةٍ في غياب تأطيرٍ علميٍّ، وعدمِ الوضوح الاستراتيجيِّ، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تسميم السّاحةِ الثّقافيّةِ، ما يهيئُ المجالَ أمام نزعاتٍ متطرّفةٍ إلى الاغتذاء بالفُهوم الخاطئةِ، وتقويةِ جذورِ الخلافِ الفكريِّ الوطنيِّ الداخليِّ والعالميِّ، في وقت نحن فيه في أمسِّ الحاجةِ إلى التّفاهُم والاستقرارِ والتّعاونِ.

فينبغي أن نتلمّس أسبابَ وشروطَ الوحدةِ الوطنيّةِ والتّفاهمِ العالميِّ في تراثنا الغنيِّ، وفي طريقةِ الإفادةِ منه، وفي القِيمِ العامّةِ التي تحكمُ عمليّةَ التّفاعُلِ معه ثالثاً .

---

(1)علي، سعيد إسماعيل: الخطاب التربوي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سلسلة كتاب الأمة رقم 100 (2010) مقدمة الكتاب

(2) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، بتحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثانية، ص. 17-

(3) السيوطي: شرح شواهد المغني، جزء 1 ص 23، بيروت لجنة التراث، دون تاريخ

(4) الكيلاني، نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 93

(5) العقد الفريد: الجزء 5 ص 274

(6) الأصفهاني، الراغب: محاضرات الأدباء نسخة إلكترونية htm.31/http://islamport.com/w/adb/Web/599

(7) محمد خليل الزروق: الدكتور عبد الله الغذامي والفهم المتعسف http://www.arrakem.com/ar/Index.asp?Page=128

(8) ابن خلدون، المقدمة ص 553

غُرْبَةُ ابنِ زُرَيْقٍ البَغْدَادِيِّ في عَيْنِيَّتِهِ

ابنُ زُرَيقٍ صاحبُ القصيدةِ العينيّةِ البديعةِ منَ الشُّعراءِ المُقلّين، وعلى الرّغم من قلّةِ شعرِه إلّا أنّ قصيدتَه العينيّةَ قد طبّقتْ شُهْرَتُها الآفَاقَ، فشرّقتْ وغرّبتْ، وتقاطعتْ مع كلِّ النُّفوسِ والأحاسيس، فتشعرُ وأنت تقرؤُها بالوَجدِ والجَوى، تُمْسِكُ نَفْسَكَ لئلّا تبكي، وَيَخُونُكَ صبرُكَ فتَنْهَلُّ أدمعُك، يسمعُ فيها المحبُّ رجْعَ أنّاتِه، ويحسُّ منها الغريبُ لذعَ الغربةِ يَكوي فؤادَه ويشدُّه إلى مراتعِ صِباه ومراتعِ لهْوِه، ويُغذّي بها الصُّوفي مواجدَه وأشواقَه، ثم يجدُ فيها قارئُ الشّعرِ مُتعتَه بما يَسري فيها من نَغمٍ عُلويٍّ وإيقاعٍ آسرٍ.



د. عبدالحليم عبداللّه
رئيس قسم اللغة العربية وبلاغتها
في كلية الإلهيات/ جامعة أرداهان

قال عنها الإمامُ أبو محمّد بنُ حزم: «يقال: من تختّم بالعقيقِ وقرأَ لأبي عمرٍو وتفقّه للشّافعيِّ وحفظَ قصيدةَ ابنِ زُريق فقدِ استكملَ الظّرفَ». وليس أدلَّ على ولعِ ابنِ حزمٍ بهذه القصيدةِ من قولِه السّابقِ، فضلًا عن أنّه عارضَها ونظَمَ على قافيتِها. فقال:

ولّى فولّى جميلُ الصّبرِ يتبعُهُ
وصرّحَ الدّمعُ ما تخفيه أضلعُهُ
جسمٌ ملولٌ وقلبُ آلفٌ فإذا
حلَّ الفراقُ عليه فهو مُوجعُهُ
لم تستقرَّ به دارٌ ولا وطنٌ
ولا تدفّأ منه قطُّ مضجعُهُ
كأنّما صِيغَ من رَهْوِ السّحابِ فما
تزالُ ريحٌ إلى الآفاقِ تدفعُهُ
كأنّما هو توحيدٌ تضيقُ به
نفسُ الكفورِ فتأبَى حين تودعُهُ
أو كوكبٌ قاطعٌ في الأفقِ منتقلٌ
فالسَّيرُ يُغربُه حينًا ويُطلعُهُ

وبدايةً لا بدّ لنا أن نسلّطَ الضّوءَ على صاحبِ القصيدةِ وهو ابنُ زُريقٍ البغداديُّ، فمن هو ابنُ زُرَيقٍ؟

هو: أبو الحسن عليُّ بنُ زُريقٍ الكاتبُ البغداديُّ، والشّاعرُ مثلما يظهرُ من نسبتِه من سكّانِ بغدادَ، عاش فيها، وكابدَ الحياةَ، ثم رحلَ إلى الأندلس ليمدحَ أميرَها وينالَ عطاءَه كما يُقال - فلمّا وصلَ ومدحَ، أعطاه النّزرَ اليسيرَ ممازحًا، ليرى ردَّ فعلِه، لكنَّ الصّدمةَ كانت فوق الاحتمال، فراح يسترجعُ

الذّكرياتِ، كيف وقفت زوجُه في طريقِه تَثْنيهِ عن قصْدِهِ؟ وكيف تعلّقتْ به؟ وكيف؟ وكيف؟؟ فكتبَ قصيدتَه هذه بالأسَى والحسراتِ والدّموعِ والعَبرات، وماتَ.. ويقالُ أيضًا: إنّ الأميرَ لمّا استبطأه أرسلَ إليه من يطلبُه في داره أو خانِه، فوجده ميّتًا ووجد قصيدتَه تحت وسادتِه.. وبغضّ النّظر عن صحّة الرّواية أو عدمِ صحّتِها، إلّا أنّ القصيدةَ تحتوي على كمٍّ لا يُستهانُ به منَ العواطفِ والأسى، وتشعرُ بمشاعرَ كثيرةٍ متباينةٍ، تلاصقُ روحَك، وتمتزجُ مع آهاتك، وتخرجُ فيها زفراتُك، وأنّك تقرأُ عملًا دراميًّا وقصّةً تراجيديّةً مليئةً بالاغتراب، فهلِ الاغترابُ في قصيدة الشّاعرِ مبعثُه مناسبةُ القصيدة؟ أمِ احتوتِ القصيدةُ على اغتراباتٍ إن صحّ التّعبيرُ كثيرةٍ؟

ربّما لا نبالغُ إذا قلنا إنّ في القصيدةِ اغتراباتٍ مختلفةً ومتعدّدةً ومتلاحمةً لا اغترابًا واحدًا:

1. الاغترابُ النّفسيُّ:

أوّلُ ما يُطالعُنا في القصيدةِ مطلعُها الذي يرشحُ بالاغتراب النّفسيِّ، فكأنّي به يتذكّرُ زوجَه التي حاولتْ ثَنيَهُ عن قصدِه، وإقناعَه بالمقسوم، وأنّ الحياةَ معه بالكفاف حياةٌ، لا بالمال والثّراء، وأنّ المغامرةَ شاقّةٌ ولا تستحقُّ العناءَ، ويبدو أنّها كلّتْ من كثرة النُّصح ـ وما ملّتْ ـ عساها تجدُ أُذنًا مُصغيةً، ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ، فقد عقدَ العزمَ، واتّخذَ القرارَ، فالحياةُ فرصةٌ، وإن هبّت رياحُك فاغتنمْها، وزوجُه وجهُ فقرٍ تخشى المغامرةَ وترضَى باللّاشيء، أمّا هو فلا ينوي أن يفوِّتَ هذه الفرصةَ التي تلتحفُ ببريق الذّهبِ أمام عينَيْه، فودّعَ أهلَه، وسالت به الطّرقُ إلى الأندلس، وما إن وصلَها حتى ذهب ومدحَ الأميرَ ـ يقال إنه عميدُ الملك الوزير محمد بن منصورـ ثم مُني بالخيبةِ وعطاءٍ قليلٍ، فأنشأَ يقولُ:

لا تَعْذُليهِ فَإنّ العَذلَ يُولِعُهُ
قَد قُلْتِ حَقًّا وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ
جاوَزتِ فِي لَومِهِ حدًّا أَضَرّ بهِ
مِن حَيثُ قَدّرتِ أَنّ اللَّومَ يَنفَعُهُ

وهنا تذكّرَ أنّها كانت على حقٍّ وأنّه كان على بصره غشاوةٌ فلم يكن يرى الحقيقةَ، فكأنّه يعودُ إلى وجدانِه ونفسِه ليقول: كم كانتْ على حقٍّ في قولِها وفعلِها ورؤياها! كم كانت ذاتَ بصيرة! كم كانت ذاتَ بُعد نظرٍ! كم كانت صاحبةَ فراسةٍ! وكم أستحقُّ اللّومَ! ولكنّ خطأَه عظيمٌ جدًّا، ولا عذرَ له، ولذلك راح يطلبُ منها أن ترفقَ به؛ فالمتوقّعُ أنه يستحقُّ الكثيرَ، قال:

فَاستَعمِلِي الرِّفْقَ فِي تَأْنِيبِهِ بَدَلًا
مِن عَذلِهِ فَهوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ

ويرجع بخيالِه إلى الوراء ويتذكّرُ كيف كانت تحاولُ منعَه! وكم ركبَ رأسَه وأبى إلا الرّحيلَ! وبعد ما انتهت به المغامرةُ إلى خيبة الرّجاءِ والأملِ راح يتحسّرُ، ولكن بعد ما فات الأوانُ، يقول:

وَدّعتُهُ وَبوُدّي لَو يُوَدِّعُنِي
صَفوُ الحَياةِ وَأَنّي لا أُوَدِّعُهُ
وَكَم تَشبّثَ بي يَومَ الرّحيلِ ضُحًى
وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٌ وَأَدمُعُهُ
لا أَكذبُ اللّهَ ثوبُ الصّبْرِ مُنخَرِقٌ
عَنّي بِفُرقَتِهِ لَكِن أُرَقِّعُهُ
إِنّي أُوَسِّعُ عُذري فِي جِنايَتِهِ
بِالبَينِ عَنْهُ وَقلبِي لا يُوَسِّعُهُ

عند هذه الأبيات كم أتذكّرُ أبي ـ رحمة الله عليه ـ يوم هجرتِنا منَ الوطن على الحدود! وأدمعُنا مُستهلّاتٌ وأدمعُه، وهو يقول لي ولزوجِي: لا بأس كم يوم وتنقضي، ترجعون أو آتيكم، لكنّها أقدارٌ مقدّرةٌ، فلم نرجعْ ولم يأتِنا، والأمرُّ أنّنا لم نحضرْ وداعَه، ولم نستطعْ أن نلقيَ عليه النّظرةَ الأخيرةَ، غربةٌ زادتْنا غربةً ووحشةً وألمًا وحسرةً.

نرجعُ إلى الشّاعر الذي أدرك أنه كان يملكُ كنزًا ومُلكًا عظيمًا، ألا وهو عائلتُه: زوجُه وأولادُه، لكنه لم يقدّرْ تلك الثّروةَ ولا ذلك المُلكَ، ولم يَشكرِ الله لذاك، فعوقبَ بالحرمان والبُعدِ، يعيشُ وحيدًا شريدًا في غربةٍ لا يعلمُها

إلا من كابدَها، قال:

رُزِقتُ مُلكًا فلَم أُحْسِنْ ،سِياسَتَهُ
وَكُلُ مَن لا يَسُوسُ المُلكَ يُخْلَعُهُ
وَمَن غَدا لابِسًا ثَوبَ النَّعِيمِ بِلا
شُكرٍ عَليهِ فَإنَّ اللهِ يَنْزِعُهُ

حتى بدت حالُه للنّاس عامّةً، فصارُوا يلومونَه أيضًا، وكأنّي بهم يقولون له: يداكَ أوكتَا وفوكَ نفخ، ألم تفعلْ هذا بنفسك؟ من أجبرك على هذا يا هذا؟ وهو يقرُّ بما يقولون، ويرضخُ ويعترفُ بأنّ الذّنْب ذنبُه، يقول:

كَمْ قَائلٍ لِيَ ذُقْتَ البَيْنَ قُلتُ لَهُ:
الذَّنْبُ ـ وَاللهِ ـ ذنبي لَستُ أدفَعُهُ
ألا أقمتَ فكانَ الرُّشدُ أجمَعُهُ
لو أنّني يومَ بانَ الرُّشْدُ أتبَعُهُ
إنّي لأَقطعُ أيّامِي وأُنْفِدُها
بِحَسرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ
بِمَن إذا هَجعَ النُّوَّامُ بِتُ لَهُ
بِلَوعَةٍ مِنهُ لَيلي لَستُ أَهجَعُهُ

يقضِي النّهار إقرارًا بالذّنب والخطأ من جهته، ومن جهة الآخرين لومُ اللّوّام وعتابٌ وتقريعٌ، فإذا أقبل اللّيلُ وهجعَ النّوّامُ يزدادُ اغترابُه أضعافًا مضاعفةً، فالنّهارُ عذابٌ واللّيلُ لوعةٌ.

2. الاغترابُ عنِ الوطن:

ذلك الوضع الذي كابده وقاساه دفعه إلى الهجرة عن الوطن علَّه يهجر الفقر وضيق ذات اليد، هاجر إلى مَنْ يأمر له بخلعة وأعطية ووفر من المال فيصيب ثراءً، لكنه (كما أسلفنا) حظي بخيبة الرجاء، نظرَ إلى حالِه فوجدَ نفسَه يقاسِي مع غربتِه النّفسيّةِ غربةً حقيقيّةً، فهو بعيدٌ عنِ الوطن وبعيدٌ عنِ الأهل وَبَعِيدٌ عنِ الأحبّة والأصحابِ، وربّما كان الارتباطُ بين الغربتَيْن الحقيقيّةِ والنّفسيّةِ ارتباطًا وثيقًا، ولذلك قالوا في المَثل: (الغربةُ كربةٌ)، وهذا هو حالُ شاعرِنا، يعيشُ في كرباتٍ مترابطةٍ فيما بينها، غربةِ الوطن وغربةِ الأهل وغربة الأصحابِ، فضلًا عن غربةٍ ماديّةٍ دفعتْه إلى الهجرة، وغربةٍ نفسيّةٍ مِلؤها العذابُ وتبكيتُ الضّميرِ، وبالعودةِ إلى غربةِ الوطن نطالعُ قولَه:

ما كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ الدهرَ يَفجَعُني
بِهِ وَلا أَنَّ بِي الأَيّامَ تَفجعُهُ
حَتّى جَرى البَينُ فِيما بَينَنا بِيَدٍ
عَسراءَ تَمنَعُني حَظّي وَتَمنَعُهُ
باللّه يا مُنزلَ القصفِ الذي درستْ
آثارُه وعفتْ مُذ غبتُ أربعُه
هلِ الزّمانُ معيدٌ فيك لذّتنا
أم اللّيالي التي مرّت وترجعُه
إنَّ الزَّمانَ أَراهُ فِي الرَّحيلِ
وَلَو إلى السَّدِّ أَضحى وَهوَ يُزمِعُهُ
لا يَطمِئنُ لِجَنبي مضجعٌ وَكَذا
لا يَطمَئِنُ لَهُ مُذ بِنتُ مَضجَعُهُ

هذه الغربةُ النّفسيّةُ كان مبعثُها غربةً ماديّةً يعيشُها بين أهلِه في وطنِه، وهنا يجدرُ بنا أن نلمحَ اغترابًا آخرَ ممّا تحتويه القصيدةُ

وهو ما سنتحدّثُ عنه في الفقرة الآتية.

3. الاغترابُ الماديّ:

عاش ابنُ زُريقٍ كاتبًا وأديبًا شاعرًا ـ ربّما لم يصلْنا من شعره غيرُ هذه العينيّة وقصائدَ قليلةٍ جدًّا- كلُّ ذلك يدلّ على أنه كان موهوبًا، ومع كلِّ هذه المواهب عاش فقيرًا، وهو يرى أو يسمعُ أنّ الشّعراءَ كانوا يكسبون الأموالَ الطّائلةَ بقصيدةٍ واحدةٍ ـ وهذه كانت سنّةَ الخلفاءِ والأمراءِ مع الشّعراء ـ فكأنّي به يقارنُ بين نفسِه وما هو فيه من ضِيق ذاتِ اليد وبين غيره منَ الشّعراء المشاهيرِ المُتكسّبين بالشّعر، فيشعرُ بأنّه غريبٌ في هذا الجوِّ الأدبيِّ الذي لم ينتقصْه، فسخطَ على حظِّه، وقرّرَ الثّورةَ على هذا الوضعِ المُزْرِي، فلئِن منعَه الدّهرُ ممّا يستحقُّ فلَيأخذنّه بما استطاعت يده، قال:

تأبى المَطامِعُ إلا أن تُجَشّمَهُ
للرّزق كدًّا وكم ممّن يودعُهُ

ولكن كيف السّبيلُ إلى ذاك؟ سبيلُه السّفرُ، نعم لقد هاجرَ، لكنّه بعد التّجربة رأى بأنّ الأرزاقَ مقسومةٌ، وأنّ المجاهدةَ والمكابدةَ لا توصِلُهُ إلى غيرِ المقسوم، قال:

وَما مُجاهَدَةُ الإِنسانِ توصِلُهُ
رِزقًا وَلا دَعَةُ الإِنسانِ تَقطَعُهُ
قَدْ وَزَّعَ اللهُ بَينَ الخَلقِ رِزقَهُمُ
لَم يَخلُقِ اللهُ مِن خَلقٍ يُضَيِّعُهُ
لَكِنَّهُم كُلِّفُوا حِرصًا فلَستَ تَرى
مُستَرزِقًا وَسِوى الغاياتِ تُقنِعُهُ
وَالحِرصُ في المَرءِ وَالأَرزاقُ قَد قُسِمَت
بَغْيٌ أَلا إِنّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ
والدهرُ يُعطي الفَتى مِنْ حَيْثُ يَمنَعُه
إِرثًا وَيَمنَعُهُ مِن حَيثِ يُطمِعُهُ

وفي نهاية هذا الخِضَمِّ منَ المشاعرِ النّفسيّةِ المُتداخلةِ المملوءةِ بالحُزن والأسى يستسلمُ الشّاعرُ لقضاء الله وقدرِه، فقد يجمع الله الشّتيتَيْن، فإن قضتِ المنيةُ بالفراقِ فما هو بقادرٍ على دفْعِ ذاك، قالَ:

عَلّ اللّيَالِي الّتي أَضنَت بِفُرقَتَنا
جِسمي سَتَجمَعُني يَومًا وَتَجمَعُهُ
وَإِنْ تَنَلْ أَحَدًا مِنّا مَنِيَّتُهُ
فَما الّذي بِقَضاءِ اللهِ يَصنَعُهُ

على الرّغمِ من أنّها قصيدةٌ واحدةٌ، لكنّها تحملُ في طيّاتها منَ المشاعر ما يزيدُ على ما تحملُه بعضُ الدّواوين، وحسبي أنّي سلّطت ضوءًا على قصيدةٍ شرّقتْ وغرّبتْ وذاعتْ في الآفاقِ، وأتركُ للقارئِ فرصةَ الرّجوعِ إليها وقراءتِها كاملةً.

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ فِي رِحْلَةِ المُسْتَقْبَلِ:
أُفُقٌ إِبْدَاعِيٌّ يَنْبُضُ بِالحَيَاةِ

في عالَمٍ مَليءٍ بالتّغيّراتِ والتّحوُّلاتِ السّريعةِ، تنبضُ اللّغاتُ بالحياةِ وَهِيَ من أهمِّ عواملِ الثّقافةِ والتّواصلِ، وعلى رأسِها تحتلُّ اللُّغةُ العربيَّةُ مكانةً متميّزةً بوَصْفِهَا إحْدَى اللُّغاتِ العالَميَّةِ المُؤثِّرة.

إنَّ مُستقبلَ اللُّغةِ العربيَّةِ يحملُ في طيّاتِه الكثيرَ منَ التّحدّياتِ والفُرصِ، ويستدعِي تصوّرًا إبداعيًا للتّعاملِ معها، في ظلّ الثّورةِ التّقنيّةِ العُليا؛ من أجلِ ذلك بذلَ الشّيخُ سلطانُ بنُ محمّدٍ القاسميُّ -حفظه الله- الغاليَ والنّفيسَ في سبيلِ دعْمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتعزيزِها في إمارةِ الشّارقةِ، من خلالِ الكثيرِ منَ المُبادراتِ الدّاعمةِ للكُتّابِ والكتبِ العربيَّةِ. في هذا المقالِ، سنستكشفُ مستقبلَ اللُّغةِ العربيَّةِ من خلالِ أُفقٍ إبداعيٍّ ينبضُ بالحياةِ، ونناقشُ العواملَ التي قد تؤثّرُ فيها وتحدّدُ مسارَها.



رهف منذر السبع
كاتبة وباحثة

تحوّلاتُ التّكنولوجيا وتأثيرُها في اللُّغةِ العربيَّةِ

في ظلِّ التّطوُّراتِ التّكنولوجيَّةِ السَّريعةِ، أصبح التَّواصلُ الإلكترونيُّ والوسائطُ الاجتماعيَّةُ جزءًا لا يتجزَّأُ من حياتنا اليوميَّةِ ممّا أثَّرَ في اللُّغةِ العربيَّةِ، إذ نشهدُ استخدامًا متزايدًا للعربِ في المجال الرّقميِّ، مِمَّا تَطَلَّبَ ابتكارَ وتطويرَ أدواتٍ وتقنياتٍ لدعْمِ اللُّغةِ العربيَّةِ عبْرَ الإنترنت وتعزيزِ استخدامِها في المجالاتِ المختلفةِ؛ مثل التَّرجمةِ الآليَّةِ وتطويرِ تطبيقاتِ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ.

يُعَدُّ الإنترنت والوسائطُ الاجتماعيَّةُ أدواتٍ قويّةً للتَّواصُلِ والتَّفاعُلِ الاجتماعيِّ، وهذا يعني أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ تواجهُ تحدِّياتٍ وفُرصًا جديدةً في هذا السِّياقِ؛ أحدُ التَّحوّلاتِ الأبرزِ هو انتشارُ استخدامِ اللُّغةِ العربيَّةِ عبْرَ الإنترنت، بفضلِ الواجهاتِ والتَّطبيقاتِ باللُّغةِ العربيَّةِ، أصبحَ منَ المُمكنِ للمُستخدمين العربِ التَّواصلُ والاستفادةُ منَ المحتوى العربيِّ بشكلٍ أسهلَ وأكثرَ فاعليَّةً، ومع ذلك، لا يَزال هناك حاجةٌ إلى تطويرِ أدواتٍ تكنولوجيَّةٍ مُبتكَرةٍ تدعمُ اللُّغةَ العربيَّةَ بشكلٍ كاملٍ وتُسهمُ في توفيرِ تجاربِ مُستخدمٍ متميّزةٍ.

زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، تواجهُ اللُّغةُ العربيَّةُ تحدِّياتٍ في مجالِ التَّرجمةِ الآليَّةِ ومعالجةِ اللُّغةِ الطَّبيعيَّةِ، يتطلَّبُ تطويرُ تقنياتِ التَّرجمةِ الآليَّةِ التَّحديثَ المستمرَّ لتعلُّمِ الآلةِ وتحسينِ الأداءِ في فهمِ النُّصوصِ وترجمتِها بدقَّةٍ، كما أنَّ تحسينَ معالجةِ اللُّغةِ الطَّبيعيَّةِ يُعزِّزُ فهْمَ الكلامِ والكتابةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ، ممّا يُسهمُ في تطويرِ تطبيقاتِ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ التي تعتمدُ على اللُّغةِ العربيَّةِ.

ومنَ اللّافتِ للنَّظرِ أنَّه مع تطوُّرِ تكنولوجيا التَّواصُلِ، ظهرت أشكالٌ جديدةٌ منَ اللُّغةِ العربيَّةِ مثل اللَّهجاتِ العربيَّةِ المُستخدَمةِ في الرَّسائلِ النَّصِّيةِ ووسائلِ



التَّواصُل الاجتماعيِّ، تمتلكُ هذه اللَّهجاتُ طابعًا مختلفًا وقدرةً على التَّعبير بشكلٍ أكثرَ حداثةً وعفويَّةً، ومع ذلك، يجبُ أن نُحافظَ على التَّوازُنِ بين اللُّغةِ العربيَّةِ الفُصحى واللُّغةِ العربيَّةِ العامِّيَّةِ، إذ يُعَدُّ الحفاظُ على اللُّغة العربيَّةِ الفُصحى أمرًا أساسيًّا للحفاظ على الهُويَّة اللُّغويَّةِ والتُّراثِ الثَّقافيِّ للعربِ.

بالإضافة إلى ذلك، تَشهدُ اللُّغةُ العربيَّةُ تأثيرًا متزايدًا في المصطلحاتِ والمفرداتِ التّقنيّةِ العالَميّةِ، فمع تقدّمِ التّكنولوجيا، يُصبحُ منَ الضّروريِّ إيجادُ مصطلحاتٍ جديدةٍ تُعبّرُ عنِ المفاهيم الحديثةِ، لذا يجبُ التَّعاملُ مع هذا التّحدّي من خلال تطويرِ المصطلحاتِ العربيّةِ المُوازيةِ، وترجمةِ المفاهيمِ الجديدةِ بشكلٍ يحافظُ على الدّقّةِ والوضوحِ في التّواصُلِ.

يجبُ أن نتعامل مع تحوّلات التّكنولوجيا بإبداعٍ وحكمةٍ للحفاظِ على اللُّغةِ العربيَّةِ وتطويرِها في ظلّ التّغيّراتِ السّريعةِ، إلى جانبِ ذلك ينبغي علينا استثمارُ المواردِ والجهودِ في دعْمِ البحثِ والتَّطويرِ في مجال تكنولوجيا اللُّغةِ العربيَّةِ، وتشجيعِ الابتكارِ والإبداعِ في استخدامِها وتعلُّمِها؛ في النِّهايةِ إنَّ مُستقبلَ اللُّغةِ العربيَّةِ يَكمُنُ في استيعابِ التّكنولوجيا واستخدامِها بطُرقٍ تُعزِّزُ تواصلَنا وتفاعلَنا الثَّقافيَّ في هذا العالَمِ المُترابِطِ.

تغيّراتُ المجتمعِ وتأثيرُها في اللُّغةِ العربيَّةِ

تشهدُ المجتمعاتُ العربيَّةُ تحوُّلاتٍ اجتماعيَّةً وثقافيَّةً مُتَسارعةً، ممّا يؤثِّرُ في اللُّغةِ العربيَّةِ واستخدامِها، إذ يُعزِّزُ التَّواصلُ العالميُّ والانفتاحُ الثَّقافيُّ التَّحوُّلاتِ في استخدام اللُّغةِ، وقد تُؤدّي إلى تغييراتٍ في هياكلِها وتطوُّرِها، ينتقل الأفرادُ بين الثَّقافاتِ والبُلدانِ ويتعلَّمون لُغاتٍ جديدةً، ومع تزايدِ استخدام اللُّغاتِ الأجنبيَّةِ، قد يحدثُ تراجعٌ في استخدام اللُّغةِ العربيَّةِ في بعض المجالاتِ، هذا التَّحوُّلُ الثَّقافيُّ ينطوي على التَّحدّياتِ في حفظ الهُويَّةِ اللُّغويَّةِ العربيَّةِ وتعزيزِها.

قد يشهدُ المستقبلُ استخدامًا متزايدًا للُّغاتِ الأجنبيَّةِ، ممّا يزيدُ من تأثيرِ الثَّقافاتِ الأخرى في اللُّغةِ العربيَّةِ، لذا يتطلَّبُ المستقبلُ إيجادَ سُبُلٍ للحفاظِ على الهويَّةِ العربيَّةِ وتعزيزِ قِيَمِها واستخدامِها بشكلٍ مُبتَكرٍ لِتَلبيةِ احتياجاتِ المُجتَمعاتِ المُختَلفةِ.

زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، تتأثَّرُ اللُّغةُ العربيَّةُ أيضًا بالعمليَّاتِ الاقتصاديَّةِ والتِّجاريَّةِ والسِّياسيَّةِ، فعندما ينشأُ التَّعاملُ التِّجاريُّ العالَميُّ تتزايدُ الاتِّصالاتُ الحكوميَّةُ بين الدُّولِ، وَمِنْ ثَمَّ ينمو الطَّلَبُ على استخدامِ اللُّغاتِ العالَميَّةِ وَسِيلَةً لِلتَّوَاصُلِ؛ هذا التَّغييرُ يمكنُ أن يُؤدّي إلى تحدِّياتٍ للحفاظِ على الاستخدامِ النَّشِطِ للُّغةِ العربيَّةِ في المجالاتِ الرَّسميَّةِ والتِّجاريَّةِ.

على الجانبِ الثَّقافيِّ، يؤثِّرُ التَّغيُّرُ في أنماطِ الحياةِ والقِيَمِ الاجتماعيَّةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ، إذ يُعَدُّ التَّغيُّرُ الدّيمغرافيُّ والهجرةُ والعولمةُ عواملَ تُؤثِّرُ في استخدامِ اللُّغةِ وتطوُّرِها؛ فعلى سبيلِ المثالِ، تشهدُ العديدُ مِنَ البلدانِ العربيَّةِ تنوُّعًا ثقافيًّا ولُغويًّا بسببِ وجودِ مجتمعاتٍ مُهاجرةٍ، وهذا التَّنوُّعُ يدفعُ نحوَ تطويرِ أساليبَ جديدةٍ للتَّواصُلِ والتَّعامُلِ اللُّغويِّ.

لذلك من الضَّروريِّ أن نَتَعاملَ مع هذه التَّغيّراتِ بحكمةٍ وإبداعٍ، بأن نُواصلَ تعزيزَ مَكانةِ اللُّغةِ العربيَّةِ بِوَصْفِهَا ثَرْوَةً ثَقَافِيَّةً وَتَعْبِيرِيَّةً قَوِيَّةً إلى جانبِ تطويرِ المناهجِ التَّعليميَّةِ لتعزيزِ تعلُّمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتعميقِ فهْمِها لدى الأجيالِ القادمةِ، كما ينبغي أيضًا تشجيعُ الإبداعِ اللُّغويِّ والأدبيِّ في اللُّغة العربيَّةِ، سَوَاءٌ مِنْ خِلالِ دعْمِ الكُتّابِ والشُّعراءِ أو تنظيمِ المُسابقاتِ اللُّغويَّةِ والأدبيَّةِ، وهذا ما دأب الشَّيخ سلطان بن محمَّد القاسميّ -حفظه الله- على القيام به.

بالإضافةِ إلى ذلك، يتطلَّبُ مستقبلُ اللُّغةِ العربيَّةِ الاهتمامَ باللُّغةِ العربيَّةِ العامِّيَّةِ واستخدامَها بشكلٍ إبداعيٍّ، فتعزيزُ اللُّغةِ العاميَّةِ وَسِيلَةً لِلتَّواصُلِ العَفْوِيِّ والشَّفَّافِ، وتعبِّرُ عنِ الهويَّةِ الشَّخصيَّةِ والجماعيَّةِ.



خلاصةُ القولِ، أنَّه لا يمكنُ تجاهلُ تأثيرِ التَّحوُّلاتِ الاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ، لذا يجبُ أن نَتَعايشَ مع هذه التَّغيُّراتِ بحكمةٍ وابتكارٍ، مع الحفاظِ على هويَّتِنا اللُّغويَّةِ وتعزيزِ استخدامِ اللُّغةِ العربيَّةِ في جميعِ المجالاتِ، إنَّ مُستقبلَ اللُّغةِ العربيَّةِ يَعتمدُ على قُدرتِنا على التَّأقلُمِ مع هذه التَّحوُّلاتِ والابتكارِ في استخدامِها في عصرِنا الحديثِ.

تعزيزُ اللّغةِ العربيّةِ في التّعليمِ والإبداعِ

يُعَدُّ التَّعليمُ والإبداعُ دعامتَين أَساسيَّتَين لِتَعزيزِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتطويرِها في المستقبلِ، فمن خلالِ التَّركيزِ عليهِما، يُمكنُنا تَعزيزُ استخدامِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتطويرِها بشكلٍ مُستدامٍ ومبتكرٍ.

ففي مجالِ التَّعليمِ، يَتعيَّنُ تحديثُ المناهجِ وتطويرُ أساليبِ التَّدريسِ لِتَعزيزِ فَهْمِ اللُّغةِ العربيَّةِ واستخدامِها بشكلٍ أفضلَ، إذ ينبغي أن تكونَ دروسُ اللُّغةِ العربيَّةِ مشوِّقةً ومُلهِمَةً للطُّلاب، تجمعُ بين القواعدِ النَّحويَّةِ والصَّرفيَّةِ والأدبِ والثَّقافةِ، كما يمكنُ تنويعُ الأنشطةِ التَّعليميَّةِ لِتَشملَ المُناقشاتِ الجماعيَّةَ والمشاريعَ



البحثيَّةَ والعروضَ التَّقديميَّةَ الّتي تُحَفِّزُ الطُّلَّابَ إلَى استخدامِ اللُّغةِ العربيَّةِ بشكلٍ إبداعيٍّ.

فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، يمكنُ تعزيزُ اللُّغةِ العربيَّةِ في التَّعليم من خلال توفيرِ بيئةٍ مُحَفِّزَةٍ إلى اللُّغةِ العربيَّةِ في المدارسِ، كما يُمكِنُ تنظيمُ الفعاليّاتِ اللُّغويَّةِ مثلِ المُسابقاتِ القرآنيَّةِ والأدبيَّةِ والأنشطةِ الثَّقافيَّةِ الّتي تعزّزُ فهْمَ اللّغةِ العربيّةِ واستخدامها، كما ينبغي تشجيعُ الطُّلّابِ على قراءة الكُتبِ والمقالاتِ العربيَّةِ وتَعْزِيزُ ثَقَافَةِ الكتابة باللُّغةِ العربيَّةِ من خلال إلقاءِ المحاضراتِ ووُرَشِ العمل، ممّا يعزّزُ الإبداعَ اللُّغويَّ والأدبيَّ في اللُّغةِ العربيَّةِ.

يمكنُ أن يأخذَ الكُتّابُ والشُّعراءُ دورًا حيَويًّا في تعزيزِ اللُّغةِ العربيَّةِ من خلال إنتاجِ أعمالٍ أدبيَّةٍ وشعريَّةٍ تعبِّرُ عنِ التَّجربةِ الإنسانيَّةِ وتلامسُ قضايا المُجتمعِ العربيِّ، كما ينبغي دَعمُ المَواهبِ الشّابَّةِ وتنظيمُ المسابقاتِ الأدبيَّةِ والفعاليّاتِ الثَّقافيَّةِ الّتي تُسهِمُ في تَشجيعِ الإبداعِ اللُّغويِّ.

بالإضافة إلى ذلك، يجبُ الاستِفادةُ مِنَ التّكنولوجيا والوسائطِ الرَّقميَّةِ في تعزيزِ الإبداعِ العربيِّ، يمكنُ استخدامُ التَّطبيقاتِ والمنصّاتِ الرّقميَّةِ لتعلُّمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتطويرِ مهارات الكتابةِ والقراءةِ والاستماعِ والمُحادثةِ، كما يمكنُ استخدامُ وسائلِ التَّواصل الاجتماعيِّ والمدوّناتِ والمُنتديات اللُّغويَّةِ لتبادلِ المعرفةِ والتَّواصلِ باللُّغة العربيَّةِ، إلى جانب تشجيعِ الباحثين العربِ وإجراءِ مسابقاتٍ للبحوث العربيَّةِ والدِّراساتِ الاستشرافيَّةِ المستقبليَّةِ المكتوبةِ باللُّغة العربيَّةِ وذلك بهدفِ إغْنَاءِ المُحْتَوَى العربيِّ عبْر شبكةِ الإنترنت، إلى جانب تشجيعِ صُنّاع المُحتوى العربيِّ المفيدِ عبْر وسائلِ التَّواصل الاجتماعيِّ.

ختامًا، في خضمِّ التَّحدِّياتِ والفرصِ الّتي يواجهُها مستقبلُ اللُّغة العربيَّةِ، يجبُ أن ننظرَ إليها بنظرةٍ إبداعيَّةٍ تنبضُ بالحياة، وهذا الأمرُ يتطلَّبُ تعاونًا وتكاتُفًا من جميع الأطراف المعنيَّة، بما في ذلك المُؤسَّساتُ التَّعليميَّةُ والمجتمعُ والحكوماتُ، يجبُ أن نستثمرَ في الأبحاثِ والتَّطويرِ والتّكنولوجيا لدعْمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وتعزيزِ مكانتِها في عالَمٍ مُتعدِّدِ اللُّغات، إنَّ مستقبلَ اللُّغةِ العربيَّةِ ينبغي أن يكونَ مُشرقًا، ينعكسُ فيه التَّطوُّرُ والابتكارُ، ويعزِّزُ تواصُلَنا وتفاعُلَنا الثَّقافيَّ.

قصص الأطفال في عالَمنا العربيّ: وجهة نظر



د. خالد حسين دلكي
محاضر / جامعة عجمان

سَأبدأُ مَقالتي هذه بِسُؤال تَبدو الإجابةُ عنه بدهيّة: هَلْ يَحتاجُ أَطفالُنا إلى قصص مَكتوبَة باللُّغة العربيَّة؟ إنَّ الإجابةَ بالإيجابِ هي المرجّحة، وبخاصّة مِمَّن لديهم أطفال مسجَّلون في المدارس العالميّة، فَهُم يُريدونَ أنْ يُنقذوا لُغَتهم قبل أنْ تضيعَ وتضيعَ معها هويّتهم. خوفُهم على عربيَّة أَولادهم يَدفَعُهم إلى البحثِ عن أيِّ سَبيلٍ لإنقاذِ الموقف، هلعُهم وهُمْ يَبْحَثونَ عن قصص مُناسبة لأطفالِهم في معارض الكُتبِ دليل على صِدْقهم. وعلى أيَّة حال، فكلُّ الآباءِ والأمّهات يُدركون أنَّ القراءةَ هي منفذٌ معبَّد لاستدامةِ اللُّغةِ عند أطفالِهم وتَنميتها، ويدركُ هذه الحقيقةَ العامِلونَ في المؤسَّسات التَّربويَّة أيضًا، لا سيّما المدرِّسين. إذن، فنَحنُ نَحتاجُ إلى قصص لأطفالِنا، ولا أظنُّ مِنْ واقعِ التَّجربة أنَّ واحدًا من النّاس لا يُريدُ لأبنائه أنْ يقرؤوا، وأنْ يكبروا مِن خِلال القِراءة، وتكبر فيهم اللُّغة، ويكبروا هم أنفسهم باللُّغة.

هذه الحقيقة الجميلة سرعان ما تتفلَّتُ مِن أمام أعيننا وتَفقِد بريقَها ويَنطَفِئ وهجها، إذْ نَنْثَني (أتحدَّثُ بِلِسان الآباء، فأنا واحد منهم) أَمامَ إلحاحِ الصُّعوبات والعَوائق عن اقتِناء القصص العربيَّة مُقابل الرِّضا بالقصص الإنجليزيَّة؛ فهذا- على الأقلّ – يُرسِّخ فيهم ثَقافَة القراءة، وإنْ كُنّا مُكْرَهين على اخْتِيار الإنجليزيَّة لُغةً يَقرأُ بها أطفالُنا وقتًا طويلًا بدلًا من العربيَّة الّتي نُحارِب مِن أَجْلِ أنْ تبقى في لسانهم.

وإذا استَفْسَرنا عن الأسباب، واستقرأنا المشكلات، فإنَّها تتلخَّص في أنَّنا لا نَجِدُ حقيقةً «قصص أطفال» لأبنائنا تُناسِبهم؛ تُناسِب شغفَهم وثقافتَهم وأعمارَهم ومستوى لُغتِهم وطريقةَ تفكيرِهم وبنيةَ عَقلِهم، وما إلى ذلك مِمّا هو موجود بقوَّة في القصص باللُّغة الإنجليزيَّة؛ فقصص «هاري بوتر» لم تَكُن مُتميِّزةً بِلُغتها وإنْ كانتْ جميلة، بل بإبداعها الدّراميِّ الّذي يُولِّد عند الأطفال، وكذا الفتيان، الشَّغف. تقول الباحثة سناء غيلان في دراسة لها



عن قصص الأطفال في العالَم العربيّ: «إنّ ما صدَرَ بخصوص قصص الأطفال بشكل خاصّ، وأدب الطِّفل بشكل عامّ، كانَت قاصِرةً عن تَقديمِ مَشروعٍ عربيٍّ مُتَكامِلٍ لمكتبةِ الطِّفل، لأنَّها سَعَت إلى الرِّبحِ السَّريعِ من دون العِنايةِ بالجودَةِ والجديَّة في الإبداع وفي الإنتاجِ، لا على مُستوى الشَّكلِ ولا المضمونِ»[1]. إنَّ هذه النَّتيجة الّتي انتهتْ إليها الباحثةُ هي إحساسٌ تولَّدَ لحظةَ بدأتُ التَّدريسَ سنة 2007م، وظَلَّ يَكبُرُ حتّى يومِنا هذا، دون أنْ يعني ذلك أنّه لا يوجد في عالَما قصص للأطفال، بل يوجد لكنَّها قصص في مُجمَلِها لا تُمَثِّلُ إضَافَةً حقيقيَّةً إلى مَكتَبَتِنا العربيّة.

والغَريبُ أنَّ مَهربَنا الوحيدَ كانَ ما هو مُتَرْجَمٌ مِن هذه القصص الّتي لاقَتْ رَواجًا في لُغتِها الأمّ، لكنَّها – أوَّلًا وأَخيرًا – قصص مَنقولَة، لا ثَقافتها ثَقافَتُنا، ولا مُفرداتُها مُفرداتُنا، ولا ما يَغْني أَصحابَها يَغْنينا بالضَّرورة. وليسَ مَقصودُ هذا الكَلام أنَّ المُتَرْجَم مِن القصص غيرُ مُفيد، بل هو تَنْبيهٌ إلى أنَّ المُتَرْجَم لا تتقَوَّمُ به لُغَةُ المرءِ ولا ثَقافَتُه، هذا إنْ لَمْ يَكُن (المُتَرْجَم) - بعضه - طريقًا إلى زَحزَحَةِ اللُّغة وقِيَم المجتمع، فَيَحْتَاجُ قَبْلَ ذَلِكَ إلى مُراجعَةٍ وتَدقيقٍ. وعلى أيَّة حال، فإنَّ التَّرْجمةَ واحدةٌ مِنْ فضائلِ العَقلِ البَشَريِّ الّتي تصرّ على جمعيَّته، فلا يُمكِنُ نُكران هذا

الجانِب المشرِق للتَّرجَمة، لكنَّها عمليَّةٌ ثانويَّةٌ وليستْ أساسيَّةً في تَكْوينِ عُقولِ أَبنائنا وبنائِها لُغةً وثَقافةً. فالتَّرجمةُ إذن – مَهْما كانَ الرَّأيُ فيها – لا تعفينا مِن "إنشاءِ" القصص الّتي تُمَثِّلنا، والّتي تَستَخدِمُ لُغَتَنا ومُفرداتِنا وصُوَرَنا الخَياليَّةَ وأدواتِنا في التَّعبير.

والسُّؤال الّذي يَترتَّبُ على هذه الحَقيقَة هو: ما هي القصص الّتي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا ويُرِيدُها أَطفالُنا؟ هي القصص الّتي تَحترِمُ العمرَ الزَّمنيَّ لأطفالِنا، وتَقومُ على ما هو شائعٌ من كَلِمات شيوعًا يُناسبُ كُلَّ عمر، ويَنهضُ بما يَدورُ حَولَنا وما يَتَجلّى في واقِعِنا مِنْ حِكَايَاتٍ وقصص، وتَسْعى إلى شَحْذِ الهِمَم وإرساءِ القِيَم. نَستَطيعُ القول: ثَلاث مُكوِّنات يَجبُ أَنْ تَحضرَ في القصص الّتي ينشئها كُتَّابُنَا لأَطفالِنا: المكوّن اللُّغويّ، والمكوّن الإبداعيّ، والمكوّن الاجتماعيّ، وليس واحد مِن هذه المكوّنات بقائم ما لَمْ يُقَيَّم بناءً على معاييرَ



الباحثة سناء غيلان

عالية، مِنها مثلًا: المكوّن اللُّغويّ/ مِعيار شُيوع المفرَدات (قاموس المفردات المستعملة لِكُلِّ فئةٍ عمريَّة)، والمكوّن الإبداعيّ/ معيار الخَيال (لِسان الحيوانات، فنتازيا، خيال علميّ، خيال استِشْرافيّ ...)، والمكوّن الاجتماعيّ الثَّقافيّ/ معيار الأخلاق (الصِّدق، الكذب، التَّسامح).

وبناءً على ما سَبَق، فإنَّ كثيرًا مِن المفرداتِ الموجودةِ اليوم في قصص الأطفال سَتظهر أَنَّها لا تُطابِقُ زمنَنا ولا العمرَ الزَّمنيَّ للأطفال، وأنَّ كثيرًا من القصص ربَّما تَعتَمِدُ إطارَ الخيالِ العلميِّ، ولُغَتُهَا بِمَشَقَّةٍ تُوافق مَنْ هم في سِنِي الرَّوْضَة، وأنَّ بعضَ هذهِ القصص من حيث مكوّنها الثَّقافيّ الاجتماعيّ هي أَقرب إلى المُترجَم منها إلى العملِ العربيِّ الأَصيلِ؛ لأنَّ المعيارَ الأخلاقيَّ لا يَنضَحُ مِن بنيَتِنا العربيَّةِ.

أخيرًا، فإنَّ قصص الأطفالِ في عالمنا العربيِّ بحاجةٍ حقيقيَّةٍ إلى وقفةٍ ومُناقشةٍ مُستَفيضَةٍ؛ لأنَّها مُوجَّهةٌ إلى مَنْ هم مستقبلُنا الواعد.







(1) غيلان، سناء: قضايا وإشكال قصص الأطفال. مجلة فكر العربيّة، 2020، السنة 4، العدد 7، ص. 108.

«أرأيتَ» في آي الذِّكر الحَكيم

وتحليلِها النَّحويِّ عند الدُّكتور فخر الدّين قباوة

هذا البحث إضاءةٌ أُعرِّفُ القُرّاء فيها إلى الدُّكتور فخر الدّين قباوة، وأُحاول تدبُّر أُسلوبَ «أرأيت» في القرآن الكريم بدءًا بسورة الأنعام.

أوّلًا – فخر الدّين قباوة:

وُلِدَ في حلب عام 1933م، ونال فيها الشَّهادة الثّانويَّة وأهليّة التَّعليم الابتدائيّ، ومن جامعة دمشق حازَ الإجازةَ في عُلوم العربيَّةِ وأهليَّة التَّعليم الثّانويِّ والدّبلوم الخاصَّة في الإدارة والتَّفتيش التَّربويّ، ثُمَّ منحَتْهُ جامعة القاهرة الماجستير فالدّكتوراه في الأدب القديم عام 1966، ودَرَّس الأدبَ القَديمَ والنَّحوَ والصَّرفَ ومنهجَ البحثِ في جامعاتِ حلب، واللّاذقيّة، وبكّين، وفاس، والعَين، والقَصيم، وأرسى قواعد التَّحليل النَّحويِّ في الإعراب والصَّرف ومعاني الأدوات، وطبَّقَ ذلك على النُّصوص من الشِّعرِ والحَديثِ الشَّريف ثُمَّ على القرآن الكريم.



حميدي عبد الظّاهر
باحث في النحو والصرف -كلية القرآن الكريم جامعة الخرطوم

أَصدرَ مئةَ كتابٍ أو يزيد في الأدَبِ، والإعرابِ، والصَّرفِ، والعَروضِ، منها: تفسير الجلالَين الميسَّر، والمفصَّل، والتَّفسير الوافي المفيد، والإعراب المنهَجيّ للقرآن الكريم، والتَّحليل النَّحويّ أصوله وأدلَّته، والاقتصاد اللُّغويّ في صياغة المفرد، والمورد النَّحويّ الكبير.

ثانيًا- «أرأيت» في القرآن الكريم:

الفعل «رأى» يقتضي مفعولَين أصلُهما المبتدأ والخبر حين يكون للرُّؤية القلبيَّة، وكذلك حُكمه ومَفعوله الثّاني جُملَة استفهاميَّة، إنْ دخلَتْ عليهِ همزَةُ الاستفهامِ للأَمرِ بالتَّفكيرِ والتَّدبُّرِ والعِلم والإجابةِ نحو قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩﴾ (الواقعة: 68و69) فالماء: مفعولُه الأوَّل، وجملة (أأنتم أنزلتموه): في محلِّ نصْبِ مفعولِهِ الثّاني. وكثيرًا ما تَقَعُ بينَهُما جُملَة شرطيَّة هي قَيد بالحال لِما في المفعولِ الثّاني، وقد يُحذَفُ جوابُها لِدلالَةِ المفعول الثّاني عليه، أو يُحذَفُ أَحدُ المفعولَينِ أو كِلاهُمَا أيضًا. والخِطاب في هذا التَّركيبِ للمُفردِ والمؤنَّثِ والمثَنّى والجمعِ قياسيٌّ في حركةٍ تائِه، تَكون بحسب المخاطب.

لكن عندما تَدخُلُ كافُ الخِطابِ عليه، وهي حَرفٌ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

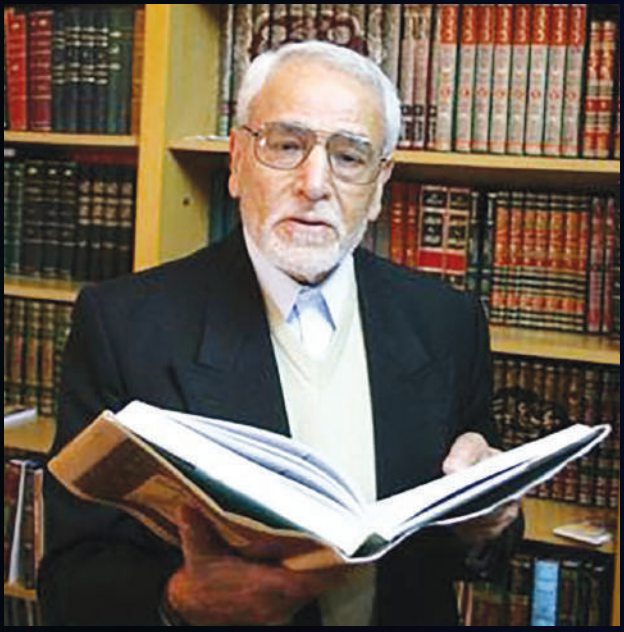
قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

زائدٌ مُبالغةً في التَّوكيدِ، تَلزمُ التّاءُ حركةَ الفَتْحِ أيًّا كان المخاطب نحو: أرأيتَكَ زيدًا ما صنع؟ تقول: أرأيتَكِ وأرأيتَكُما وأرأيتَكُم وأرأيتَكُنّ؟ والفعل يَقْتَضي مَفعولَين أَصلُهُما المبتدأ والخبر أيضًا ثانيهما جُملَة استفهاميَّة، نحو: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام: 47) وفيه حَذْفُ المفعولِ الأوّل وجواب الشَّرط. وقد يُكرَّر هذا التَّركيب في عبارةٍ واحدةٍ، ويكونُ بين جُزْءَيْهِ حَذفان، وهو ما عَرفْناه باسم الاحتِباك.

ثالثًا – «أرأيت» في سورة الأنعام:

قالَ الله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (الأنعام: 40) فالتَّفسير: قل يا محمدُ لأهل مكّة وغيرهم: تفكَّروا وأخبروني عن حالتكم العَجيبة المتَناقِضة إنْ نزَلَ بِكُم عذابُ اللهِ في الدُّنيا وأَتَتْكُم القيامةُ المشتَمِلةُ على العذابِ فهَل تَدعونَ إلهًا غيرَ الله؟

فالهَمزة: حَرْف استِفْهام، استفهاميَّة للأمر، أي: تَدَبَّروا واعْلَموا وأَخبروني. ورأيت: فعل ماضٍ مَبنيّ على السُّكون لاتِّصاله بِضَمير رفْعِ متحرِّك، والتّاء: ضمير مُتَّصل مَبنيّ على الفَتح في محلِّ رفع فاعل. والكاف: حرفُ خِطاب يُفيدُ التَّوكيد. والميم: حرف لجمع الذُّكور غُلِّبوا على الإناث إذِ المقصود الرِّجال والنِّساء. والمفعول الأوَّل: محذوفٌ يعودُ على «عذاب» بعدُ، تنازَع فيه «رأى» و«أتى» فكان «عذاب» فاعلًا للأقرب إليه وأُضمِرَ في الأوّل. والتَّقدير:



الدّكتور فخر الدّين قباوة

أرأيتَكُم عذابَ الله، إنْ أتاكم أو أتتْكمُ السّاعة، أغيرَ اللهِ تَدْعون لِكَشف ذلك؟ وإنْ: حَرْف شَرْط جازم، شرطيّة للمستقبل. وجواب الشَّرط محذوف مُقتَرِن بالفاء في مَحَلِّ جَزْمٍ دلَّ عليه ما بعده، والتَّقدير: فَهَل غيرَ اللهِ تَدْعون؟ وفي هذا تَوكيد بتكرار الجُملة مَذكورة ومُقدَّرة. والجُملة الشَّرطيَّة (إنْ أتاكُم عذابُ الله فهل غيرَ اللهِ تَدْعون؟) في محلِّ نصب حال مقدّمة عن الفاعل في: تَدْعون. ولا يَمنَعُ الاستفهامُ تقدُّمَ الحالِ؛ لأنَّها كَشِبْه الجُملَة. والجُملَة (أَغَيْرَ اللهِ تَدْعون): صغرى في محلِّ نَصْبِ مَفعولٍ به ثانٍ للفِعْل: رأى.

وإنْ الثّانية: حرف جازم شرطيَّة للحال. وكُنْتُم: فعل ماضٍ ناقص مبنيٌّ على السُّكون لاتّصاله بالتّاء المتحرِّكة في محلِّ جَزْم. وجُملَة (كُنْتُمْ صادقين): جواب الشَّرط غير الظّرفيّ لا محلَّ لها من الإعراب. وجواب الشَّرطِ مَحذْوف لِدَلالة ما قَبلِهِ عليه. والتَّقدير: إنْ كُنتُم صادقين فيما تقولونَ فأخبروني: مَنْ غيرَ اللهِ تَدْعون؟ وجُملَة (أخبروني): جوابُ شَرط جازِمٍ مُقتَرنَة بالفاء في محلِّ جزم. والجُملَة الشَّرطيَّة (إنْ كُنتُمْ صادِقين فَأَخْبِروني): في محلّ نصبٍ حالٌ من المخاطبين في أوَّلِ الآية، وتُفيدُ توكيدَ العامل فيها.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام: 47) فالتَّفسير: قُلْ لِأَهلِ مكَّةَ وغيرهم تفكَّروا وأخبروني إن أصمّكمُ الله وأَعماكُمْ وطَبَعَ على قُلوبِكُم فَمَن إلهٌ غيرُ اللهِ يَرِدُّ عَليكُم ما أخذ مِنكُم بِزَعمِكم؟

فالهمزة: حرف استِفْهام، استِفهاميَّة للأمر، أي: تدبَّروا واعلَموا وأَخْبروني. انظر الآيتَين 40 و47 من سورة الأنعام. ولم يُؤتَ هنا بحرفِ الخِطابِ لأنَّ التَّهديد هناك أعظم، فَناسَبَهُ التَّأكيدُ بالخطاب. ومَفعول رأيتُم الأوّل: مَحذوف يَعود على ما يَلي بعدُ، نازَعَه فيه فعلُ الشَّرطِ فكانَ له. والتَّقدير: أرأيتُم سَمعَكم وأبصارَكم وبصيرتكم مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟ وإنْ: حرفُ شرْطٍ جازِم، شرطيَّة للمُستَقبل. وأخذ: فِعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفَتح في محلِّ جزم، ولفظ الجَلالَة فاعِل مرفوع والجُملَة (إنْ أَخَذَ اللهُ): جُملَة الشَّرطِ غيرُ الظَّرفيّ لا محلَّ لها من الإعراب. وجواب الشَّرطِ مَحذوفٌ دَلَّ عليه المفعول الثّاني، والتَّقدير: فَمَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ، بِزَعْمِكم، يَردّ عليكم ما ذَهَبَ عنكم؟ والجُملَة المحذوفَة (فمَن





إلهٌ غيرُ الله): جوابُ شَرط جازِم مُقتَرِنة بالفاء في محلّ جَزم. والجُملة (إِنْ أَخَذَ اللهُ سمعَكُم فَمَنْ إِلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُمْ به): في محلِّ نصْبِ حال مقدّمة عن المفعول به في «يأتيكم». ولا يَمنَعُ الاستفهامُ تقدُّمَ الحال؛ لأنَّها كَشِبهِ الجُملَة. ومَن: اسم استِفْهام مَبنيٌّ على السُّكون في محلِّ رفع مبتدأ، استفهاميَّة لِطلَبِ التَّعيين وللتَّوبيخ والنَّفْي لِما يَزعُمون. وإله: خبر مرفوع. والجُملَة (مَن إلهٌ): صُغرى في محلِّ نصبِ مفعولٍ به ثانٍ للفعل: رَأيتُم، وهي دليلُ الجَوابِ المحذوفِ للشَّرط.

وقالَ الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام: 47) والتَّفسير: قُلْ لأهلِ مكَّة وغيرهم تفكَّروا وأخبِروني إِنْ أتاكُم العذابُ فجأةً ليلًا أو نهارًا فَهَل يدمّر سخطًا إلّا الظّالمون؟

فالهمزة: حرف استِفْهام، استفهاميّة للأمر، أي: تَدَبَّروا واعلموا وأخبروني. والكاف: حرف خطاب يُفيدُ التَّوكيد.

والمفعول الأوّل: مَحذوف يَعودُ على «عذاب»، تنازَعَ فيه رأى و«أتى» فبقي «عذابُ» فاعلًا للأقرب إليه وأُضمِر في الأوّل. والتَّقدير: أرأيتَكُم عذابَ الله، إن أتاكم فهل يُهلكُ به إلّا القوم الظّالمون، هل يهلك به غيرهم؟

إنْ: حرف شَرط جازم، شرطيَّة للمستقبل. والجُملة المحذوفَة: جَوابُ شَرط جازم مُقترِنَة بالفاء في محلِّ جَزم. والجملة الشَّرطيَّة: في محلِّ نصب حال مقدَّمة عن القوم: تَدْعون. ولا يمنعُ الاستِفْهام تقدُّمَ الحال؛ لأنَّها كَشِبْهِ الجُمْلة. والجُمْلة الصُّغرى: في محلِّ نصْبِ مفعولٍ به ثانٍ للفعل: أرأيت. الإعراب المنهجي 2: 272 و265و274.



التّأليفُ في لَحْنِ العامَّة

إنَّ العنايةَ بالعربيَّةِ والحفاظَ على بيضتها والدفاعَ عن حياضِها لمْ يَكُنْ مَقصورًا على التَّقْعيدِ لها، وضَبطِ ألفاظِها فقط، بل انتَقلَ إلى مستوى لُغَةِ التَّداول، إذ الأصْلُ في العربيَّةِ أنَّها لُغَةٌ شفَويَّةٌ، ولم يُعْرَف التّأليفُ فيها إلّا بعدَ مَجيءِ الإسلامِ الحَنيفِ، ولا غروَ في هذا، فإنَّ ضرورةَ تَعَبُّدِ اللّهِ بما أنزَلَ وفَهْمِ كتابِهِ المُعجِز، جعلَت الأُمَّةَ تَبذُلُ وُسعَها لِتَيسيرِ الوصولِ إلى هذهِ الغايةِ، وكانَ من وسائلِ بُلوغِها حِذْقُ العربيَّةِ الّتي هي «مِرْقاة الكتاب»، وبها يُعْلَمُ مُرادُ الشّارِعِ، وتُعْرَفُ مَقاصِدُ الشَّرعِ السَّمْح.



إبراهيم بلفقيه اليوسفي
دكتوراه في اللّغة العربيّة/المغرب

ولمّا تحقق مقصد تيسير العربية للأعاجم، فكَرَع من حياضها كل لبيب من الخاصة، لَحَظَ العلماء تفشي اللحن بين العامة، وهذا يدل على أن العربية لم تكن لغة كتب ودواوين فقط، بل كانت لغة الحياة، فبها يتحدث الناس في الأسواق والبيوت والمجالس والمساجد، وهي المعتمدة في دواوين الدولة مذ عَرَّبَها سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - هذا وفي الدولة آنذاك العرب والعجم، فمن العجم الفرس والبربر والديلم والترك والقبط والزنج ... إلخ.

إلا أن هذا لم يكن ليغض من مقام العربية في بلاد المسلمين وفي نفوس الناس، بل كان حِرْصُ غير العرب على حِذْقِها أشد من غيرهم، وحسبك للدلالة على مكانة العربية بين العوام في العصور المتأخرة في المغرب الأقصى ما وقع في سبتة المغربية، فقد حكى أبو إسحاق الشاطبي في كتابه المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية - وهو شرحه على ألفية ابن مالك- (7/410) قال: «حدثنا شيخنا الأستاذ الشهير أبو عبد الله بن الفخار -رحمة الله تعالى عليه - قال: لقيتُ بعضَ أصحابنا في سوق من أسواق سَبْتَةَ زمان قراءتي بها، فسألني: كيف تُصَغِّرُ (قِدْرا)؟ فقلتُ: قُدَيْرَةٌ، فقال: كذا كنتُ أقولُ، ولكن هَلُمَّ معي، فمضيتُ معه، فإذا شيخُنا الأستاذ أبو عبد الله بن عبد المنعم - رحمة الله تعالى عليه – يقول لفخَّار كان يُساومه: بكم هذه القُدَيْرُ؟ فقلتُ له في ذلك، فقال: كذا هو النص عن الخليل في العين، قال الأستاذ: ثم رأيت ذلك في الصحاح للجوهري».

إنّ العربية لم تكن لغة كتب ودواوين فقط، بل كانت لغة الحياة

والفوائد المستقاة من هذه القصة كثيرة، أهمها:

أن العربية لم تكن محصورة في المدارس والمساجد، بل كانت لغة حيوية (نسبة إلى الحياة) يتحدث بها العامي كما يتحدث بها العالِم، وإن

تفاوتت درجتهما في الإبانة بها وَالغَوْصِ في مَعَانِيهَا.

ومنها أن الناس كانوا معتزين بها، فلا يتركونها إلى لهجات عامية مبتذلة، ولا يفرطون في مدارستها حتى وهم بصدد البيع والشراء.

وثالث الفوائد أن تَعَلُّمَ العربية لم يكن الناس يرونه خاصا بالأدباء والنحاة واللغويين، بل ضربوا معهم بسهم في كل فن من فنونها، فتعلمها الزجاج والفخار والخضار والقصاب والبناء، وكلهم ممن برع فيها وخدمها.

ولنصرف الآن عنان القلم إلى موضوعنا بعد هذا الفرش، لنبين وجها من أوجه العناية بالعربية والذود عن حياضها، ألا وهو التأليف في لحن العامة، هذه العامة التي لم تشغلها مشكلات الحياة عن التعلم والتمرس بكلام العرب وأساليبها.

وأول من ألف في هذا الباب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت198هـ)، ألف كتاب «ما تلحن فيه العامة»، وقد طبع بتحقيق الدكتور رمضان عبد التّواب.

ثم أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، له كتاب «البهي فيما تلحن فيه العامة» أو «البهاء فيما تلحن فيه العامة»، وقيل إنَّ ثعلبا نقله في كتابه «الفصيح» وأعاد ترتيبه فقط.

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، ذكروا له كتاب «ما تلحن فيه العامة»، لكنه الآن في حكم المفقود.

وكذا أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي (ت216هـ)، نسب إليه أصحاب التراجم كتاب «ما تلحن فيه العامة»، وقد رواه ابن خير في فهرسته، لكننا لا نعلم عنه شيئا الآن.

وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ)، ذكر له ابن منظور في لسان العرب مادة (قفز) كتابا عنوانه «ما خالفت فيه العامة لغات العرب»، وهو أيضا مما نجهل مستقره.

وأبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت231هـ)، نسب إليه أصحاب التواريخ كتاب «ما تلحن فيه العامة»، لكنه ما زال في حكم المفقود.



وأبو عثمان بكر بن محمد المازني (ت249هـ)، أورد له أصحاب التراجم كتابا عنَّهُ بـ«ما تلحن فيه العامة».

وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت255هـ)، ألف كتاب «ما تلحن فيه العامة»، وقيل عنوانه «لحن العامة».

وبعده أبو حنيفة أحمد بن داود الدِّينَوَرِيُّ (ت282هـ)، صنع كتاب «ما تلحن فيه العامة»، وهو أيضا مما لا نعرف عنه شيئا.

وأبو طالب المفضل بن سَلَمة البغدادي (ت290هـ)، ألف كتابا وَسَمَهُ بـ«ما تلحن فيه العامة»، وقد طبع بتحقيق الأستاذ بلال الخليلي، وصدر عن درة الغواص وخزانة الأدب.

وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ)، ذكروا له كتاب «ما تلحن فيه العامة».

وأبو الهَيْذام كِلابُ بن حمزةَ العُقَيْلي (ت300هـ)، أورد المترجمون له كتابا بعنوان «ما تلحن فيه العامة».

ثم جاء بعدهم في الأندلس أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي (ت379هـ)، فألف كتاب «لحن العامة»، وقد طبع مرتين: الأولى بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، والثانية بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر.

وبعده بنحو قرنين ألَّفَ أبو الخير سلامة بن غياض - بالغين المعجمة -الكفرطابي (ت533هـ)، كتابَ «ما تلحن فيه العامة».

وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)، له كتاب «تقويم اللسان»، طبع قديما بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر.

أبو علي عمر بن محمد السكوني (ت717هـ)، ذكر له أصحاب التراجم كتاب «لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام».

أوّل من ألف في هذا الباب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت198هـ)

وفي المغرب الأقصى ألف أبو عبد الله محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي (ت733هـ) كتاب «إنشاد الضَّوَال وإرشاد السُّؤَّال» في لحن العامة، وقد طبع مختصره الذي اختصره ابن خاتمة الأنصاري، وعنوانه «إيراد الآل من إنشاد الضوال وإرشاد السؤال»، وصدر عن دار ابن حزم.

وفي الأندلس كان أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الشهير بابن جُزي (ت741هـ)، الذي صنع كتاب «الفوائد العامة في لحن العامة»، وهو أيضا مما نجهل مصيره الآن.

ثم خَلَفَ هؤلاء الأعلام حافظ عصره أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، فقد ذكروا له رسالة في «أغلاط العوام».

وأحمد بن سليمان بن كمال باشا التركي شمسُ الدين (ت940هـ)، ألف كتاب «التنبيه على غلط الجاهل والنبيه»، وقد حققه الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، ونشره في مجلة المورد (العدد 4 من المجلد 9 سنة 1981م).

وعلي بن بالي القسطنطيني المعروف بمنق (ت992هـ)، صنع كتابا في هذا الباب وسمه بـ«خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام»، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (ضمن المجلد 32 سنة 1981م).

ثم أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني الشهير بالمرتضى الزَّبيدي (ت1205هـ)، ذكروا له كتاب «لحن العامة».

ولعل آخر من ألف في لحن العوام هو أبو الطيب محمد صِدِّيق خان بن حسن الحُسيني القِنَّوْجي (ت1307هـ)، ألف كتاب «لف القماط على تصحيح ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط»، وقد طبع قديما

سنة 1291هـ في بهو بال.

وهذه الكتب الكثيرة إنما تدل على ما كان للعربية من مقام سام بين العامة فضلا عن الخاصة، وأما إن ذهبنا نستقصي ما أُلِّفَ في لحن الخاصة فإننا سنجده موزعا بين لحن الفقهاء ولحن المحدثين ولحن النحويين وغيرهم، فلم يترك علماء اللغة ميدانا من ميادين العلم والمعرفة إلا وقفوا على ما فيه من الأغلاط، ونبهوا عليها، وبينوا الصواب، لكن هذا لا يُعد شيئا عظيما إذا ما ووزن بالتأليف في لحن العامة، هذه العامة التي كانت تتنفس العربية وتحيا بها.

إن هذا النوع من التأليف - أقصد التأليف في لحن العامة - يدخل في باب المؤلفات الحضارية، ولا يمكن أن نقصره على نمط من التصحيح اللغوي، بل هو تأليف حضاري، غايته حماية هذه اللغة الشريفة التي توحد الأمة من المحيط إلى الخليج، أي أن غايته حماية وحدة الأمة وبيضتها.

إن هذا النوع من التأليف يدخل في باب المؤلفات الحضارية

ولم يقف التأليف عند هذا الحد، بل لقد اتخذ صورا جديدة تساير هذا العصر، فنهَدَ للتصويب اللغوي جمهرة من الباحثين ضمت بعضهم مجامع لغوية، وعمل آخـــرون بصفة خاصة، فنشروا مقاطع تدافع عن العربية وتقوم ما اعوج من لسان الناس، فتراهم في وسائل التواصل الاجتماعي يصححون الأغلاط اللغوية والنحوية والإملائية، وهذا فضل الله يختص بها من يشاء، ونحن موقنون بأن هذه اللغة الشريفة باقية ما بقي كتاب الله، فالحمد لله الذي حفظها بما حفظ به الذكر الحكيم، وأعان من رام خدمتها وخصه بالفضل والتعظيم.



الندمُ ... إضافة وتكملة

أبدأ حديثي بقصة واقعيّة تعود أحداثها إلى نهاية الثّمانينيات: كنتُ طالبًا بكليّة آداب الرّباط، أتردّد بين الحين والآخر مُستمعًا لمحاضرات أساتذة من شعبة الفلسفة أو التّاريخ، وقرّرت ذات سنة أن أحضر محاضرات عبد الفتاح كيليطو التي كان يُلقيها على طلبة شعبة اللغة الفرنسيّة وكان، آنئذ، قد أصدر كتابه الأدب والغرابة وَتَعَرَّفْنَا إلى طريقته في قراءة الأدب الكلاسيكيّ؛ كانت المحاضرات التي تتبّعتها تُحلل- إذا لم تخنّي الذّاكرة - رواية مدام بوفاري لفلوبير؛ كانت تحليلات كيليطو مفيدة وَشَائِقَةً استفدت منها كثيرًا.



د. عبد الفتاح الحجمري
مدير مكتب تنسيق التعريب- الرباط

وحدثَ أنّني في نفس الفترة كنت أقرأ مقدّمة ابن خلدون ووقفت في الفصل الخامس والأربعين عند حديثه عن علوم اللسان العربيّ وتحديدًا (علم الأدب) واستوقفني تعريفه الآتي: "علم الأدب هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها...»، كما أثارني حديثه عما سمِعه من شيوخه في مجالس التّعليم من أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتِب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرّد وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ وكتاب النّوادر لأبي عليّ القالي البغداديّ، وما سوى هذه الأربعة فتَبَعٌ لها وفروع عنها، وأنّ منْ قرأها وتعلّم منها اكتسب حرفة هذا العلم وتمكّن منه. عند نهاية محاضرات عبد الفتاح كيليطو اغتنمت فرصة تحيّته لأطرح عليه سؤالًا كنت على علم أنّه خارج سياق المحاضرات، لكنّه كان مهمًّا بالنّسبة إليّ، قلت له:

* أستاذ كيليطو أريد من فضلك أن تدُلّني على باحث واحد أقرأ كُتبه ويكون عونًا لي على تعميق معارفي في مجال البحث الأدبيّ؟

طرحتُ سؤالي المُباشر بسرعة وفي بالي نصيحة ابن خلدون ودعوته لقرّاء زمانه بالتّمعن في الدّواوين الأربعة المحدّدة لعلم الأدب آنئذ؛ وتطلّعتُ من كيليطو أن يُعينني على تعلّم قراءة الأدب الحديث والمعاصر.

نظر إليّ برهة. ابتسم مُحلقًا ببصره متأمّلًا سقف قاعة الدّرس، ثمّ قال لي:

- أقترحُ عليك اسمًا واحدًا، اقرأْ كُتب مارت روبير متى استطعت إلى ذلك سبيلًا.

ناولته دفتري وكتب لي اسمها بالحرف اللاتيني Marthe Robert.

دارت الأيام وتوالتِ السِّنُونَ، وشاء القدر أن قرأت أبرز كُتب هذه الباحثة الألمعيّة.

2

ما علاقة حديثي عن كتاب عبد الفتّاح كيليطو في جوّ من النّدم الفكريّ وقصّتي التي حكيتها عنْهُ، وعن مارت روبير؟

يحمل أحد أهمّ كُتب مارت روبير عنوان كتاب القراءات

Livre de Lectures ، تقول في مستهله: «بما أنّني لم أنتهِ من التّساؤل حول الأدب وخاصّة حول العلائق المحدّدة للأشياء المكتوبة مع الحياة، فإنّني أقترح على نفسي أن أدوّن هنا، في نوع من اليوميّات غير المؤرّخة، الملاحظات والأسئلة التي تخطر على بالي في ارتباط بما أقرأ، دون الأخذ بعين الاعتبار جنس النّصوص ولا نوعيّتها"؛ من هنا فهمتُ أنّ أسئلة القراءة تتعدّدُ بتعدّد أسئلة النّصوص والكتابات، وهذا ما يجعل من أبحاث مارت روبير في كتاب القراءات أحد التّأملات الأساسيّة للنّقد المعاصر، وقد أدارتها حول سؤالٍ جوهريّ: هل توقّف الأدب عن أن يكون موضوعًا مقنعًا لأنّه لم يعد يتوفّر على سحر، ولا على أية فائدة أكثر من أي إنتاج ثقافيٍّ آخر؟ وهل بإمكان الأدب أن يثبت، عكس ذلك، إذا ما توفّرت له القُدْرَةُ الكافِيَةُ لِتَسْوِيغِ امْتِيَازَاتِهِ؟

بهذا المعنى، تبيّن لي بعد قراءة في جوٍّ من النّدم الفكريّ أنّ عبد الفتاح كيليطو يؤرّخ في كتابه لقراءاته وكتاباته، مثلما يُعيد النّظرَ في مفاهيم اللغات والأساليب والنّصوص والأنــواع الأدبيّة، وفي مفاهيم المؤلّف والمترجم والقارئ، والنّقد والدّراسة الأدبيّة، وتصوّرات الكلاسيكيّة والحداثة، كل ذلك بعبارة دقيقة ومركَّزة مثلما هي عادته في تأملٍّ أجواء الأدب والثّقافة والفكر.

مع مارت روبير وعبد الفتّاح كيليطو يتبيّن أنّه من الممكن التّأريخ للقراءة، أي أنّه من الممكن كتابة تاريخ لها أو سيرة ذاتيّة غير مؤرّخة لما يشغل بال الباحث في أثناء الكتابة والدّراسة.

بالنّسبة للذين قرؤوا الكتابين معًا، لعلّهم يستنتجون مثلي - أنّنا في مجال الدّراسة الأدبيّة نندم كثيرًا.

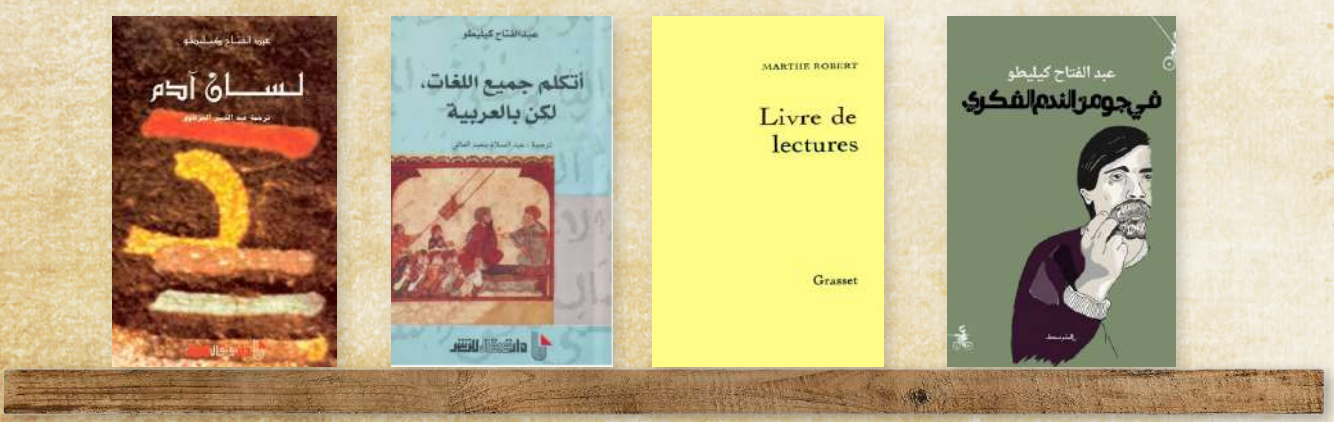
فما معنى النّدم في الدّراسة الأدبيّة؟

قد نندم لسببٍ غامضٍ لا ندركه إلا بعد فوات الأوان: نندم نتيجة خطأٍ في اختيار متن الدّراسة، أو في تأويل النّصوص، أو في سوء تقديرات منهجيّة؛ ثم يتبيّن لنا فيما بعد أنّ للندم فائدته وضرورته أحيانًا، إنّه إحساس إيجابيٌّ غيرُ سلبيّ، يعلّمنا ألا نرتدّ إلى الماضي، إِذْ يَكُونُ النّدم كامنًا في المحتمل لكونه أحد سبل الوصول إلى الحقيقة المفترضة، في ضوء ما لدينا من معلومات ومعطيات متاحة. ربما لهذا السّبب استوحى عبد الفتّاح كيليطو عنوان كتابِهِ من مقولةٍ لغاستون باشلار وضعها في المستهلّ: «إذا ما تحرّرنا من ماضي الأخطاء، فإنّنا نلفي الحقيقة في جوٍّ من النّدم الفكريّ....»».

يغدو الندم -إذن- مصدرًا من مصادر المعرفة، وهو بذلك لا يكون سببًا من أسباب عرقلة التّفكير والفكر.

3

يقول عبد الفتّاح كيليطو في بحثه هذه العبارة: «البحث



الأدبيّ، والقراءة بشكل عامّ، تغدو عمليّة تعديل مستمرّة»؛ هل عملية التّعديل تمكّن الباحث من التّغلب على الملل؟

مجمل مباحث هذا الكتاب قائمة على مفهوم المقامة- المقامات الذي يعني خيار الكتابة "بالقَفْز والوَثْب" على حدّ قول مونتيني؛ بيد أنّ عبد الفتّاح كيليطو لا يفكّر في هذا الخيار إلّا ضمن سياقٍ تاريخيٍّ يستدعي التّفكير في سؤال الأدب من منظور تاريخيّ وآخر حديث يظلّان دومًا مرتبطين بخصوصيّة الكتابة ونوعيّة القراءة.

يتساءل كيليطو: «ما هو أوّل كتاب قرَأته؟ في كل مناسبة أقدّم عنواناً مختلفاً حسب مزاج اللحظة، ومنعرجات الذّاكرة، وحسب الشخص الذي يسألني ولغته والأدب الذي ينتمي إليه، فأقترح، بل أخترع كتاباً أولًا، أُبدع مرّةً أولى. ها نحن أمام مسألة البدايات. هل هناك أصلاً مرة أولى؟ في أغلب الأحيان لا تكون مؤكّدة ومضمونة، سواء أتعلّق الأمر بالقراءة أو بأمورٍ أخرى. ما إن نعتقد الإمساك بها حتى نكتشف، وربما في الحين أو فيما بعد، أنّها مسبوقة بأخرى. المرّة الأولى في النّهاية هي المرّة بعد الأولى، وفي أحسن الأحوال المرّة الثّانية».

هكذا نستمرّ من القراءة إلى الكتابة، ومن الكتابة إلى الأسلوب.

والأسلوب أليس هو الرّجل (والمرأة أيضًا، بصرف النّظر عن الجنس طبعًا)؟

«بوفون» هو من استعمل عبارة «الأسلوب هو الرّجل» في خطابه بالأكاديميّة الفرنسيّة عام 1753 وأضاف أنّ أوَّل مواصفات الأسلوب هو الوضوح La première qualité du style, c'est la clarté ؛ وفي النِّهَايَةِ ما استخلصه كيليطو وهو الخبير بمعاني القراءة والكتابة على حدّ سواء: «ليست طريقتي في الكتابة من اختياري، ما هو شبه مؤكّد أن ليس بمستطاعي أن أكتب بطريقة أخرى، ولعلّ هذا هو تعريف الأسلوب، أن تظلّ حبيس طريقة في الكتابة».

لكن، أن تظلّ حبيس طريقة في الكتابة، أليس معناه - في الجوهر – ارتكاب بعض الأخطاء، ويكون من حقك أن ترتكبها؟

مرَّ عبد الفتّاح كيليطو بنفس التّجربة: الحقّ في الخطأ؛ وفي ذلك يقول: "إنّني أعيد النّظر فيما كتبت عشرات المرات، ولا أتوقّف إلّا وفي ذهني أنّني إن أعدت القراءة سأكتشف هفوات جديدة. خلافًا لما كنتُ أعتقد في صغري، اتّضح لي أنّ الخطأ ليس شيئًا يحدث أو لا يحدث، إنّه المكوّن الأساسيّ للكتابة، معدنها وطبعها. أن تكتب معناه أن تخطئ. تساءل رولان بارت عن السّكرتيرة المثاليّة التي لا ترتكب أخطاء حين تقوم برقن نصٍّ من النّصوص، وأجاب: ليس لها وعي».

4

في كتاب عبد الفتّاح كيليطو: في جوّ من النّدم الفكريّ فصل بديع بعنوان "فن الخطأ" بالإمكان اعتباره محور هذا الكتاب وموضوعه الأساس، وقد أداره حول خلاصة استنتجها من إحدى دراساته لشخصيات ألف ليلة وليلة والمقامات التي لا تنام. وحدث ذات يوم أن توصّل برسالة من دارسة لأحد كتبه تخبره أنّها قرأت في نسخة من نسخ ألف ليلة وليلة أنّ شخصياتها كانت تنام بالفعل، بينما كيليطو وصل في دراسته إلى عكس ذلك. دفعه هذا التنبيه إلى إعادة قراءة العديد من نسخ من ألف ليلة وليلة باللغة العربيّة، مثلما قرأ أيضًا نُسخًا مترجمة ليتمكّن من الوصول إلى نتيجة مفارقة: إمّا أنّ شخصيّات الليالي كانت تنام أو لا تنام.

عبد الفتاح كيليطو في ورطة!

ما الحلّ إذن؟

هل كان الخطأ مقصودًا أم صادرًا عن كلام ظلّ

قابعًا في لاوعيه من قراءات سابقة؟ إذا صحَّ هذا، فلن يكون الأمر مُتعلّقًا إلا برواية غابرييل غارسيا ماركيز مائة عام من العزلة التي يصاب فيها سكّان القرية بحُمى الأرق فلم يناموا لمدة عشرين سنة. وفي فقرات لاحقة، يستخلص كيليطو موضحًا أنّ «الخطأ ليس شيئًا يحدث أو لا يحدث، إنّه على العكس المكوّن الأساس للكتابة، معدنها وطبعها».

أن تَكْتب، إذن، معناهُ أن تُخطئ.

ما بين الخطأ والنّدم يستعيد عبد الفتاح كيليطو سيرة الكتابة والقراءة بمنطق غير مُتوقع وحاذق: إذا تخلّى المرء عن الكتابة فهل سيكون بمقدوره أن يقرأ مرة أخرى، وإذا تخلّى عن القراءة هل يكون بمقدوره أن يكتب مرة أخرى؟

من هذا المنظور، أعدّ كتاب كيليطو في جوّ من النّدم الفكريّ سيرة تعلّم؛ وقد سبق لتزيفيتان تـودوروف أن كتب كتابًا حول نقد النّقد وأضاف إليه عنوانًا فرعيًّا هو رواية التّعلّم، ذلك أنّه كان يعي جيّدا - مثل كيليطو وروبير – المنظور المعرفيّ الذي يربط سؤال «الأدبـيّ» ب «النّقديّ»، وانفتاحهما على أبرز قضايا الثّقافة والفكر.

هكذا، يتأمل عبد الفتّاح كيليطو قيمة الأدب بوصفه حقيقة إنسانيّة، ويدعونا إلى عدم إغفال قيمة البحث الأدبـيّ بوصفه خطابًا موجّهًا نحو فهم حقيقة الأدب والحياة.



يتحدّث الأدب عن العالم ويتحدّث النّقد عن الكتب، كأنّ الأمر يتعلّق بأفقين مُختلفين.

وهذا ليس دائمًا صحيحًا: لأنّ الرّغبة في الكتابة لا تنجم عن الحياة فقط، بل تنجم أيضًا عن الكتب.

وعليه، لا ينبغي أن يقتصر حديث النّقد على الكتب، بل عليه أن يقدّم رأيه في الحياة كذلك.

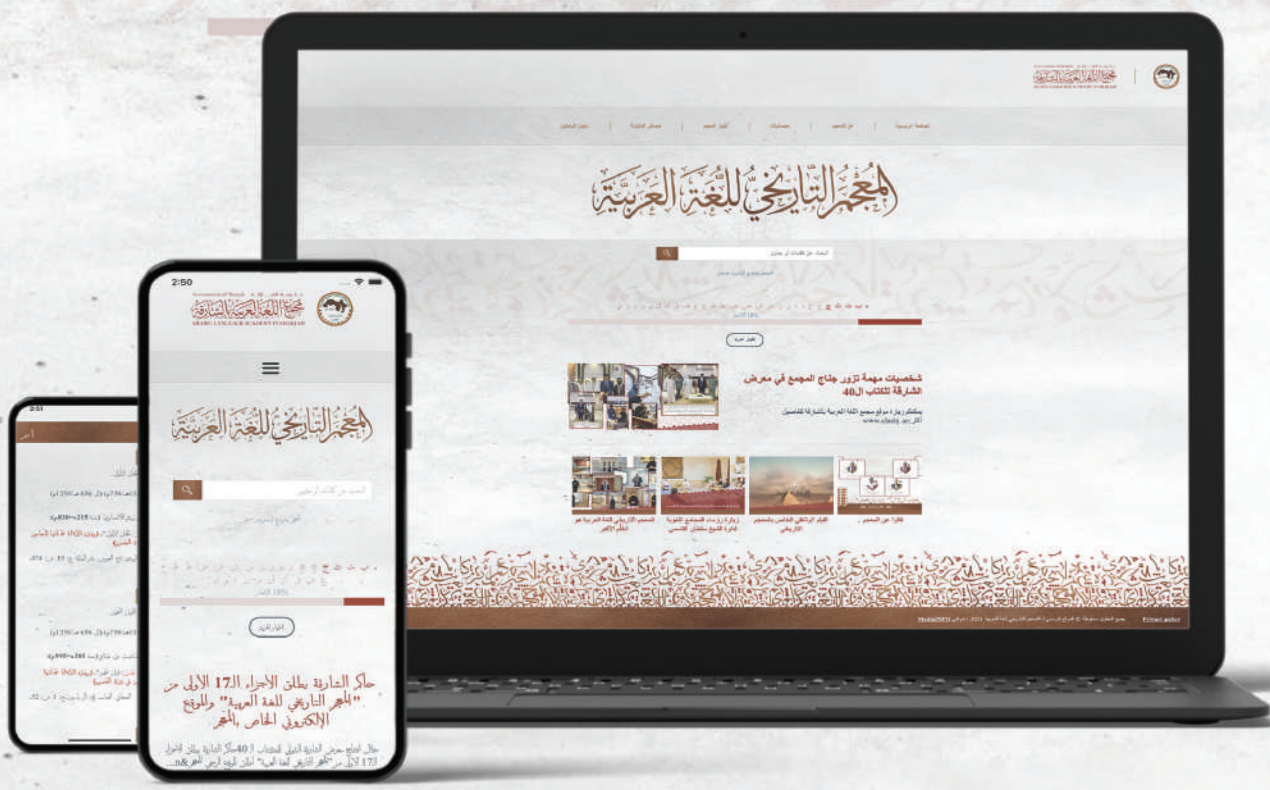
هذا ما صنعه عبد الفتاح كيليطو في جوٍّ من النّدم الفكريّ.

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المعجم التاريخي للغة العربية



Download on App Store

GET IT ON Google Play

EXPLORE IT ON AppGallery

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH





معرض الشارقة الدولي للكتاب
SHARJAH INTERNATIONAL BOOK FAIR

انتظرونا في معرض
الشّارقة الدّوليّ للكتاب
في دورته 42